العـــــدد ٣٢٣ أكتوبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No: 323 Oct. 1985 P.O.Box 748
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic
Magazine in Colour Published by:
Ministry Of Information - State Of
Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MTR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

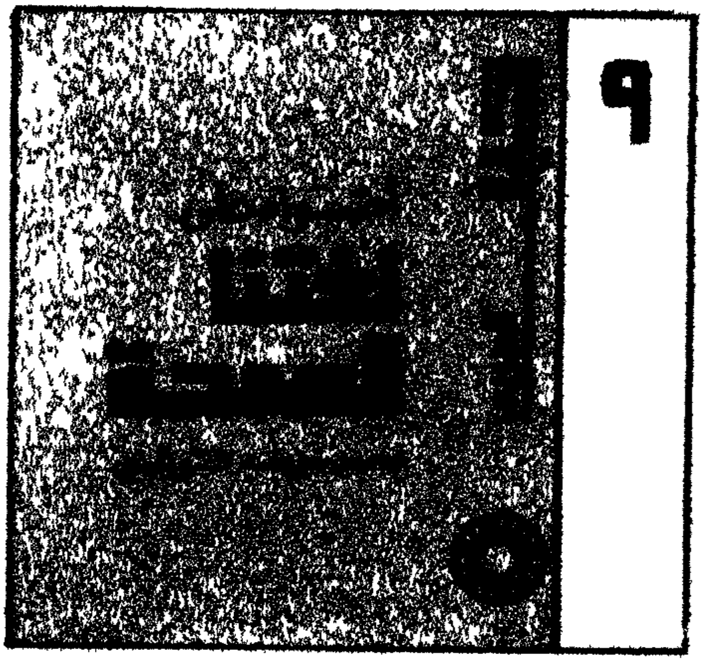
الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د. ك - باقي دول العالم ٦ د. ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

١٥ أكتوبر

موعدك مع كتاب العربي



للغتنا العربية أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية السمحة ، وقد حاول علماؤها تحديد هذه الأنظمة في قواعد ، فاصابوا في بعضها وفاتهم الصواب في بعضها الآخر ، فضيقوا منها واسعا ، وخطئوا صحيحا.لهذا احتاج الأمر الى مراجعة هذه القواعد ونقدها ، مع التعمق في منطقها وروحها ، والاهتداء بكشوف علم اللغة العام .

وهو ما تحاول صفحات هذا الكتاب توضيح جوانب منه ،

عزيزي القارئ

من بين عشرات الالاف من الرسائل التي تصلنا شهرية نهتم كثيرا بتلك الرسائل التي توجهنا وتقدم لنا الاقتراحات البناءة لتطوير مجلة « العربي » كي تواكب الزمن وتسير مع الأحداث .

مايكتبه لنا قراؤنا عن الخطوات الايجابية التي تحققت حتى الان في اطار التحرير نعتز به . ولكننا في نفس الوقت نعتبره واجبا ، فقد كتبنا عن قضية التاميل في سيرلانكا وهي لازالت قضية حية متحركة . . وزرنا لاول مرة اليابان فنشرنا أول تحقيق صحفي عربي حي عن مدينة هيروشيما بعد أربعين عاما من القاء القنبلة الذرية المدمرة عليها ، وهذا الاستطلاع ليس هو الاخير عن اليابان ، فما زال في خطة المجلة موضوعات أخرى عن هذا البلد وفي هذا العدد نزور بومباي وهي تحت العاصفة ، ليست السياسية ولا الاقتصادية ولكنها العاصفة الطبيعية . كل ذلك بجانب المقالات العلمية والثقافية والأدبية .

نقول لك شكرا على تشجيعك ومتابعتك ونقول أيضا ان اهتمامات القراء تفرض علينا المتابعة ومازال في خطتنا الكثير من المبادرات كي تبقى « العربي » مجلة العربي الثقافية الاولى .

عندما أردنا أن نختار بعض الموضوعات في هذا العدد لنشير اليها في هذه العجالة انتابتنا الحيرة ، فهناك لمن يهتم بالعلوم أكثر من موضوع . . ولمن يهتم بالثقافة كذلك ، ولمن يهتم بالفكر الكثير مما يريد . .

واذا كان علينا أن نختار فاننا نلفت النظر الى الاقلام الشابة الجديدة التي بدأت تساهم في « العربي » . فتلك سياسة نحرص عليها وهي أن يكون لاجيالنا الصاعدة التي وصلت مرحلة النضج مكان بجانب كتاب العربي من جيل الآباء . وفي هذا العدد يلتقي الجيلان على صفحات العربي . كما لايفوتنا أن نلفت نظرك عزيزي القارىء الى أن نتيجة مسابقة القصة التي وعدنا باعلانها هذا الشهر قد تم تأجيلها الى بداية عام ١٩٨٦ نظرا لكثرة المشتركين فيها . .

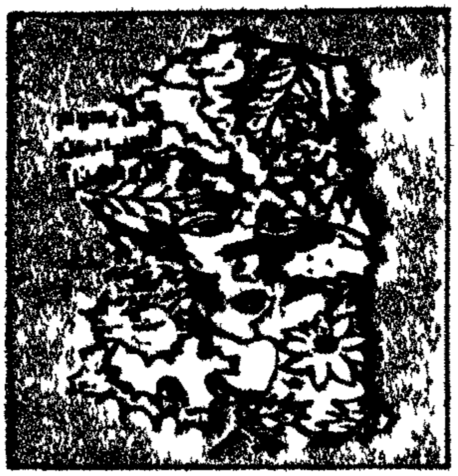
والى عدد قادم .

المحرر

محتويات العدد



عاصفة الامطار الموسمية « المونسون » تحمل مع هبوبها الشر والخير فكيف يجتمعان في بومباي ؟ اقرأ ص ٦٨



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

مستقبل «الأوبك»

- هل تنهار الأوبك ... أو تقاوم ؟
- التدابير المضادة للأوبك تدابير منظمة ومدروسة.
- مسيرة ناجحة لمؤسسة من الجنوب استطاعت المحافظة على مصالحها ضد استغلال الشمال.

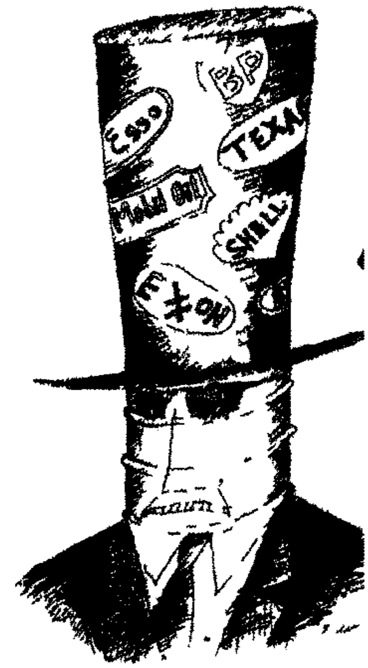
خلال الصيف السابق وهذا الخريف ، واجهت وتواجه منظمة الأقطار المصدرة للنفط « أوبك » أقسى امتحان لتماسكها منذ أن ظهرت الى الوجود قبل خمسة وعشرين عاما .

فقبل ربع قرن تقريبا ظهرت هذه المنظمة الجديدة في أعقاب اجتماع سبقته محاولات حثيثة في بغداد عام ١٩٦٠ ، وحضر ذلك الاجتماع خمس دول من العالم الثالث ـ كلها منتجة للنفط ـ ثلاث منها أقطار عربية هي الكويت والسعودية والعراق ، وواحدة شرق أوسطية هي ايران ، والأخيرة من دول أمريكا اللاتينية هي فنزويلا .

وكان لهذا الاجتماع ، ومن ثم ظهور المنظمة الى الوجود ، هدف جد متواضع .. هو : الحيلولة دون التدهور في أسعار النفط والذي كان يشكل لكل هذه الدول المداخيل الكبرى في انتاجها القومي .

قبل سنوات قليلة من ذلك التاريخ (سبتمبر ١٩٦٠) كانت شركات





النفط العالمية الكبرى ـ وهي ثماني شركات معظمها أمريكية ـ قد بدأت ـ نتيجة تحكمها في أسعار النفط من خلال نفوذ شبكاتها في الانتاج والنقل والتسويق ـ بدأت تفرض أسعارا للنفط الخام المستخرج من تلك البلدان حسب ما تقضي به مصالحها ، ضاربة عرض الحائط بمصالح البلدان المنتجة ، الى درجة لا تحافظ على ثبات السعر وعدم زيادته ، وبالتالي ثبات مداخيل تلك الدول المستقل معظمها حديثا ، بل تؤدي الى التراجع في الاسعار على تواضعها . مما أفقد بعض المنتجين صبرهم فتداعوا الى تشكيل تلك المنظمة ، على أمل تحقيق مصالح أفضل . . .

وقد كانت الشركات تقف بالمرصاد للدولة أو الدول المنتجة التي تعارض الكل أو الجزء من سياسات تلك الشركات في الانتاج أو التسعير ، وكانت تعاقبها عن طريق التقليل الحاد من الانتاج النفطي من أراضيها ، وبالتالي تعرضها الى متاعب اقتصادية وسياسية . وكانت تلك التدابير واسعة التطبيق ، كما أن حكومات البلدان المنتجة للنفط وعت ذاك الموقف بوضوح ، ولعل أكثر التدابير التي اتخذت من قبل شركات النفط ضد الحكومات وضوحا وقسوة ـ من بين تجارب عديدة ـ تجربة تأميم النفط الايراني بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ ، والتي انتهت بعد صراع مرير بفشل ذريع للتأميم ، لم تنفرد في إفشاله شركات النفط الكبرى واحتكاراتها ، ولكن شاركتها حكوماتها أيضا .

مولد المنظمة
ومواجهة التشكيك

□ من هنا جاءت ولادة منظمة الاقطار المصدرة للنفط « الاوبك » في تلك الفترة مخاضاً متعسرا ، وقد اختلفت وجهات النظر حول فاعليتها . وشك كثيرون ـ في ظل أوضاع دولية متوترة ـ في فعالية مثل هذه المنظمة ، ونظر اليها البعض كاتحاد شكلي يضم بعض بلدان العالم الثالث ، والذي يشكل حلقة هشة في التقسيم الرأسمالي الدولي للعمل ، وبالتالي فان هذه المنظمة لا يحتمل أن تلعب دورا فعالا في مواجهة الاحتكارات المنظمة العريقة الخبرة المتمثلة في الشركات النفطية ، وفي ظلال هذه النظرة كان الاعتقاد أن المنظمة الوليدة سوف تبقى منظمة شكلية تتضاءل في فاعليتها أمام الشركات النفطية ولن تكون بحال ندا لها !

أما وجهة النظر الاخرى المضادة ـ وكانت وقتها محدودة ـ فقد رأت أن هذه المنظمة ، رغم تشكلها من بلدان حديثة الاستقلال ، الا أنها بلدان طموحة لتحقيق السيطرة على ثرواتها الطبيعية ، وتسخير هذه الثروة لبناء قاعدة اقتصادية حديثة ومندمجة في الاقتصاد الوطني استكمالا للاستقلال السياسي ، فهي ترى أن النفط هو المصدر الاول ـ وربما الوحيد ـ لتطوير اقتصادها المتخلف ، وأن أية مواجهة مع الشركات النفطية لكونها « احتكارا » عالميا لا تتوافر له فرص النجاح الا اذا تحقق حد أدنى من التنسيق بين المنتجين ، لذا فان انشاء مثل تلك المنظمة « الاوبك » في اطار تنامي حركة التحرر الوطني في العالم الثالث ، هو الاطار الوحيد الممكن في حالة المواجهة ، وان احتمالات نجاحها كافية وقابلة للتحقيق .

وما لبثت المنظمة الجديدة أن استقطبت أقطاراً أخرى منتجة للنفط ، وهي على التوالي حسب تاريخ الأنضمام الى المنظمة : قطر ١٩٦١ ، ليبيا وأندونيسيا ١٩٦٢ ، أبو ظبي (الامارات العربية المتحدة) ١٩٦٧ ، الجزائر ١٩٦٩ ، نيجيريا ١٩٧١ ، الاكوادور ١٩٧٣ ثم الجابون ١٩٧٤ .

ولكن المنظمة احتاجت لاكثر من عشر سنوات كي تظهر فعاليتها في الدفاع عن مصالح أعضائها ، بعد أن ازدادت الدول المكونة لها خبرة ونضوجا في العمل السياسي الدولي .

ولعل المتتبع لتطور مسيرة الصراع النفطي يلحظ فترتين زمنيتين هامتين هما : فترة الستينيات ثم بعدها فترة السبعينيات .

الصراع مع الشركات في الستينيات

□ لا يستطيع أي مراقب منصف أن ينظر الى صراع البلدان المنتجة للنفط مع الشركات الاحتكارية خلال الستينيات من هذا القرن ، ويتجاهل في نفس الوقت دور الاوبك في خلفيات هذا الصراع . صحيح أن دورها ظهر أكثر وضوحا وفعالية إبان السبعينيات ، الا أن العلاقة التي نشأت بين البلدان المصدرة للنفط من خلال الاوبك ساعدت جزئيا على شد أزر البلدان التي انفردت بالمواجهة مع الاحتكارات النفطية ، وقصص المواجهة ساخنة وظاهرة للعيان ، أو باردة خلف (الكواليس) بين الحكومات المضيفة وشركات النفط ، وهي كثيرة بعضها حقق النجاح وبعضها أصابه الفشل المؤقت .

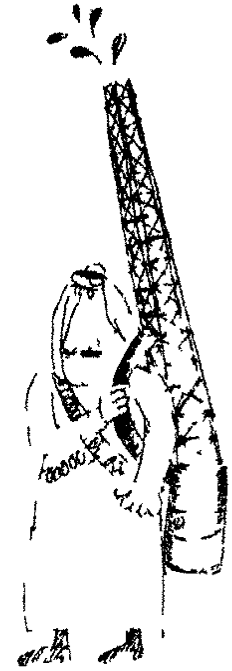
هذه القصص كتبت مرارا في الأدبيات الاقتصادية والنفطية ، وهي اليوم جزء من تاريخ كفاح هذه الشعوب وتلك البلدان ، الا أنها بكل المقاييس لم تكن مواجهات سهلة ، فلقد اختلطت فيها السياسة بالاقتصاد بالانقلابات والانقلابات المضادة ، وبمحاولات التقسيم والتشرذم ، حتى في داخل حدود البلد الواحد (مثل محاولة فصل بيافرا الاقليم النفطي الغني في نيجيريا في أوائل السبعينيات) . *

محصلة تلك الصراعات كانت في النهاية إيجابية لصالح شعوب الاقطار المنتجة للنفط ، وانتصرت وجهة نظر تلك الاقطار التي استنزفت ثرواتها لمدة طويلة - دون مقابل حقيقي يعوض هذا الاستنزاف - انتصرت وجهة نظر تلك البلدان القائلة ، بأنه من الصعب بل من المستحيل أن يتم تخطيط للتنمية الكلية للاقتصاد الوطني في أي بلد منتج للنفط طالما ظل قطاع النفط المهيمن فعليا على الاقتصاد ، جزيرة معزولة .

وانقضت معظم فترة الستينيات في الهجوم والهجوم المضاد - ان صح هذا التعبير - بين الشركات النفطية الكبرى العاملة في الاقطار المنتجة للنفط ومن ورائها حكوماتها وبين حكومات البلدان المنتجة وشعوبها .

ولقد كانت الاقطار العربية في معظم تلك الفترة هي مركز الثقل النسبي في ذلك الصراع ، حيث ان سبعة أعضاء من الاعضاء الثلاثة عشر في الاوبك

* لقد حدثت على سبيل المثال ستة انقلابات عسكرية في نيجيريا حتى الآن



هم أقطار عربية . ثم أصبح العرب المنتجين النفطيين الوحيدين الذين تركز عليهم اللوم والهجمات المضادة بعد ذلك في الصحافة والاوساط السياسية والاقتصادية الغربية ، مما يفسر زخم النزعات المضادة من العوامل الثقافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية التي اندمجت وتفاعلت كي يستقر في النهاية في عقل المواطن في الغرب أن « أوبك » تعني العرب ، وتعني أيضا من وجهة نظرهم السياسات غير العقلانية في رفع الاسعار !

ولكن عندما نعاود الكرة لننظر مرة أخرى الى مسلسل الكفاح الذي خاضته الاقطار العربية لتصحيح العلاقات مع الشركات ، نتبين بوضوح الجهد المضني والمحاولات الكثيرة التي بذلت لتصحيح هذه العلاقات القانونية والاقتصادية بطريقة معقولة وتدريجية ، والتي تعرضت للرفض في معظم الاوقات من تلك الشركات .

لقد حصلت معظم تلك الشركات على امتيازات حصرية للتنقيب عن النفط وتسويقه وتسعيره تحت ظروف كانت معظم تلك البلدان الاعضاء في المنظمة خاضعة فيها لسيطرة أجنبية مباشرة أو غير مباشرة ، كما أن تلك البلدان من جهة أخرى ، افتقدت لفترة طويلة التأهيل التقني والفني لخوض غمار صناعة معقدة مثل صناعة النفط ، الا أن الجهود التي بذلت لاحقا لتصحيح تلك العلاقة لم تفلح في اقناع الشركات العالمية باجراء التعديلات والمراجعات .

في حقيقة الأمر كانت مطالب أوبك محدودة ومتواضعة ، فقد طلبت في بداية الستينيات من شركات النفط العالمية أن تربط أسعار النفط بمؤشر أسعار السلع المصنعة ، بعد أن لاحظت السعر المصطنع الذي تبيع به الشركات النفط الخام . ولم يلتفت الى هذا المطلب العادل ضمن مطالبات عادلة أخرى .

وعندما قارب الحوار على الانقطاع بين الشركات النفطية وبعض الحكومات المضيفة ـ وفي ظروف دولية مواتية ـ قامت بعض الأقطار العربية باتخاذ اجراءات قانونية من طرف واحد لحماية مصالحها .

وهناك أمثلة بارزة يمكن أن تذكر القراء بمثلين بارزين منها ، هما تجربتا العراق والجزائر .

فالحكومة العراقية في اوائل الستينيات ، ومن خلال القانون الشهير رقم ٨٠ سنة ١٩٦١ سحبت بموجبه ٩٩,٥٪ من مساحة الامتياز الممنوح لشركة نفط العراق ـ بعد أن فشلت كل المفاوضات السابقة في تحقيق اتفاق عادل ـ وأبقت الحكومة العراقية بموجب ذاك القانون للشركة فقط المساحة قيد الاستغلال ، وقد كان هذا الاجراء بداية سلسلة طويلة من الاجراءات اللاحقة ، انتهت بالتأميم الجزئي في بداية السبعينيات .

أما في الجزائر فقد أصبحت السيطرة على النفط والغاز الجزائري أهم هموم الجزائر المستقلة ، وما أن انقضت سنوات قليلة على استقلال الجزائر ، حتى كانت من أوائل الاقطار العربية التي حققت هيمنتها على جزء كبير من الشركات العالمية في أراضيها .

وغير هذين المثلين فاننا نستطيع ذكر أمثلة عديدة مشابهة في الكويت وليبيا وأقطار عربية أخرى ، وكانت الاقطار العربية المصدرة للنفط في كل هذه الاجراءات تناضل من أجل استعادة حقوقها ، وما أن شارفت الستينيات على الانتهاء حتى أصبح كثير من الاقطار العربية على وشك اتخاذ تشريعات ـ من جانب واحد ان استدعى الأمر ـ لارغام الشركات على التنازل بعد أن أصبحت طرق التعاون شبه مسدودة خلال فترة طويلة من الزمن .

وقد كانت الاوبك في هذا العقد ـ رغم ضعفها ـ الأداة التي تتوحد فيها مصالح الاقطار المنتجة .

تصحيح الأوضاع في السبعينات

□ ليس هناك عامل وحيد يمكن الاشارة اليه على أنه السبب المباشر في تصحيح أوضاع علاقة الحكومات العربية المنتجة للنفط بالشركات العالمية ، بحيث تعود بعد ذلك الى التصحيح الشامل في هيكل الاسعار ، وكذلك ملكية الشركات من بعد .

ولقد تضافرت أسباب عديدة أثرت مجتمعة في تغيير هيكل القوة بين الفريقين ، فلقد تراكمت الخطوات المحدودة والمتناثرة التي اتخذتها البلدان المصدرة للنفط على امتداد فترة العقد السادس كي تشكل في نهاية الأمر فارقا نوعيا جديدا .

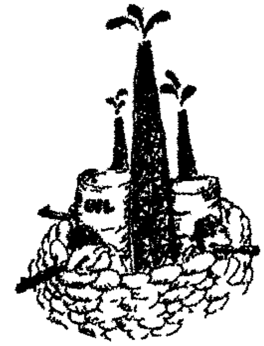
ويمكن الاشارة الى بعض العناصر : فعلى الصعيد السياسي نجد أن بلدان العالم الثالث كافة قد وجدت لها مكانها تحت شمس السياسة الدولية في اطار التوازن بين القوتين العظميين ، مع تزايد حركات الاستقلال وخروج الدول تباعا من السيطرة الاستعمارية الى رحابة الاستقلال .

وتزامن ذلك مع عناصر عديدة على المستوى الاقتصادي ، حيث تشابكت أيضا مجموعة من العوامل كالتآكل التدريجي في السيطرة الحصرية للشركات السبع أو الثماني الكبرى الدولية (الاحتكارية) ، بعد ظهور شركات نفط مستقلة قدمت شروطا أفضل للتنقيب عن النفط ، وأيضا مع ظهور شركات وطنية ـ لدى البلدان المنتجة ـ فرضتها حكوماتها للعمل في هذا الميدان .

كما تزامن ذلك ايضا مع فترة طلب شديد على النفط في سوق اتسمت بالندرة النسبية ، زادها حدة ما سببه الموقف العربي في حظر النفط عن بعض البلدان الغربية ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كل تلك الأسباب مجتمعة جعلت خطوات تصحيح الاسعار أمرا حتميا ، ولعلنا نشير الى الدورة الثانية والعشرين لمنظمة « الاوبك » في طهران في فبراير سنة ١٩٧١ ـ تلك الدورة التي يشير اليها المتابعون على أنها نقلة مهمة في علاقة شركات النفط بالدول المنتجة ـ فقد تم لأول مرة نقل المبادرة في تحديد الاسعار النفطية من يد الشركات النفطية الى يد البلدان المصدرة ، حيث فرضت ست دول ـ معظمها عربية هي السعودية والكويت والعراق وقطر والامارات العربية المتحدة وايران ـ فرضت زيادة في الضرائب على أرباح الشركات حتى بلغت ٥٥٪ ورفعت سعر نفطها بمقدار ٣٥ سنتا للبرميل الواحد . ولم تمر تلك





الاجراءات دون مقاومة عنيفة من جانب الشركات ، الا أن وقوف أعضاء أوبك جميعا مع تلك الاجراءات أنجح القرار وحسم القضية لصالح الدول الست ، وكانت بداية تاريخية لفرض قبضة « الاوبك » على زمام المبادرة .

وما يهمنا هو التأكيد هنا على أن تصحيح الاسعار اللاحق والذي حدث في ديسمبر ١٩٧٣ ـ والذي تسميه الأدبيات الغربية (بصدمة النفط الاولى) ! ـ هو في حقيقة الامر لم ينفجر بشكل درامي مثير بل كان ضمن سلسلة من الخطوات العملية التي قادت الى هذا التصحيح الأول في الاسعار ، بجانب ذلك هناك حقيقة أخرى تأكدت عمليا مفادها أنه لايمكن لأي بلد منتج للنفط وحده أو حتى لمجموعة صغيرة من المنتجين ، أن يواجهوا الشركات النفطية أو يخوضوا معركة انجاح قضية التسعير وتصحيح السياسات النفطية دون اتفاق كامل بينهم .

لقد ثبت أن قصور العلاج الذي طرح في بداية الستينيات من قبل مجموعة قليلة من البلدان المنتجة للنفط ـ والذي يتمثل في أن التجمع ضروري من أجل بناء قوة تفاوضية معقولة توازن قوة شركات النفط المترابطة والمتماسكة ـ هذا العلاج ثبت أنه الأنجع المحقق للغاية .

ومن تلك الحقيقة نستطيع أن نفسر الهجوم المتتابع والمضاد الذي قادته المصالح الغربية ضد الاوبك خلال العقد الماضي كله وحتى يومنا هذا تقريبا ، وأصبح الهدف الاساسي الذي تسعى اليه تلك المصالح هو فرط عقد الاوبك .

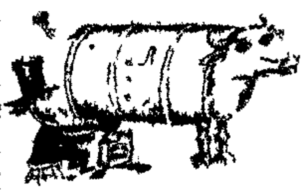
تقول : « الايكونوميست » Economist

« ان الحمقى وضعفاء النفوس وحدهم سيقلقون لمشاكل الاوبك » !! .

" الاوبك " هل هي احتكار ؟

☐ كثيرا ما نسمع أن الاوبك هي مجرد احتكار للمنتجين ، ولكن عند المقارنة بين ما تمارسه الاوبك وبين ما كانت تمارسه شركات النفط العالمية (الاحتكارية) تظهر لنا علامتان فارقتان : من حيث الاهداف والسياسات ، ومن حيث تحديد الاسعار : العلامة الفارقة الاولى من حيث الاهداف والسياسات : نجد أن شركات النفط شكلت روابط وثيقة التماسك فيما بينها من جهة ، وبينها وبين حكوماتها من جهة أخرى ، وكان من الصعب اختراقها لفترة طويلة ، ولقد تعقبت فوهات المدافع وقطع الاساطيل مصالح هذه الشركات الى أماكن كثيرة من العالم ، ومن كان يجرؤ على المساس بمصالح هذه الشركات كان يلقى العقاب الصارم في التو والساعة ، كما كانت هذه الشركات تطبق سياسات الانتاج والتسعير والتسويق بتجانس وتضامن ، وقد فرضت أسعارا متدنية للنفط الخام لفترة طويلة ، وأما أهداف الاوبك وسياساتها فلم تخرج عن تنسيق مواقف دولها تجاه أسعار النفط وطريقة حساب تكاليف الانتاج في بداية الأمر ، ثم انتقلت بعد ذلك الى فكرة اطار المشاركة في الملكية . وهي في ذلك لجأت الى الممكن والمستطاع لأنها لا تملك أساطيل أو طرق تهديد غير استخدام الطرق المشروعة والسلمية .

أما العلامة الثانية فهي أن تحديد الاسعار من قبل شركات النفط العالمية لم يكن في يوم من الايام خاضعا لطرفي معادلة (العرض والطلب) بل كانت هذه



الاسعار تحدد في اطار (احتكار) لصالح الشركات المنتجة ومصالح بلدانها .

ويذهب اليوم بعض المحللين المنصفين الى القول بأن أسعار النفط ازدادت تعرضا لعمل قوى السوق (العرض والطلب) منذ سنة ١٩٧٣ وما بعدها ، عما كانت عليه تحت نظام احتكار الشركات ذات الامتيازات السابقة .

وهناك أمثلة عديدة تضرب للتدليل على بعد الاوبك عن الاحتكار ، منها اختلاف أعضاء الاوبك في مؤتمر الدوحة عام ١٩٧٦ عندما كانت هناك وجهتا نظر للتسعير : واحدة تدعو الى رفع السعر بمقدار ١٥٪ والاخرى تدعو الى تجميد الاسعار ، وانتهى المؤتمر باقرار سعرين لنفط الاوبك لفترة محدودة .

بل ويعتقد بعض المحللين أن مصدري النفط العربي كانوا أكثر من حذرين مع الاعتبارات الدولية والبعد عن صفة الاحتكار عندما اختار بعضهم زيادة انتاجه من النفط في وقت يفيض فيه دخله على حاجته المالية ، اسهاما في خلق فرص أفضل لاستقرار الاقتصاد العالمي ، وكان ذلك في معظم فترة السبعينيات عندما كان سوق النفط « رائجا للبائعين » .

ومن هذه الامثلة وغيرها نجد أن الحديث عن « احتكار » يلصق بالاوبك لايعدو أن يكون محض افتراء .

الغريب أن أصواتا جديدة تعود اليوم في حلقات ما يسمى بخبراء النفط العالميين للقول باطلاق « قوى السوق » لتحديد أسعار النفط ، وأن على الاقطار المنتجة أن تبيع النفط بعد أن تأخذ نسبة معقولة فوق تكاليف الانتاج !

هذا القول على سذاجته يكتب ويقال في الندوات العالمية في وقت يتدنى فيه الطلب على نفط الاوبك بالذات .

ويعتمد هؤلاء في حقيقة الامر على المغالطة المنطقية بأن سعر النفط مثله مثل سعر أي سلعة أخرى يتحدد في المدى الطويل والقصير بتفاعل « العرض والطلب » ، ولكنهم يتناسون أن هناك عوامل وتأثيرات كثيرة تختفي وراء فكرة « العرض والطلب » الاكاديميين .

من هذه العوامل أن النفط ليس سلعة موحدة المواصفات . فهناك أكثر من مائة نوع من الخامات النفطية على أقل تقدير تصدرها البلدان المنتجة للنفط ، كما أن تحديد سعر عادل للنفط لابد أن يأخذ في الحسبان بجانب نوعية النفط وتكاليف انتاجه عوامل أخرى ، منها قرب المصدر المنتج من السوق أو بعده ، وتكلفة انتاج الطاقة البديلة ، والتعويض عن التضخم المالي ، وتأمين احتياجات التنمية التي تحتاجها الدولة المصدرة . . . الى غير ذلك من العوامل المعقدة

الهجوم على الاوبك

☐ نستطيع أن نعدد الكثير من الاقوال والاحاديث التي فجرتها الآلة الاعلامية الغربية ضد منتجي النفط وخصوصا العرب في السنوات العشر أو الخمس عشرة الاخيرة ، ولكن الاهم من ذلك هو رصد الخطوات العملية التي اتخذتها ومازالت تتخذها تلك المصالح الغربية ضد الاوبك .

لقد ذكر « جيمي كارتر » رئيس الولايات المتحدة السابق . . وعلى شاشات التلفزيون الامريكي في منتصف عام ١٩٧٧ ، وهو يقدم برنامجه لتقليص



استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة ، هذه الكلمات :

(تهددنا كارثة قومية في المستقبل القريب ، ان ازمة الطاقة لم تقهرنا بعد ولكنها ستقهرنا حتما ، اذا لم نتخذ التدابير على الفور) .

وكان قبل ذلك بسنوات قليلة جدا قد أعلن في الغرب عن انشاء الوكالة الدولية للطاقة ، والتي كان من بعض مهماتها تنسيق الاستهلاك للطاقة النفطية وتحديد سقفها في الدول الصناعية ، والهدف هو الحد من الاعتماد على نفط « الاوبك » .

والخطوات المضادة التي حدد لها عشر سنوات من الزمن يأتي بعضها أو كلها قبل ذلك الموعد نتيجة لهجوم علمي منظم ، كان من ضمن الخطوات المضادة استخدام الطاقة البديلة للنفط ، أو ما سمي لاحقاً ببرامج الاحلال (الفحم والطاقة النووية بدلا من النفط) ، وانهال التحريض على انتاج النفط خارج الاوبك حتى لو كان بتكلفة نسبية عالية مثل نفط بحر الشمال .

وبدأت أنشطة التراكم الاقتصادي تُحوِّل وتتجه نحو قطاعات يقل فيها استخدام الطاقة بشكل ملحوظ مثل الخدمات وصناعة التقنيات المتقدمة وتقليص نصيب الصناعة الثقيلة في الناتج القومي الاجمالي في الدول المتقدمة ، وبدأ المشترون للنفط يفضلون المنتج منه خارج الأوبك ، فبجانب افتقاد ميزة السعر النسبي تكمن عوامل ذات طبيعة سياسية .

وبعد عشر سنوات من تصحيح الاسعار نجد أن البرنامج المضاد قد أثر تأثيرا كبيرا في موقف الاوبك . فقد كان نصيب الاوبك في سنة ١٩٧٤ من عرض النفط العالمي قد بلغ ٦٦٪ انخفض في عام ١٩٨٤ الى ٤٤٪ فقط ، وكانت الضحية الاساسية هي النفط العربي ، فبينما تنتج الدول خارج الاوبك كمية تعادل طاقتها الكاملة ، وأعضاء الاوبك من غير العرب ينتجون نحو (ثلثي) طاقتهم ينتج العرب نحو (ثلث) طاقتهم فقط .

ولقد اضطرت منظمة الاوبك لاول مرة في سنة ١٩٨٣ لخفض الاسعار الى جانب تخفيض مبرمج في الانتاج . فبين ١٩٧٩ الى ١٩٨٥ انخفض انتاج الاوبك من النفط بحوالي النصف . (كان ٣١ مليون برميل يوميا تقريبا فأصبح حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) .

بالاضافة الى ذلك فقد اضطرت الاوبك الى اتباع برمجة الانتاج عن طريق وضع حد أعلى للانتاج الاجمالي ثم توزيعه في صورة حصص على الدول الاعضاء ، وهنا أيضا عانت الدول العربية المنتجة للنفط بشكل أكبر وتدهورت عائداتها المالية الى حوالي النصف ، من ٢٠٤ بليون دولار في سنة ١٩٨١ الى ١٠٢ بليون دولار في سنة ١٩٨٤ .

ويعني ذلك ـ اذا ترجم من أرقام الى واقع ـ أن الاقطار العربية المنتجة للنفط ستواجه سنوات عجافا ، تؤثر على خططها التنموية قطريا ومساهماتها القومية والدولية ، وتهون الصعوبات المالية في ضوء تهديد أكثر خطورة هو خلاف أعضاء الاوبك على توزيع حصص الانتاج والذي يمكن أن يؤدي ـ لو

تأزم ـ الى أن تشهد الاوبك آخر أيامها مما يجعل سوق النفط فوضى تعود بالدمار على معظم المنتجين . .

ويرى الخبراء النفطيون أن الاوبك من واجبها الصمود والمقاومة لفترة السنوات الخمس القادمة على الاقل حيث يتوقع بعدها ارتفاع الطلب العالمي على النفط . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو : من الذين يجب عليهم أن يضحوا أكثر في هذه السنوات القادمة . . هل هم العرب أيضا !

بين الحقيقة والتوهم

☐ يقودنا مجمل التحليل السابق الى مجموعة من الحقائق أهمها : أن السياسات المضادة للأوبك قد نجحت في وضعها في موقف الدفاع ، وهنا يبرز عنصر التعاون والتنظيم الحديث الذي وصل الى كل فرد من أفراد الشعوب المستخدمة للنفط في أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ، كما أن الحقيقة الاخرى تقودنا الى مراقبة نجاح التعاون بين حكومات الاوبك ، وهو تعاون يحتاج الى تضحيات من الجميع ، وليس من الاقطار العربية فقط .

ان الهدف السياسي لتحطيم الاوبك واضح للعيان ، فقد كان ظهورها وقدرتها اللاحقة على انتزاع حقوق أعضائها يمثل حدثا تاريخيا وعلامة بارزة في خبرة مصدري النفط من العالم الثالث وتجربتهم ، وقد مثلت حتى الآن موقعا فريدا بين كافة روابط العالم الثالث العاملة بانتاج المواد الخام وبيعها ، لذلك فان خريف هذا العام سيشهد اما انتصار الاوبك ، وبالتالي قدرة ورغبة بعض أقطار العالم الثالث على التعاون ، وإما ـ لا سمح الله ـ انهيارها

ولعل الحلول المطروحة للخروج من الأزمة تبشر ببعض الأمل ، فالفكرة القائلة بانشاء هيئة مراقبة لالزام الاعضاء جميعا بالحصص المقررة والسعر المتفق عليه ، تبدو مستعصية على التطبيق لاول وهلة ، إلا أن كثيرا من الافكار التي تبدو مثالية في بداية الامر يمكن تطبيقها ، كما أن هناك خطوات أخرى تقوم بها الاوبك لتوحيد جهودها منها استقطاب بعض منتجي النفط خارج الأوبك لأن تدهور الاسعار سوف يعرض مداخيلهم هم أيضا الى التدهور .

هذه الخطوات على أهميتها ستبقى نتائجها محدودة ، ولن تستطيع الاوبك وحدها ومن طرف واحد ، الوصول الى علاقة عقلانية بين المنتجين والمستهلكين ، واذا أردنا أن نحقق حالة من الاتحاد المتبادل والصحي فان ذلك يتطلب المشاركة والاهتمام من أطراف ثلاثة :

أعضاء الاوبك ، والمنتجين خارج الأوبك ، والمستوردين للنفط ، على حد سواء .

والمستقبل القريب سيتمخض عن كثير من الاجابات بخصوص الأسئلة السابقة . . .

محمد الرميحي

التحدى العلمى الإسرائيلى للقارة العربية

بقلم : د . عبد المنعم عبيد

يدرك المهتمون بمستقبل الوطن العربي أنه بما يمتلك من موقع مهم وثروات كامنة وتراث تليد ، سيدفع الى الوجود كتلة سياسية حضارية منتجة غنية ، تساهم في بنيان الحضارة الانسانية ، ولايسهل العدوان عليها ولايجوز تجاهلها ، فماهي آفاق استثمار هذه الثروات وماهي التحديات التي تواجهنا في هذا السبيل ؟

تشكل الارض العربية المترامية الأطراف مايشبه قارة قائمة بذاتها ، وتحتضن في جوفها أخصب الاراضي الزراعية،وأثمن الثروات وأكثر مصادر الطاقة تنوعا ، الى جانب تراث حضاري متميز وعريق . ومع ذلك فالامكانات مبددة والجهود مشتتة،ويكاد لهيب النزاع أن يضطرم بين أفراد القبيلة الواحدة ، التي تضرب بخيامها فوق أرجاء هذه القارة الواحدة ، مما يهدد امكانية أخذ العرب لموقعهم الحضاري المتميز في عالمنا المعاصر ، فما هي الاسباب لهذه الفرقة وهذا النزاع ؟

أساليبنا وأساليبهم

ان الأسباب ليست كامنة فينا ، وفي قياداتنا فحسب بل تكمن أحيانا في عزوفنا عن استعمال العقل ومايتوصل اليه من تداعيات منطقية ، وبث الصلة بينها وبين الحياة العملية ، كما تكمن احيانا اخرى في طرائقنا وأساليبنا في التفكير وفيما تمثله هذه الاساليب من مسلمات فكرية فرضت قيودا صارمة على حركة الفكر ذاته ، وبالتالي على قدرتنا على التصور البعيد والاعداد المسبق لحركة المستقبل

واختيار الأولويات ورسم الخطط المحددة والواقعية والاضطلاع بتنفيذها على مراحل متوالية تتميز بالثبات والثقة .

ولكي نتفهم انفسنا جيدا ، علينا ان نقوم بدراسة مقارنة لأساليبنا في بناء دولتنا العربية وكذلك لاسلوب « اسرائيل » في بناء دولتها على اساس من العلم ، وكيف اضفت لنا منذ بداية هذا القرن « ما استطاعت من قوة ومن رباط الخيل » . وسيجد الباحث ان الكثير من المعلومات والارقام منشور في كتب الاحصاءات الحكومية السنوية التي تصدرها الحكومة الاسرائيلية ، وفي غيرها من الكتابات بأقلام المؤلفين الغربيين والاسرائيليين ، والتي تنشر على أوسع نطاق في الكتب والدوريات العالمية وفي التحليلات النافذة والكتابات العميقة التي تصدر عن رواد النهضة العربية المعاصرة ، والباحثين في قضايا التخلف العلمي ومشاكل التجزئة والتبعية التي يواجهها الوطن العربي ، والمهتمين بوضع التصورات المستقبلية العربية.[1] ومع الاهمية الفائقة لمتابعة الاحصاءات والكتابات الاسرائيلية الا ان علينا الانغفل الميل المتعمد فيها الى التضخيم أو الكذب ، والى ماتفرضه مقتضيات السرية العسكرية والمدنية ، كما علينا ان ندرك ان هناك افتقارا الى المزيد من المعلومات التي يجب ان تكثف مصادر المعلومات العربية جهدها من أجل الحصول عليها اولا بأول من مصادرها الاسرائيلية والعالمية .

العقول في خدمة العلوم

صدر أول اقتراح بانشاء جامعة يهودية في فلسطين عن هيرمان شابيرا استاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرج الالمانية في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، واعطي هذا المشروع الأفضلية على مشاريع الاستيطان الأخرى ، لأن اليهود في أوروبا الغربية والمانيا بنوع خاص كانوا يدركون أهمية الجامعات والبحث العلمي وانشاء معهد ينبثق منه الحافز الروحي والمادي .

وتبنت المنظمة الصهيونية فكرة وايزمان التي تهدف الى انشاء معهد عال هدفه الأول اجراء البحوث العلمية ، ضمن اطار مدرسة لتخريج الطلاب بدلا من انشاء جامعة هدفها الأساسي هو التعليم وأخذ انشاء الجامعات ومعاهد البحوث وتطويرها يحظى بالأفضلية الكبرى لأهميتها في الاستيطان وفي الربط بين يهود العالم ويهود فلسطين .

وقد راحت الحركة الصهيونية منذ البداية تعمل على تطوير العلوم البحتة والتطبيقية معا ، عن وعي تام للدور الرئيسي الذي يمثله هذان اللونان من العلم في السلم والحرب ، وفي ٢٤ يوليو ١٩١٨ أرسى الصهاينة ١٢ حجرا اساسيا للجامعة العبرية بالقدس (تيمنا بأسباط اسرائيل الاثنى عشر) .

وتزعم الباحث الكيميائي حاييم وايزمان الحركة الصهيونية طوال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، حتى اذا اصبح أول رئيس لدولة « اسرائيل » ، انطلق في تطبيق العلوم على جميع المستويات ووضع الاعتبارات العلمية موضع التنفيذ ، مما ادى الى نمو سريع للمستويات الزراعية وانشاء الصناعات الاساسية وتنمية القدرة العسكرية الصهيونية ، وجعل الجيش قادرا على الافادة من المعدات العسكرية وعلى تطويرها كما سنرى فيما بعد

استعملت « اسرائيل » عقلها المفكر اولا في خلق القيادة الفكرية اللازمة لتطورها العلمي المستقبلي حيث انشأت في رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٤٩ مجلس الابحاث العلمية والذي اشرف بدوره على انشاء معظم المختبرات الصناعية . ثم اقدم بن جوريون عام ١٩٥٩ على انشاء « المجلس القومي للبحوث والانماء » . وتم خلق علاقة وطيدة بين المؤسسة الاكاديمية والمؤسسة العسكرية ، كما تم توسيع المعامل العسكرية الصناعية والاكاديمية ، وبعد ان رتبت « اسرائيل » عقلها وفكرها هي في مجال القيادة العلمية استعانت منذ فترة مبكرة بالعقول

(١) وهناك في هذا الصدد الكتابات العديدة للاساتذة الأجلاء انطوان زحلان واسامة الخولي وعلي نصار وسعد الدين ابراهيم ومحمود عبد الفضيل ونادر فرجاني وقسطنطين زريق وابراهيم سعد الدين واسماعيل صبري عبد الله . وقد رجعت الى كتابات العديدين منهم والى الدراسات الرائدة للاستاذ زحلان في اكثر من موضع في هذا المقال .

الالكترونية ، فاهتم معهد وايزمان في « رحابوت » بممارسة النشاط في حقل العقول الالكترونية لحاجة القوات المسلحة الى طرق جديدة للشفرة العسكرية . وتم انشاء العقل الالكتروني (وايزاك) في منتصف الخمسينيات ، واستبدل به العقل الأرقى وفي نهاية عام ١٩٦٧ كان في « اسرائيل ٨١ عقلا الكترونيا خمسة منها صنعت محليا ، وتم استئجار الباقي من شركات أمريكية وفي عام ١٩٦٨ تم تركيب عقل كبير cdc 6400 في الجامعة العبرية .

التكيف وفقا للقدرات

أدركت « اسرائيل » منذ البداية الفوارق بينها وبين دول القارة العربية في الطاقات الكامنة والتي تتلخص في الفروق السكانية والمساحات الواسعة التي تمنح الجانب العربي العمق الاستراتيجي ، والموارد الطبيعية الهامة مما يجعل الطاقات الاسرائيلية الكامنة تعسة،والموارد الطبيعية محدودة .

فقامت بتطوير النظام الاجتماعي ، والمؤسسات اللازمة ووضعت السياسات المناسبة لحشد هذه الموارد الضئيلة ، والحصول على مردود كبير منها ، واكتسبت المؤسسات العلمية والصناعية والعسكرية فيها قدرة على صيانة المعدات المعقدة لتوفر مقادير كبيرة من العملات الاجنبية كما حرصت القيادة الفكرية للمؤسسات العلمية الاسرائيلية المتمثلة في المجلس القومي الاسرائيلي للبحوث والانماء على ايجاد النظام الملائم من مؤسسات الأبحاث التي يتعاون فيها كل من العالم ، أو المهندس الباحث مع الاستراتيجي مع التقني جنبا الى جنب لتطوير العمليات المستحدثة (مثل تصميم القنابل التي دمرت مدارج الاسمنت في المطارات المصرية في ٥ يونيو ١٩٦٧ نتيجة للأبحاث في مجالات الاندفاع الصاروخي والديناميكيات الجوية) . ومنذ الستينيات شرع في تنفيذ ثلاثة برامج متوازية اولها الاستثمار المشترك بين الحكومة والصناعة في مشاريع محددة ضمن خطط تقترحها الشركات المعنية .

وثانيها تعلق ببذل جهود موحدة لانشاء مجموعة من الأبحاث التكنولوجية أو الأساسية ، والتي لها أهميتها بالنسبة الى قطاعات معينة في الاقتصاد . وثالث هذه البرامج كان انشاء مراكز بادارة المجلس القومي للبحوث والانماء لتنمية أبحاث صناعية طويلة المدى ، وذلك بالعمل في نطاق أوسع وأكثر فعالية مما تتيحه المخططات والصناعات الفردية أو تؤمنه جمعيات الأبحاث .

وقد اعاد المجلس القومي الاسرائيلي توجيه نشاطات البحوث والتطوير في الفترة مابين اعوام ١٩٦٧ - ١٩٧٨ ووضع نصب عينيه الهدفين المتكاملين التاليين في مجال العلوم : -

أولا : تكريس الانجازات في العلوم الاساسية وتوجيه النشاط في مجالي البحث والتطوير صوب القطاعات الانتاجية ، وزاد بذلك مجموع الانفاق على البحث والتطوير حتى وصل الى ٢,٣٪ من الناتج القومي والاجمالي ، وارتفع عدد الباحثين من ٩٤٠٠ باحث عام ١٩٧٩ الى ١٢٦٠٠ باحث عام ١٩٨٠ .

ثانيا : تشجيع المعاهد الأكاديمية - من خلال الانفاق الحكومي ومساهمات الهيئات وغيرها - على زيادة مساهمتها في البحوث التطبيقية والابداع التكنولوجي ، بالاضافة الى زيادة البحث والتطوير في القطاع الانتاجي نفسه ، وفي المؤسسات الحكومية للبحث والتطوير .

وتشير المقابلة المنشورة في جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١١/٦/١٩٨٥ مع الدكتور انطوان زحلان الى انخفاض نسبة العطاء العلمي بين«اسرائيل» والوطن العربي من حوالي ٢,٥ في أواخر الستينيات الى ١,٩ في اوائل الثمانينيات ، وبقاء نسبة العطاء العلمي الفردي دون تغيير رغم الزيادة السكانية في الدول العربية،وزاد الفرق في عدد البحوث العلمية بين « اسرائيل » والوطن العربي من ٦٦٠بحثا عام ١٩٦٧ الى ٢٠٤٥ بحثا عام ١٩٨٣ ، اي ان الفارق الفعلي تضاعف ثلاث مرات خلال ١٧ عاما ، ويعادل العطاء العربي عموما العطاء الاسرائيلي قبل عشر سنوات وفي عام ١٩٦٧ بلغ عدد العلماء الذين ينشرون بحوثا علمية في القارة العربية كلها ٤٦٥ عالما بينما بلغ عددهم في « اسرائيل » ١٢٥ عالما ، وفي عام ١٩٧٣ ارتفع عدد العلماء العرب الى حوالي ٨٥٠ وعددهم في « اسرائيل » الى ٢٤٠٠ ، وبعد عشر سنوات (عام ١٩٨٣) أصبح عدد العلماء العرب

جيمل ٢٩٠٠ وعدد الاسرائيليين ٤٦٠٠ . اما عدد المؤسسات العلمية التي ينشر علماؤها بحوثا علمية فيتراوح عددها بين ٢٧٥ الى ٧٠٩ أبحاث في العام فقد أصبح في « اسرائيل » خمس مؤسسات وليس هناك مؤسسة واحدة مثيلة في أي بلد عربي .

العلم في خدمة العدوان

انشأت « اسرائيل » المجلس الوطني للقوى العاملة عام ١٩٦١ وهيئة تخطيط القوى العاملة عام ١٩٦٢ لتنسيق الأبحاث الضرورية في تقدير حجم القوى العاملة والتخطيط لها . وقد وجد رئيس المجلس القومي الدكتور اليعازر تال أن معظم أهداف المجلس قد تحققت عام ١٩٨٠ ـ اذ سهلت الادارة الجديدة السابق ذكرها التطابق بين البحث والتطوير وبين النشاطات الجارية وحسنت التكامل بين قدرات المعاهد الأكاديمية والبحوث التطبيقية ، وطور المجلس السياسة الوطنية وساهم في اعتمادها وتنفيذها .

راعى وايزمان منذ البداية ان يصبح الجيش الاسرائيلي قادرا على استخدام المعدات المشتراة بكفاءة عالية وذلك بالافادة التامة من مؤسسات الأبحاث لكي تقوم بتصميم معدات مماثلة لتلك المستوردة وتصنيعها وادخال التحسينات على تقنية الحرب بجهود العلماء والفنيين في معاهد الأبحاث العسكرية التي تتلقى الدعم من الجامعات ومن مؤسسات الأبحاث المدنية بهدف احداث تعديلات جديدة بارزة في المفاهيم والعقائد والمعدات العسكرية المستوردة لكي يتسنى للجيش استخدام عنصر المباغتة في عملياته التكتيكية . وعهد الى المختبرات العسكرية مهمة تحويل المكتشفات في العلوم البحتة الى معدات حربية صالحة للعمل واستيراد التطورات العلمية الجديدة البحتة وتطبيقها على الجهاز الحربي ، كما شجعت وزارة الدفاع تنمية البحوث في طول « اسرائيل » وعرضها ، فأنشأت الوكالة الاسرائيلية للطاقة الذرية مراكز للابحاث النووية في كل من « سوريك ناحال » « وديمونا » .

وامتلكت وزارة الدفاع واعانت على التطوير بضع عشرة صناعة في حقل الالكترونيات وصناعة الطائرات الفائقة ووضعت ثقلها السياسي والمادي في تأمين الدعم الاقتصادي الضروري للصناعات الالكترونية وصناعة الطيران بوجه خاص .

كما ادخلت اساليب التخطيط الاداري النظامي في القوات المسلحة على الهيئات المدنية والاقتصاد المدني على اساس النمط المعتمد في التخطيط العسكري الاداري **High Pressure Planning** وكذلك في التصميم والانتاج والتوزيع ورقابة النوعية مع اشراك الباحثين المدنيين في حل مشاكل الصناعات العسكرية .

ولقد اقترنت الهيئات العلمية الاسرائيلية اقترانا وثيقا بالابحاث الجارية في الغرب وأصبحت تنفرد بين دول العالم الثالث بهذه العلاقات مع الاسرة العلمية الدولية ، بفضل ماسبق ذكره من انشاء المؤسسات الداخلية والمهارات التنظيمية القادرة على الافادة من الموارد المحدودة في مجالات البحوث، والدور البارز للتعليم العالي في الحفاظ على الدولة الحديثة ، وكان للعطف الشديد للغرب على « اسرائيل » وللعلاقات العضوية الحميمة مع الولايات المتحدة وللتطابق في الغايات الاستراتيجية وللوشائج الحميمة مع الحركة العلمية اليهودية في العالم عموما وفي الولايات المتحدة خصوصا دور بارز في تدعيم علاقات العلماء الاسرائيليين بالدوائر العلمية الغربية ، الا ان العلماء الاسرائيليين العاكفين على الانتاج والابداع في مؤسساتهم العلمية ، غير مشتتي الذهن بالانشطة الأخرى في العمل والحياة، وسعوا اتصالاتهم الدولية على جميع المستويات من مجرد الاشتراك في المجلات العلمية ، الى حضور المؤتمرات العالمية واستضافتها ورعايتها في « اسرائيل » .

وقد هدفت « اسرائيل » من هذه العلاقات الدولية الى تحسين صورتها في الخارج ، والتقدم بأبحاث في عديد من المؤتمرات الدولية تزيد اضعافا عما يقدمه الباحثون العرب، وقد حدث في الستينيات في مؤتمر في ايطاليا لفرع من فروع الطب مثل التخدير مثلا أن كان الوفد الاسرائيلي ثلاثة اطباء تقدموا بخمسة بحوث ، وبلغ حجم وفد احدى الدول العربية أربعين فردا لم يقدموا بحثا واحدا ، بل اكتفوا بالتقاط بعض المعلومات من بعض الجلسات

وانصرفوا معظم ايام المؤتمر الى النشاط الاجتماعي والشخصي .

اسرائيل والنشاط النووي

اشارت دائرة المعارف البريطانية عام ١٩٦٩ الى معهد وايزمان والى ماتضمنته نشاطاته العديدة من عقد المؤتمرات التي تناقش مشاكل تعليم العلوم في القارات الثلاث (اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية) مع ممثلين منها والاهتمام بجذب منظمات الشبيبة والشبان والرواد في الميادين العلمية تحت شعار « طريقة جديدة للتعاون » وتقديم المساعدات الهندسية والعلمية والطبية الى هذه البلدان منذ الخمسينيات ، فاصدرت الهيئات الدولية الموالية للصهيونية في الستينيات التوصيات بأنه (في وسع « اسرائيل » ان تلعب دورا رئيسا في مساعدة البلدان النامية على الازدهار بايجاد الوسائل لتوسيع مواردها الغذائية وتأمين العمل عن طريق صناعات اساسها العلم) . ولم يكن قصد المؤتمر السنوي العاشر للعلوم التكنولوجية في « اسرائيل » والشرق الأوسط المنعقد في نيويورك من هذه التوصية الا تمهيد الطريق لتغلغل « اسرائيل » في القارات الثلاث .

لقد سبق ان تناولت مجلة العربي « التعاون الاسرائيلي الوثيق في مجال الطاقة النووية مع الولايات المتحدة منذ وقت مبكر [٢] (مفاعل ناحال سوريك) ومع فرنسا بعد فشل العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ (مفاعل ديمونا) ثم ماتواتر عن تجمد العلاقات الذرية بين فرنسا ذات الوجهين « واسرائيل » في الماضي ، ثم تأييد الولايات المتحدة في عهد جونسون « لاسرائيل » في مجال انتاج الاسلحة النووية وبلغت أهمية الترابط الذري حدا كبيرا يتضح مما كشف عنه مؤخرا عن اتجاه « اسرائيل » الى تحريك اسلحتها النووية في اثناء حرب ١٩٧٣ لمواجهة الانهيار المحتمل للجبهة العسكرية الاسرائيلية امام مصر ، ومانتج عنه تحريك الاتحاد السوفيتي لبعض سفنه الذرية واعلان الولايات المتحدة للتعبئة الشاملة لأسلحتها النووية واصبح واضحا الآن التعاون المشترك والتجارب النووية المشتركة « لاسرائيل » مع جنوب افريقيا .

وكما اصبح الآن معلوماً بوضوح ـ مدى التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة « واسرائيل » بحسبانها القاعدة الاساسية للتدخل السريع في الشرق الأوسط ، ولجمع المعلومات الواسعة عن دوله في خزائن العقول الالكترونية وللتعاون المفترض في الخدمات الصحية للقوات البحرية الاميركية في البحر المتوسط ، وللتعاون في ميادين الفيزياء الحديثة ، مثل استخدام اشعة الليزر والجسيمات الدقيقة في التصويب على الاقمار الصناعية والصواريخ العابرة ، وقد اشرت في كتابات سابقة منذ الستينيات الى تبادل التدريس بين الاساتذة الاسرائيليين والامريكيين في معهد وايزمان ، والجامعات الأمريكية والى البحوث المشتركة بين الفريقين في مجال العلوم الفيزيائية والكيماوية المرتبطة بوسائل الاستشعار والمراقبة العسكرية . واخذ علماء « اسرائيل » ينتجون الأجهزة الدقيقة التي يتوصلون الى قوانينها العلمية في معهد وايزمان في عدة مصانع محمية من الغارات الجوية في الفناء الخلفي لهذا المعهد ، مثلما انتشرت المستوطنات العلمية اليهودية في وادي السليكون في كاليفورنيا منذ الخمسينيات وقد اخبرني وزير البحث العلمي المصري الاسبق د . صلاح هدايت بأنه حين اطلع على بعض جوانب هذه النشاطات الامريكية الصهيونية لجامعة كاليفورنيا في زيارة رسمية اشترطت عليه سلطات الجامعة في اوائل الستينيات لكي يتم اي تعاون علمي مشترك مع الجامعات المصرية . ايام عبد الناصر ـ الا تحصل الجامعات المصرية على اي بحوث اساسية وانما على بعض النواتج التطبيقية فقط ، وان يكون الوكيل المعتمد والمكلف بالاتصال بمصر هو دولة « اسرائيل » في ذلك الوقت .

وبالمقابل فلا يخفى على العلماء العرب الصعوبات الكبيرة في معاهد البحوث العربية في هذا الصدد بما سنناقشه بالتفصيل مستقبلا ، ولقد اشير الى ان اول محاولة لوضع نموذج رياضي لتصور مستقبل الوطن العربي ، سواء من ناحية الامكانات العسكرية

---

(٢) اسرائيل والسلاح النووي ـ د . عبد الرحيم حسين ـ مجلة العربي فبراير ١٩٨٥ ص ٢٢

والاحتفالات التنصرية ، كانت محاولة اسرائيلية . ويبحث الحاح « اسرائيل » على تطبيع العلاقات مع كل دولة عربية على حدة ، على التفكير في أهداف ومدى سهولة الحصول على المعلومات المدنية والعسكرية في كل بلد عربي يسمح لنفسه مستقبلا بتجوال جامعي المعلومات الاسرائيليين من العلماء والجواسيس في ربوعه ، وبعضهم يتقن اللغة العربية بلهجاتها المحلية وينطق اهل الأحياء الشعبية .

ماذا يعني كل ذلك

وخلاصة الأمر ان الازدهار العلمي في « اسرائيل » قام منذ بداية نشأة الدولة على فهم واضح سبقه بسنوات طويلة ، وعلى ادراك للعلاقة الوثيقة بين العلم وحياة المجتمع اليومية ومتطلبات المواجهات العسكرية المرسومة وتثبيت المستوطنات وحياتها ، وحل مشاكلها المعاشية والتدبير للهجمات العسكرية الدورية على البلدان العربية ، كما قام هذا الازدهار على اعتبار العلم من صميم الكيان الاجتماعي ومقوماته الأساسية ، وعلى فهم الطبيعة الدولية للعلم وعلى توفير المستويات الدولية للعلماء الاسرائيليين كما هو متوفر في علماء البلدان المتقدمة ، وعلى نيل العلماء والمؤسسات العلمية الدعم الكافي لتمكينهم من انجاز ابحاث لها قيمتها الدولية ، وعلى زيادة الاطلاع على الأبحاث الجارية في البلاد الأخرى ، وعلى استجلاب المعلومات العلمية باتساع وانتظام ، وعلى اعادة النظر وتقييم الاداء العلمي على المستوى الاساسي وعلى مستوى ارتباطاته بالمشاكل الزراعية وتطوير المؤسسات الصناعية .

لقد اسهبت في بداية المقال في الاشارة الى الامكانات التي حبت بها الطبيعة قارتنا العربية ، والامكانات التي توفرها لنهضة عربية مستقبلية ممكنة وضرورية . وما اريد ان أؤكده في نهاية هذا المقال ليس هو التميز الاسرائيلي على الوطن العربي في مجال العلوم والبحث العلمي بما لايمكن تجاوزه ، ذلك ابعد مايكون عن الظن والقصد . وانما اردت ان اقول ان ماتفعله اسرائيل « ان هو الا اتباع للاصول المعاصرة لدور الدولة الحديثة على النمط الغربي ، مع جهد « اسرائيل » في الاستفادة من الامكانات المحدودة ، وفي استغلال كنوز العلم وهي الكنوز الرئيسية المتاحة لكل من قرر الاغتراف منها ويعد نفسه لذلك ويبذل من الجهد المجدى والمستمر ماهو لازم لذلك ، حتى لمن لم يملك الكنوز الطبيعية اذا ما امتلك النية على اعلاء شأن العلوم الطبيعية والانسانية ، وبوأ العلم والفكر اعلى مكان . وقد اهوكت « اسرائيل » هذا الدور الهام لكي تعد نفسها بعد مرحلة الحروب التي دقت بها على الحديد العربي الساخن ـ للمرحلة الراهنة للسلام المراوغ ، ولما يليها من ارهاق عربي كامل في دوائر تتسع بالتدريج وبصبر ودأب على أمل الحصول على سلام مسيطر على كل دولة عربية على حده وقد سبق ان عبر حاييم وايزمان عن احلامه حين قال « ان اسرائيل » قد تواجدت في منطقة تعيش حالة من الضياع العقائدي بسبب الارتجاجات الطويلة التي تعرضت لهاءاي انها تفتقد الكثافة النفسية التي تمكنها من استيعاب اي حالة تقابلها وهي الى ذلك منطقة مستهلكة ويستخدم البدوي اسنانه جيدا ولكن قلما يستخدم يده بصورة جيدة فاذا وجد الاسرائيليون في هذه المنطقة استطاعوا تصنيع الهواء ثم تسويقه عربيا »

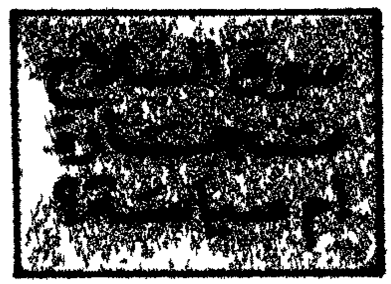
ولكن خاب فألهم الذي اعدوا له بناءهم العلمي منذ قرن من الزمان ، فهل قد آن الأوان لكي يضع العرب ما يجب عليهم أن يضعوه من سياسات علمية متبصرة ويقيموا في الخمسين عاما القادمة ، ومنذ اللحظة ، ما يجب عليهم ان يقيموه من مؤسسات تعليمية والبحوث العلمية الاساسية والتطبيقية ليتمكنوا من استثمار الثروات الراهنة وحل مشاكل البناء الحضارى حتى لايكون عبء ذلك السلام المراوغ اثقل عليهم من ويلات الحرب ؟ ! □

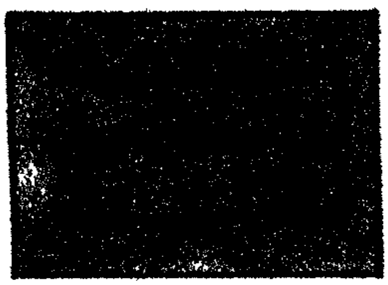
■ أما بعد ، فاسلم تسلم . . والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة
(خالد بن الوليد)

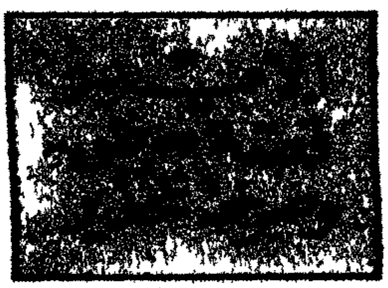
اقرأ في العدد القادم من العربي

□ "العربي".. تخترق أدغال.. صباح

استطلاع ملون .. سليمان مظهر







أمين هويدي — م. سعد شعبان — د. عماد شمس باشا

واقرأ: □ طبيعة الإبداع .... د. فاخر عقل

□ مواقيت المسلمين في أقصى الشمال والجنوب د. عبدالمنعم النمر

□ وجهًا لوجه ... د. عبدالحميد يونس وفاروق خورشيد

□ كتاب الشهر: الاكتشاف المحبط.. د. أمين العيوطي

□ الأسواق الشعبية في الخليج .. استطلاع بالألوان .. ثريا البقصمي

□ البيت العربي: ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت

□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضًا للكتاب:

د. محمد الرميحي - عبدالرزاق البصير - د. عبدالله عبدالدايم - د. حسين الوردي

د. حسان حتحوت - د. أحمد أبوزيد - محمد الفايز - فاروق شوشة

بقلم : محمود المراغي

المتهم البريء في أفريقيا

المطر . . متهم بريء فى افريقيا ، فعندما قل هطوله وحلّ الجفاف لم يكن ذلك وحده هو سبب الازمة الغذائية فى القارة السوداء،فقبلها . . كانت الازمة

وبعدها . . سوف تكون او سوف تستمر طبقا لتوقعات الخبراء .

اما الدليل فهو رقم يقول ان نصيب الفرد من الغذاء فى السبعينيات كان يتناقص سنويا بنسبه (١و١) بالمائة طبقا لارقام منظمة الاغذية والزراعة . . وان الازمة كانت سابقة على ذلك حين عجزت افريقيا جنوب الصحراء ان تقدم غذاء أكثر للفرد فى الستينيات الا بمقدار (١و٠) بالمائة سنويا . . وهو لايكفى لاشباع الحاجات او تلافى امراض سوء التغذية أو الموت المبكر للاطفال .

الازمة اذن قديمة . . والازمة ايضا ممتدة . . حتى انه من بين ٤٣ دولة افريقية جنوب الصحراء تعانى (٣٠) دولة من نقص الطعام فى الوقت الراهن ، وطبقا لتقديرات نفس المنظمة (الاغذية والزراعة) فإنها سوف تصبح ٩ دول عام (٢٠٠٠) . . و . . ذلك مع افتراض استخدام تكنولوجيا ومدخلات للزراعة بمستوى متوسط .

وبالطبع فان الغذاء ليس الا حلقة ضمن حلقات متصلة بدايتها الزراعة والسكان ، ففى افريقيا يوجد اعلى معدل لخصوبة المرأة فى العالم . . وبينما يهبط معدل الخصوبة الى طفلين لكل امرأة فى العالم المتقدم يتزيد المعدل فى افريقيا الى (٤و٦) طفلا لكل امرأة . . مما يجعل النمو السكان يفوق (٣) بالمائة سنويا . . بينما قل الانتاج الزراعى عن هذا المعدل فى النمو منذ اول الثمانينيات .

وداخل مجموعة الزراعة : قلّ الغذاء بنسبة اكبر . . وداخل مجموعة الغذاء كان للحبوب ـ وهى نصف غذاء العالم الفقير ـ نصيب الاسد فى التراجع !

و . . من هنا كانت المأساة : (٤٧٠) مليون نسمة يعانون من مجاعة دائمة ويهبط نصيبهم من السعرات الحرارية الى (٨٥) بالمائة مما يحتاجون ، ومن البروتين الى (٤٠) بالمائة فى بعض الاحيان . . و . . يموت (٤٠) بالمائة من الاطفال قبل سن الخامسة . . ويتراجع متوسط العمر اكثر من اى قارة اخرى . . ويقف سوء التغذية على رأس الاسباب .

الغريب ان افريقيا ليست الاكثر كثافة من ناحية السكان . . . . فالبنك الدولى يعتبرها قارة غير مأهولة بالكامل . . مساحات شاسعة . . وعدد قليل نسبيا من السكان حتى ان آسيا تسجل كثافة تبلغ خمسة اضعاف كثافة السكان فى افريقيا . . ولكن ، وكما يقول البنك الدولى ايضا . . فانه بالنظر لطرق الزراعة البدائية فان كثيرا من بلدان افريقيا وبالقياس على ما هو متوافر لديها من غذاء ـ تصبح مكتظة بالسكان . . !

. . والسؤال : لماذا ؟

الزراعة اذن هى محور الازمة ، وهو محور خطير لانه يمثل ثلاثة ارباع صادرات افريقيا ويستوعب (٧٠) بالمائة من العمالة فيها . . و . . مع ذلك فان

القدرة على تحقيق اكتفاء ذاتي من الغذاء تتراجع من (٨٣) بالمائة في اول السبعينيات الى (٧٣) بالمائة في عام ١٩٨٢ .. الى (٥٦) بالمائة وفق توقعات عام (٢٠٠٠) .

وعند الحديث عن اسباب التدهور تأتي قائمة طويلة تمتد من عوامل الطبيعة الى فن ادارة الموارد وضعف الامكانات وتركة الاستعمار

يتحدثون عن انسحاب اللون الاخضر وتقلصه في ظاهرة اطلقوا عليها اسم « التصحر » اى التحول الى الصحراء .. ويخلط البعض بين الجفاف ـ الذى يأتي بسبب نقص الامطار ـ وبين ظاهرة التصحر ، وهى الاخطر والابعد تأثيرا بالنظر لمشكلة اكبر هى مشكلة الارض المتاحة للزراعة .

ويقول العلماء ان الجفاف مهما كان شديدا فسوف يزول بنزول المطر .... اما التصحر فالامطار لاتزيله ، والارض تحت المطر لاتستعيد عافيتها بعد ان اصابها الجفاف بسبب عوامل عدة استأصلت اللون الاخضر ، وحرمت التربة من غذائها العضوى عبر اجراءات كثيرة كالافراط في الرعى والافراط في استخدام اخشاب الغابات مما يعرض الارض للتعرية والشمس والرياح ، والجفاف الحقيقى يزحف الان على مائة بلد في العالم ، جزء كبير منها في افريقيا جنوب الصحراء .. وبمساحة سنوية تزيد عن مساحة بلد كالسنغال .

مع ذلك فان التصحر وتدهور البيئة واحد من الاسباب ...

وربما يأتي نمط التنمية وتخلف اساليب الزراعة كسببين اكثر انتشارا ، فالكثير من الدول النامية ـ بعد الاستقلال ـ دفعها الطموح لخوض تجربة التصنيع ... وكان ذلك رغم ضرورته على حساب الاهتمام بالزراعة والغذاء .. وعندما اتجهت هذه الدول للتصنيع لم تعط الاولوية لما يلزم الزراعة من أسمدة ومبيدات حشرية وجرارات تدفع بالزراعة الى مستوى افضل .. وهكذا بقيت المشكلة الزراعية في افريقيا كما هى : زراعة متخلفة يسيطر عليها في معظم البلدان المحصول الواحد .. فالكاكاو محصول غانا الرئيسى ، والبن محصول اثيوبيا وبوروندى ، والقطن محصول السودان و.. هكذا ، مما كرس تخلف القطاع الزراعى .

وقد ساعد على ذلك وجود نسبة عالية من الاراضي المشاع ، كما ساعد عليه سيطرة الوسائل البدائية في الانتاج حتى ان (٨٠) بالمائة من فلاحى افريقيا يعتمدون على سواعدهم في فلاحة الارض ، (١٥) بالمائة يملكون حيوانات جر .. و (٥) بالمائة فقط يستخدمون الجرارات ..

وبمقارنة سريعة نجد انهم في اوروبا الغربية يستخدمون ٦٠ جرارا ليخدموا ألف هكتار ، وفى أمريكا اللاتينية سبعة وفى آسيا خمسة .. اما افريقيا فيهبط نصيبها الى جرارين فقط ، وفى مجال السماد اللازم لتخصيب الارض يبلغ المعدل في الولايات المتحدة ثمانية اضعاف افريقيا وفى اليابان (٢٥) ضعفا .

ثم .. تأتي مشكلة مياه الرى وسوء ادارة المياه وهو ـ وفقا لرأى الخبراء ـ اهم سبب من اسباب المشكلة الزراعية .. والمشكلة هنا ليست نقصا في الامطار فهذه مشكلة طارئة على الارجح .. لكن المشكلة في وضع نظم دائمة للرى وتخزين المياه ، وزراعة اكثر من محصول في العام وهو ما يحتاج لاستثمارات تفوق اى قارة اخرى ، وبما يجعل الهكتار الواحد يحتاج الى مبلغ يتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر الف دولار وبما يفوق آسيا ـ على سبيل المثال ـ عدة مرات .

.. الثورة الخضراء

المطلوب إذن : ثورة خضراء تواجه عوامل الطبيعة ، وتوقف تخريب الانسان للبيئة باستئصاله للغابات التى تحمى الارض .

المطلوب : طرق متقدمة في الزراعة تنهى عصر الانسان الذى يعمل عوضا عن الحيوان ، والحيوان الذى يعمل عوضا عن الجرار والآلة الزراعية .

والمطلوب : علاقات دولية اكثر عدلا واكثر انصافا لما تنتجه افريقيا من خامات تتبادلها في النهاية بغذاء وتكنولوجيا ومستلزمات انتاج ..

لذا فلا مفر من التكتل والتحرك الجماعى على مستوى افريقيا والعالم الثالث كله .. وربما كان مؤتمر القمة الافريقى الأخير البداية ... بشرط ان تتسع نظرتنا لتشمل الازمة الاكبر

وليست الازمة الاقل .. إنها أزمة الغذاء واللون الاخضر ، وليست ازمة الأمطار الطارئة . □

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاما

دعوة للتأمل

أربعون عاما مرت على انشاء جامعة الدول العربية ، ومنذ ذلك اليوم الذي وقّعت فيه سبع دول معلنة اعلان التأسيس وحتى اليوم ، حدثت على الخريطة العربية تغيرات كثيرة ، وجرت دماء كثيرة في الانهار والاراضي العربية ، وملأت الدنيا خلافات العرب . . وشهدت أيامنا القتال العربي / العربي ، وعاصرنا تبادل الاتهامات بالخيانة والعمالة . . واتهامات أخرى بالكفر والمروق والعصيان . .

أربعون عاما هبت فيها رياح التغير على هذا الجزء من العالم ، فلم يعد قط كما كان عشية اعلان الجامعة . . ولم تنته الرياح من تشكيل ملامح المنطقة بعد ، فمازالت التفاعلات والاحداث تتوالى وتتابع .

كانت هذه الرؤية كلها أمامنا ونحن نفكر كيف نقف أمام الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة الدول العربية ، ندرك ـ كما يدرك كل العرب ـ الأزمة التي يعيشها الوطن العربي . . ولكننا نختلف قليلا في أننا نملك أملا لغد أفضل ، نختلف لأننا لا نؤمن بأن المنطقة مقبلة على الانهيار ، ونختلف لأننا نرى أنه ليس صحيحا أن هناك انتحارا جماعيا يمارسه العرب ، فكل ما في الأمر هو تفاعل ديناميكي لمجموعة من العوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، لم تنته بعد وتفرز نتائجها ، فلم تزل القوى الاجتماعية العربية تتفاعل داخل مجتمعاتها ، لتعيد تشكيل البنيان الاجتماعي بنظمه وقوانينه وعلاقاته ، وفق متغيرات الاقتصاد وعلاقات السياسة .

ولذلك . . فعندما فكرنا في خيارات الموضوعات لهذا الملف ، كان واضحا لنا أننا لا نقيم مآتم ولا نحتفي بعمق الفرح والبهجة ، ولكننا نحاول أن نضيف اضاءة للطريق ونطرح أفكارا للمناقشة والحوار ، قلنا فلندع خلافات السياسة ، ولنترك قضاياها ، ولنفكر في محاور استراتيجية نؤمن من خلالها ان جامعة الدول العربية لو منحتها كثيراً من الوقت وكثيراً من الجهد لأثمرت وأعطت نتائج تسهم في صياغة غدنا العربي الأفضل .

وكانت المحاور الثلاثة هي :

أ ـ أزمة الغذاء العربي

ب ـ التعاون العلمي العربي

ج ـ التعاون العربي الافريقي .

وكان تصورنا أن هذه المحاور هى أهم ما يشغل بال كل مهتم بالهمّ العربى ، فالوطن العربى يعيش أزمة غذاء ، وهى أزمة لم تعد مشكلة اقتصادية خالصة ، بل أصبحت مشكلة سياسية بالدرجة الأولى . فلقد شهد الوطن العربى فى العقدين الأخيرين تدهورا كبيرا فى الوضع الغذائى ، وعجزت برامج التنمية الزراعية العربية عن سد الفجوة الغذائية ، واتجه الوطن العربى الى الاستيراد ، الذى اتسع نطاقه ليشمل بالاضافة الى القمح السكر واللحوم ومنتجات الألبان والزيوت النباتية والدهون ، وفى سلعة واحدة حيوية كالقمح ، فإن معدل نمو الانتاج العربى منها لا يتجاوز ١,٧٪ وهو معدل لا يجاوز نصف معدل نمو السكان ، وتبلغ واردات الوطن العربى منه أكثر قليلا من نصف حجم الاستهلاك ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الاقتصادية كما اشرنا ، اذا أدركنا أن سوق القمح العالمية ـ السلعة الاكثر حيوية ـ موضع احتكار رئيسى لثلاثة بلدان هى الولايات المتحدة وكندا واستراليا ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الآنية لترتبط بكل عمليات النمو والتنمية ، فحجم الحاصلات الزراعية العربية ومساحة ما يخصص من الأراضى الزراعية لزراعة حاصلات صناعية . . لا يكفى لتأمين تشغيل طاقة صناعية ذات فائدة وجدوى ، فضلا عن أن التشغيل يكون عادة موسميا ، ولفترات محدودة ، لا تصل الى مستوى التشغيل الكامل . ويرتبط بأزمة الغذاء تخلف اقتصاديات الانتاج الحيوانى ، وتخلف اساليب الانتاج الزراعى ، واعتماد الزراعة العربية فى جزء كبير منها على الأمطار ، اذ أن ٧٨ بالمائة من جملة الأراضى المزروعة تروى بالمطر . . .

المحور الثانى هو التطور العلمى العربى وامكاناته ومستقبله ، وهو محور يشمل عدة جزئيات من حيث أهمية التربية والتعليم فى اللحاق بالعصر وتطوير تدريس العلوم الاساسية ، وتطوير مؤسسات البحث العلمى ومراكز الأبحاث، والتعاون والتنسيق فيما بين هذه المؤسسات والمراكز العربية ، فمما لا شك فيه أن العالم يعيش ثورة علمية كبرى تعادل الثورة الصناعية أهمية ان لم تكن تفوقها .

المحور الثالث هو التعاون العربى الافريقى ، وهى قضية بالغة الأهمية والحيوية للمستقبل العربى ، فأفريقيا هى العمق الاستراتيجى للوطن العربى ، وهى الامتداد الجغرافى له ، وهى سلة خبز العالم القادمة ، وسوقه الكبيرة المقبلة ، ففى دولة كالجابون أراض زراعية صالحة لانتاج ما يكفى سكانها مائة مرة ، وفى الكونغو أراض يكفى انتاجها سكانها ٧٥ مرة ، فضلا عما تحويه افريقيا من مصادر للمواد الأولية التى تكفل قيام صناعات كبرى وتوفر احتياجاتها .

كانت هذه تصوراتنا من المحاور الثلاثة عند التفكير فى ملف عن الجامعة العربية ، ورأينا أن نكتفى بالتعاون العلمى العربى والتعاون العربى الافريقى من منظور نقد وتقييم ما هو قائم . . آملين ان تكون هذه بداية للتأمل والتفكير لتطوير الواقع، والرائه ، انها دعوة للتأمل فى أى مسار نسير ، وأى الدروب نختار ، وأى الخيارات نقبل ، وكيف نواجه تحدى المستقبل والحضارة والبقاء !! . . .

« العربــى »

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاما

العمل العلمي العربي المشترك
ذكريات وآمال

بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

إن النظر في تجربة العمل العربي المشترك ، في المجال العلمي - التكنولوجي ، يقودنا إلى مناقشة الأسس التي قام عليها ، وإلى التعرف على مدى اتساق الممارسات الفعلية فيه مع هذه الأسس ، وإلى متابعة التطورات التاريخية التي مرّ بها الادراك الحكومي والشعبي لهذه الأسس ، والتي لا بد وأنها قد انعكست بشكل أو بآخر على الممارسات في العمل العربي المشترك .

قد يكون من المفيد - في محاولة لاستعراض مسيرة العمل العلمي العربي المشترك - أن نشير إلى بعض الشروط الأخرى التي لا بد من توفرها حتى يكون لأى عمل جماعي بين عدد من الأقطار في مجال من المجالات ، من الفاعلية والجدوى ما يبرر قيامه وإنفاق الجهد والمال فيه . ومثل هذه الشروط مهنيّ أو تقني ضروري للعمل الجماعي حتى بين أقطار لا تربط بينها أواصر خاصة بالهوية الحضارية . وفي هذا يستوى العمل الجماعي الذى تشترك فيه أقطار عربية مع أقطار أخرى غير عربية ، مع العمل الجماعي العربي المحض . إن تأكيد هذا الفارق النوعي ضرورى لفهم الدوافع الحقيقية للأعمال العربية العلمية المشتركة التي تمت حتى الآن ، وللتمييز بوضوح بين المنطلقات المهنية - التقنية المحضة لتبرير قيام عمل جماعي ، وبين المنطلقات القومية لهذا العمل في المجالات المتخصصة . ففي الحالة الأخيرة يرتبط النشاط المشترك بمفهوم سياسي معلن ومسيطر في الوعي الجماعي ، يكسب النشاط المشترك صفات خاصة وتوجهات مميزة . ولكنه يجعله - في نفس الوقت - مستهدفا لاعتبارات سياسية ومع ما يأتي به هذا من عزم مضاعف وإصرار على تجاوز العقبات من جانب ، ومع ما قد يحمله هذا في الجانب المقابل ، من مخاطر في لحظات الأزمة أو اختلاف وجهات النظر بين الأقطار المشاركة .

أما وقد نبّهنا منذ البداية للبعد السياسي للعمل المشترك ، فلنذكّر أيضا بأن المتطلبات المهنية التقنية هي الشرط اللازم في جميع حالات العمل الاقليمي أو الدولي المشترك ، بينما المتطلبات السياسية هي إضافات تكسبه صفات نوعية جديدة ، ولكنها وحدها لا تصلح ، في أي ظرف من الظروف ، أساسا لعمل مشترك في مجال متخصص مهما كان قدر العزم والارادة والاصرار .

والمتطلبات التقنية التي لا بد من توفرها في أي عمل مشترك في مجال ما هي في جوهرها قسمان . الأول هو وجود حد أدنى أو كتلة حرجة من النشاط القطرى في الأقطار المشاركة في العمل الجماعي . فبدون هذه القاعدة ذات الفاعلية الدنيا على المستوى القطرى يكون العمل المشترك كيانا فوقيا لا يستند إلى قواعد راسخة في الأقطار المشاركة ، ونبتا يفتقر إلى الجذور الضاربة في أرض هذه الأقطار والتي تغذيه دوما بحصيلة الخبرة القطرية التي تبرّر قيامه من أجل التنسيق بين جهود قطرية ، أو من أجل تبادل الخبرات . وسيبقى فاقدا القدرة على الحد الأدنى من التأثير المحمود على كمّ أو نوع العمل القطرى . أما الأمر الثاني ، فهو مشاركة أكبر عدد ممكن من أقطار المنطقة أو الاقليم بحيث يمكن أن يطلق عليه بجدارة اسم العمل الجماعي ، متميزا بهذا عن العلاقات الثنائية أو الثلاثية والتي لا ترقى ـ مع التسليم بأهميتها وجدواها ـ إلى مستوى العمل الجماعي في منطقة أو اقليم .

وعلينا أيضا في استعراضنا لخبرات الماضي القريب أن نميز بوضوح بين مستويي العمل العربي العلمي المشترك ، ألا وهما مستوى العمل الشعبي للأفراد العلميين أو التنظيمات المهنية للعشائر العلمية العربية ، ومستوى العمل الحكومي الرسمي للمنظمات والهيئات الاقليمية التي تشارك فيها الأقطار العربية كدول أعضاء تلتزم بسياسات قطرية معينة ، تعكس توجهاتها وترتب أولوياتها . وربما يبدو لأول وهلة أن العمل العلمي على المستوى الشعبي يكون أكثر حساسية للمنطلقات القومية ، وأقل تأثرا بالمواقف الرسمية . وسنرى فيما بعد أن هذا صحيح في جملته ، وأن التنظيمات الشعبية للعشائر العلمية العربية كانت أكثر تحررا في مواقفها من التنظيمات الحكومية ، وأنها قد صمدت وتماسكت في ظروف الخلافات والانقسامات ، بمثل ما لم تقدر عليه هذه الأخيرة . وفي الجانب المقابل ، لا بد أن نشير هنا أيضا إلى أن التنظيمات الحكومية بدورها ، قد سُمعت فيها ـ إبان أزمات الخلاف والشقاق بين الدول الأعضاء ـ أصوات كثيرة تؤكد دورها المتخصص ، وذلك في محاولات محمودة الدوافع لتجاوز هذه الأزمات ، ولاستمرارها في أداء رسالتها . وفي تاريخ هذه المنظمات الحكومية أمثلة كثيرة لجهود مكثفة بذلت في تجاوز عن الخلافات بين الدول الأعضاء ، كانت تركز الاهتمام على أنها ليست أساسا منابر لاعلان المواقف السياسية اللحظية ، بل إنها كانت تستلهم المنطلق الوحدوي القومي لتأكيد دورها التخصصي ، مؤكدة على أن من مصلحة الجميع أن تنأى المنظمات بنفسها عن حلبة هذه الصراعات وأن تستمر في أداء رسالاتها التخصصية خدمة لكل الأطراف المشاركة فيها .

البدايات التاريخية

جذور العمل العربي المشترك ، على مستوييه الشعبي والحكومي ، لا تضرب إلى ماض بعيد ، ولا تتجاوز بداياتها الأولى نصف قرن أو أقل . فحتى نشوب الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك عشائر علمية أو تكنولوجية تذكر إلا في قطرين أو ثلاثة في المشرق العربي . وحتى على الصعيد السياسي كانت الأقطار العربية كلها تقريبا تعاني وطأة الاستعمار بصورة أو بأخرى ، ولا شك أن إعلان قيام جامعة الدول العربية ، وتصاعد حركات التحرير ، وحصول الأقطار العربية تباعا على نوع ما من الاستقلال السياسي ، كل هذه العوامل قد أكدت مفهوم الوحدة العربية ووطدت دعائمه في وعي شعوب المنطقة ، في الوقت الذي نمت فيه العشائر العلمية ـ التكنولوجية واكتسبت قياداتها مكانة معترفا بها في كثير من الأقطار العربية من خلال مشاركتها المرموقة في حركات التحرير ، ثم في إدارة شئون البلاد .

والمشاهد أن العشائر العلمية - التقنية العربية كانت سباقة للتواصل والتعاون . ولقد شهد الوطن العربي في الخمسينيات والستينيات نشأة العديد من الاتحادات العلمية - التقنية العربية واتساع دائرة نشاطها ، وإن اقتصر هذا النشاط لعدة سنوات على المشرق العربي وحده ، فلقد كان المغرب العربي ما زال يخوض في تلك الآونة معاركه الضارية مع الاستعمار الفرنسي ، والتي كان آخرها انتصار حركة التحرير الجزائرية التاريخي . وسوف يذكر التاريخ لحفنة من الرواد الأول من العلماء والتكنولوجيين العرب عزمهم ودأبهم في هذا المجال ، وسيزداد التقدير لانجازاتهم إذا ما تذكرنا أنها قد تحققت دون أية معونة تذكر من الحكومات العربية ، بل إنها قد تعرضت للمقاومة الصريحة والخفية في عدة مناسبات .

ولقد جمعت منطلقات هذه الجهود الرائدة بين الوعي القومي والايمان بالوحدة العربية ، وبين نزعات مهنية كان أبرزها تأكيد شخصية العشيرة العلمية أو التقنية داخل مجتمعها القطرى ، والدفاع عن مصالحها في إطار شبه نقابي ، إلي جانب اهتمامها بالمشاركة في تطوير مجتمعاتها ، وتقديم خدمات محدودة في مجالات تخصصها فيما نسميه جهود التنمية .

ومع أن هذا كان الرافد الرئيسي في نهر العمل الشعبي العلمي المشترك ، إلا أننا نستطيع أن نميز رافدين آخرين كان لهما شأنهما ولا شك ، وإن وقعا وسطا بين العمل الشعبي والنشاط الحكومي . فلقد شهدت فترة ما بعد الحرب حركة الاستعانة بالأفراد العلميين من الأقطار التي هيأت لها ظروفها التاريخية قاعدة سكانية عريضة ونظاما تعليميا أكثر تطورا في مجال بناء قدراتها الذاتية في مجالات العمل العلمي التقني ، وذلك في الأقطار الأخرى الآخذة بسبيل تنمية مجتمعاتها وكوادرها المتخصصة ، وبالذات في مجالات التعليم العالي وتطوير المرافق العامة والبنى الأساسية والخدمات الاجتماعية (كالتعليم والصحة) ، ثم في الصناعة والزراعة . ولم يكن الحافز المادى سببا رئيسيا في بداية هذه الحركة . ولعلنا لا نكون مخطئين إذا ما رأينا فيه مظاهر نزعة مستمرة بين العشائر العلمية - التقنية العربية للتواصل والتعاون وتبادل الخبرات . ولقد تعاظم دفق هذا الرافد مع تسارع جهود التنمية في شبه الجزيرة العربية والخليج بالذات في السنوات الأخيرة . وغدا واضحا أن توفر ظروف أفضل للعمل ، وحوافز مادية غير متاحة في دول المنبع ، والمضايقات السياسية التي تعرضت لها بعض الفئات في أوطانها قد غدت اليوم العوامل المسيطرة على هذه الحركة التي تشغل الآن بال دول المنبع والمصب على حد سواء ، وإن اختلفت أسباب هذا الاهتمام ودوافعه .

الرافد الثاني الذي كان له في تقديرنا دوره المحسوس - وإن نضب معينه الآن - هو دور الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية في عقد تسعة مؤتمرات علمية عربية ، عالج كل واحد منها موضوعا شغل أذهان العشائر العلمية - العربية وقتئذ . فسرعان ما أصبحت هذه المؤتمرات حدثا هاما تتطلع إليه هذه العشائر وتحرص على الاسهام في إعداده وعلى المشاركة المؤثرة فيه ، إذ وجدت فيه منبرا يعبر من فوقه قادة هذه العشائر عن تصوراتهم بشأن مشاكل العمل القطرى والقومي ولا شك أن الاعداد الجيد لهذه المؤتمرات ، والذى كانت الادارة الثقافية تحرص على أن يشترك فيه أفراد من كل الأقطار العربية ، وجو الحرية في النقاش والمداولات ، كانت أسبابا رئيسية في نجاح هذه المؤتمرات . وكانت البحوث التي تقدم لهذه المؤتمرات ، والتوصيات التي تخرج عنها تصدر فيما بعد في مجلدات ، تظل التنظيمات العلمية - التقنية تتداولها وترجع إليها وتجد فيها زادا قيما في ترشيد عملها . واكتسبت توصيات هذه المؤتمرات أهمية معينة اعتُبرت بموجبها سبيلا لاثارة اهتمام الحكومات العربية بقضايا العلم والتقنية . ولقد عقد المؤتمر التاسع والأخير عام ١٩٦٩ في القاهرة . وكان السبب في هذا التوقف هو قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مطلع السبعينيات ، واندماج الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فيها . ولقد ارتأت المنظمة بحكم كونها منظمة حكومية أن تبدأ سلسلة من المؤتمرات لوزراء العلم ورؤساء أجهزة البحث العلمي العربية . وتم عقد المؤتمر

الأول في بغداد عام ١٩٧٤ . ومن الأمور التي لا مفر من التذكير بها هنا ، هو أن سلسلة مؤتمرات وزراء العلم العرب هي الوحيدة من بين المؤتمرات الوزارية العربية المتخصصة التي توقفت بعد عقد المؤتمر الأول ولحتى الآن . ومن إحقاق الحق أيضا أن ننوه بتنظيم مكتب العلوم والتكنولوجيا بالأمانة العامة للجامعة لعدد من اللقاءات المتخصصة الرائدة ، لعل من أهمها الندوة العلمية العربية في موضوع التلوث البيئي عام ١٩٧٢ (وهو عام انعقاد مؤتمر ستوكهولم عن البيئة) ومتابعته لتوصيات المؤتمر العربي الأول للثروة المائية وعلوم البحار الذى نظمته الجامعة عام ١٩٦٨ .

ويقودنا هذا مباشرة إلى النظر في البدايات التاريخية للعمل المشترك على المستوى الحكومي . وطبيعي أن يكون لجامعة الدول العربية دور رائد في هذا المستوى . وكانت قد نشأت في الأمانة العامة للجامعة ، بعد أن تجاوزت الأعوام الأولى من حياتها ، إدارات متخصصة قامت إلى جانب الجهاز السياسي فيها . ويعنينا منها هنا الادارة الثقافية التي كانت أقرب ما تكون إلى مجال العلوم والتقنية ، وإدارة البترول التي كان قيامها داخل الأمانة العامة انعكاسا طبيعيا لأهمية النفط في اقتصاديات عدد غير قليل من الدول العربية . وقد شغلت ببعض القضايا العلمية ـ التقنية في مجال تخصصها . وقرب نهاية الستينيات أنشىء مكتب للعلوم والتقنية ألحق بمكتب الأمين العام ، وانتقل إليه القدر الأكبر من اهتمامات الادارة الثقافية في هذا المجال ، وإن ظلت العلاقة بينهما داخل الأمانة العامة غير واضحة المعالم .

وحوالي هذا الوقت أيضا بدأت حركة إنشاء المنظمات العربية المتخصصة على نسق مماثل لما كان يجرى في الأمم المتحدة . ففي عام ١٩٦٩ أنشأ مركز التنمية الصناعية للدول العربية (إيدكاس) كجهاز متخصص في هذا المجال داخل الأمانة العامة . وجاء هذا بعد عامين تقريبا من تحويل مكتب التنمية الصناعية في أمانة الأمم المتحدة إلى منظمة متخصصة . ويلاحظ أن المركز العربي ، وان تشابه تنظيمه الداخلي مع التنظيم الداخلي للمنظمة الدولية ، قد اختلف تنظيم مجلسه الرئاسي عن التنظيم الدولي ، إذ اكتفى بمجلس إدارة يضم عضوا ممثلا عن كل دولة مشاركة . وسمّت كل دولة مندوبا من مواطنيها العاملين في هذا المجال ليكون نقطة الاتصال بين المركز وبين دولته . واستطاع مركز التنمية الصناعية بفضل القيادة المحنكة والجسورة لمديره العام الأولّ ، والذي قضى نحبه بعد أقل من عامين من نشأة المركز وهو منكب على عمله فيه ، أن يفرض نفسه كجهاز فعال ومفيد في التنمية الصناعية . ولقد اضطلع المركز خلال أشهر معدودات من نشأته المتواضعة في غرفتين في مبنى الأمانة العامة ، بمشروعات طموحة للمسح الصناعي والتدريب المتخصص ورفع الانتاجية والكفاءة الادارية في عدد غير قليل من الدول الأعضاء في المشرق والمغرب على سواء .

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) والتي أعدت الادارة الثقافية مشروع تنظيمها وميثاقها فقد ظلت لعدة سنوات حلما ينتظر التحقيق عند توقيع عدد كاف من الدول الأعضاء على ميثاقها ، الأمر الذى لم يتحقق إلا في بداية السبعينيات . وجاء نظامها صورة طبق الأصل لمنظمة اليونسكو الدولية ، إذ كان لها مؤتمر عام ينعقد كل سنتين ومجلس تنفيذي يجتمع كل ستة أشهر ، ومع أن الظروف الموضوعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، والمناخ الفكرى السائد آنئذ واللذين نتج عنهما الجمع بين أشتات الثقافة والتربية والعلوم في إطار واحد لم تعد قائمة ، لا دوليا ولا عربيا ، في مطلع السبعينيات عندما نشأت المنظمة العربية . والواقع أن المنظمة بوضعها الحالي تكاد أن تكون ثلاث منظمات منفصلة لكل منها توجهاته واهتماماته ، ولا يجمع بينها موضوعيا في أعمال كل جناح من أجنحتها الثلاثة قاسم مشترك تخصصي واضح . إلا أن الاهتمام بشأن هذه المنظمة الجديدة نما بسرعة ملفتة وتضاعف نشاطها وحجم موازنتها وعدد العاملين فيها بسرعة خلال سنوات معدودات . وأخذت المنظمة الجديدة على عاتقها مسئولية عقد أول مؤتمر عربي لوزراء العلم والمسئولين عن البحث العلمي في بغداد عام ١٩٧٤ ، اشترك فيه جمع غفير من العلميين والمسئولين الحكوميين وخرجت عنه توصيات شاملة تطرقت إلى العديد من

قضايا العلم والتقنية ودورهما في تنمية المجتمعات العربية . ثم تصادف موعد عقد المؤتمر الثاني مع موعد انعقاد المؤتمر العربي في سلسلة مؤتمرات نظمتها اليونسكو في مناطق العالم للوزراء المسئولين عن العلم والتقنية وتطبيقهما في التنمية . واتفقت المنظمتان على الاشتراك سويا ومع اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا في عقد مؤتمر « كاستعرب » الأول في الرباط عام ١٩٧٦ . وسيطرت المنظمة الدولية بأسلوب ديكتاتوري ، وبفضل إمكاناتها الكبرى ، على مراحل الاعداد وعلى سير أعمال المؤتمر واستطاعت بتدخل سافر ومباشر أن تنتزع من الوزراء العرب قرارا بأن يتحول هذا المؤتمر إلى مؤتمر دوري تدعو إليه وتنظمه اليونسكو بالتعاون مع المنظمة العربية . وكانت هذه نقطة تحول خطيرة في مسيرة العمل العلمي العربي المشترك وفي تطور العلاقات بين المنظمات والهيئات العربية وتلك الدولية .

وفي عام ١٩٧٤ ظهرت الدعوة لانشاء اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ، ولقيت اهتماما وتدعيما من حكومة الجمهورية العراقية بالذات التي قدمت للاتحاد الوليد تسهيلات هامة ساعدت وسارعت بقيامه عام ١٩٧٦ . واستطاع الاتحاد بعد بداية لم تخل من التعثر أن يصوغ عددا من البرامج وأن يباشر تنفيذها . وأنشأ علاقات عمل ، شابها التوتر والتداخل أحيانا مع المنظمات القائمة ، واتسع نطاقها مع مرور الزمن ، كما استطاع أن ينشيء علاقات عمل مع هيئات علمية في بعض الدول الصناعية والنامية ومع المنظمات الدولية . ويتكون الاتحاد من مجالس أو هيئات البحث العلمي في الدول الأعضاء . وللمجلس أو الهيئة العضو صفة مزدوجة ، إذ انه يعتبر أيضا ممثلا للدولة التي يعمل فيها . وجاء تنظيم الاتحاد ، على عكس الكثير من المنظمات الحكومية المتخصصة التي تحاكي نظيراتها الدولية ، متميزا بسمات خاصة به ، ولا يحاكي دون مبرر تنظيما دوليا آخر ، ولو أن الصيغة التنظيمية التي تميز بها ونشأته خارج أسرة منظمات الجامعة العربية قد نتجت عنها بعض المشاكل في تنسيق علاقته معها ، خصوصا في السنوات الأولى لنشأته . ولقد لقي الاتحاد في بداية عمله صعوبة في إيجاد مكان له بين المنظمات العربية القائمة من قبل . وزاد من حدة الموقف أن الأمانة العامة في أول اجتماع لمجلس الاتحاد ، دعت بعض هذه المنظمات إلى التخلي عن برامج معينة لصالح الاتحاد . ولكن الاتحاد انصرف بعد هذا إلى نشاطات أخرى مكملة لنشاطات المنظمات العربية الأخرى وأكثر التصاقا باهتمامات أجهزة البحث العلمي العربية . ويبدو الاتحاد اليوم ، وبعد أن استكمل المقومات الأساسية لكيانه ، وكأنه مقبل على مرحلة الاتقان والتجويد . وهو يبدو الآن حريصا على الوصول إلى تحديد دقيق للمهام التي يجب أن يتصدى لها تحقيقا لأهدافه .

العمل العربي المشترك والعلاقات الدولية

قضية أثر العلاقات الدولية في العمل العلمي العربي عموما قضية لم تلق ما تستحقه من الاهتمام حتى الآن . ولعلنا لا نبالغ إن زعمنا أنها في جوهرها وجه آخر لقضية التبعية والعلاقات غير المتكافئة . ونستطيع أن نميز هنا بين مجموعتين رئيسيتين من العلاقات ، الأولى العلاقات مع المنظمات الدولية ، والثانية مع المنظمات الاقليمية والدول . ونجد في كل من هاتين المجموعتين طيفا من العلاقات يتفاوت من حالة إلى أخرى ومن وقت لآخر . ولكننا نستطيع مع ذلك أن نميز بعض الملامح .

لقد لاحظنا قبلا النزعة التي تميزت بها المنطقة العربية وحدها في محاكاة الأشكال التنظيمية لهيئات الأمم المتحدة عندما شرعت في إنشاء المنظمات العربية وعدم الالتفات إلى تجارب مناطق أخرى مثل أمريكا اللاتينية التي اهتمت بقيام منظماتها الاقليمية في نفس الوقت تقريبا . ولسنا بحاجة أن نشير إلى أن الاطار التنظيمي لعدد يزيد على مائة دولة ، متنوعة الحضارات والثقافات واللغات والنظم السياسية ، ليس بالضرورة أفضل نظام لحوالي عشرين دولة نرى أنها تجمعها وحدة الثقافة واللغة والهدف . وتعنينا هنا دلالة هذا الأمر على موقف الاستسلام بأن لدى هذه المنظمات الدولية معينا من الحكمة يجعلها نموذجا يحتذى ويدفع المنظمات العربية لمحاولة تقليدها .

ولقد غذت هذا الموقف نزعة غير صحيحة تقتضينا الأمانة أن نشير إليها بشجاعة من منطلق الاحساس بالمسئولية . فلقد عمدت هذه المنظمات إلى أسلوب احتواء العناصر القيادية بإغراءات المزايا المادية والمعنوية التي تملك توزيعها ، وباضفاء هالة زائفة على إمكانات هذه المنظمات وحجم إنجازاتها وأهمية أعمالها . ولسنا نزعم أن الكل قد انقاد لهذا الاغراء أو أن العرب الذين التحقوا بالعمل بهذه المنظمات أو تعاونوا كانوا كلهم أدوات سهلة التوجيه . ولكننا لا نملك ، في الوقت نفسه ، إلا أن نواجه وجود شيء من هذا وأن ننظر في أسبابه وسبل تصحيحه .

ولم تكن كل المنظمات الدولية على علاقات عمل صحية مع المنظمات العربية تقدر الأولوية التي توليها لمشاكلنا ومواقفنا القومية . فلقد رأت بعض هذه المنظمات الدولية في الهيئات العربية منافسا لها يغتصب قدرا من المكانة التي تريد أن تنفرد بها على الساحة العربية ، فنشأت بينها صراعات حادة ومدمرة أحيانا . ولقد وقفت الحكومات العربية مواقف غير حاسمة في هذه الصراعات ولم تكن راغبة ـ على الأقل حتى الآن ـ في تأكيد شخصية منظماتنا العربية ، وتدعيم مكانتها . وقد يكون لها بعض العذر في هذا ، فمنظماتنا لم تثبت كلها كفاءة الأداء والفاعلية التي تؤهلها للدور الذى نريده لها . والملاحظ أن المنظمات العربية التي حققت هذه المكانة استطاعت أن تتعامل من موقف قريب من موقف التكافؤ والنِّدية مع نظيراتها الدولية .

أما علاقات العمل العربي المشترك مع التنظيمات الاقليمية ، فأهمها في نظرنا هو ما دار بعد حرب أكتوبر في إطار الحوار العربي الأوروبي . ونقصر النظر هنا على اللجان المرتبطة بالعلم والتقنية ، فنلاحظ أن الموقف العربي اتسم بالعفوية في هذه اللجان وبعدم الاعداد الجيد له وبتغير الشخصيات العربية المشاركة فيه إلى الحد الذى لم يحقق موقفا عربيا متناسقا أو مطردا . وحتى وقت قريب جدا لم يهتم العرب عموما بالعلاقات بالعالم الثالث أو النامي ، ولم ينشطوا بشكل ملحوظ مثلا في النشاطات التخصصية لمجموعة دول عدم الانحياز ، ولم يحاولوا إقامة علاقات مع دول أمريكا اللاتينية أو جنوبي شرق آسيا في مجالات العلم والتقنية . وقد نستثني من هذا شيئا من الاهتمام ، الذى كان في غالبه فرديا ، بإقامة جسور مع الدول الأفريقية ومنظماتها المتخصصة .

وقد لا يكون من التعسف أن نقرر بشكل عام أن الهدف من إقامة علاقات دولية ما زال غامضا غير مبرمج ، وأن السمة الغالبة عليه حتى الآن هي إبراز دور عربي ما على الأصعدة الدولية من خلال هذه العلاقات الشكلية ، والحضور الدائم في المناسبات والاجتماعات وإنشاء قنوات للتعرف على التطورات العالمية ومتابعتها .

ثم ماذا عن المستقبل ؟

القضية في الواقع العربي ليست بهذه البساطة . فالأقطار العربية تتفاوت كثيرا في أوضاعها الراهنة وفي ثرواتها الطبيعية ، وقدراتها البشرية ، ومراحل تطورها ، وواقع مسيرة التنمية فيها . وما يصلح لقطر عامر بالسكان تهيأ له نظام تعليمي عريق وعريض لا يصلح لقطر آخر وهبه الله من الثروات الطبيعية الخير الكثير وإن قل عدد سكانه ، أو لثالث يعاني من نقص فادح في الموارد ، وقصور في الهياكل الأساسية . وهذا أحد المبررات الأساسية للعمل المشترك في إطار مخطط قومي شامل ، وإنما من خلال برامج تجمع بين عدد من الأقطار التي يحقق اشتراكها معا جدوى ملموسة وتقف وراءه إرادة سياسية قوية . وما زالت مسألة الربط بين مستويات العمل القطرية والجهَوِيَّة والقومية غير واضحة المعالم وغير مدروسة بتمعن وموضوعية .

ـ وإذا ما كان العمل المشترك لا يقوم إلا على دعائم راسخة من العمل القطرى ، فإن المسار الثاني الذى لم نسلكه بإصرار وعزم حتى الآن هو رسوخ القناعة على كل المستويات بأن للعلم دورا في تحقيق نهضة الأمة العربية وإقالتها من كبوتها . ونحن لا نتحدث هنا عن شعارات يطلقها الساسة والقادة في المناسبات معلنين إيمانهم بأهمية العلم ، وإنما نعني أفعالا تعكس قناعة حقيقية بهذا المنطلق . ولا مجال هنا لترديد ما نعرفه جميعا من قصور في الانفاق على العمل العلمي وتعجل لعطائه وضيق بمتطلباته . □

الجامعة العربية بعد ٤٠ عاما

مؤسسات التعاون العربي الأفريقي

ملاحظات أساسية

بقلم : حلمي شعراوي

اذا لم يسلم القارىء ببعض الأوليات حول حتمية وجود حد أدنى « للتعاون العربي - العربي » أو «بالضرورة التاريخية» لقيام « المؤسسات العربية المشتركة على الأرض العربية » أولا ، فان تردده أمام هذه « المسلمات » سوف يوقعه في حالة من الاحباط ويمنعه من الاستمرار في مطالعة هذا المقال ، وخصوصا وأن تأمل الموقف على الجانب الافريقي بدوره لايقل اغراء بالاحباط .

لو أن ما يقوم من مشكلات يرجع الى صعوبات التفاهم بين ٦٤ دولة عربية وافريقية هي مجموع دول القارة والوطن العربي - لو أن هؤلاء جميعا لم تجمعهم أية مواثيق مشتركة أو ساحات وهموم وثقافات موحدة بطبعها ، لتركت القارىء لانفعالاته ضد منطق التوقع لما لا ينتظر ، أو احباطه لنتائج الفوضى المتوقعة في العلاقات لكن القارىء الذكي لن يطلق مشاعره لمثل هذه التوجهات في التفكير ، وهو يرى أمامه هذه المؤسسات الجامعة على المستوى العربي والافريقي - معا وعلى حدة - بل يرى المجموعتين في حراك دائم ، وسط تجمع آخر لعدم الانحياز وثالث للدول النامية ، ورابع لمنتجي البترول والمواد الخام ، وخامس في الجامعة الدولية للامم المتحدة . . . .

ومعنى ذلك أنه يتوفر للمجموعة العربية والافريقية من الساحات لتحقيق أوزانها ما لايتوفر لأية مجموعة اخرى غير الاوروبية - نقيضنا التاريخي حاليا - وان تنسيق التعاون بين العرب والافارقة خصوصا فيما

نسمية « بمأسسة » العلاقات بينهما على النحو الـذي تم ـ نسبيا ـ يعتبر كسبا خاصا وسط هذه التجمعات الـدولية ، وهـذا ما يضـاعف من عبء التأمل فيه والمحاسبة على نتائجه . .

البدايات

لم تكن الاحداث بين عامي ١٩٧٧/٧٣ اذن في حياة العلاقات العربية الافريقية مجرد أحداث عارضة أو غير ذات دلالات مستقبلية فقد توجت بـاجتماع رؤساء الدول العربية والافريقية بالقاهرة في مارس ١٩٧٧ ليضعوا مواثيق التعـاون الاربعة الشهيـرة ، ويعلنوا الالتزام « الجماعي » بمخططات وبرامج متفق عليها ، ويؤكدوا أدوار جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية في تنسيق هذا العمل ، تسندهما لجنة دائمة للتعاون العربي الافريقي من ٢٤ دولة (١٢ عن كل طرف) ويقسمون مجالات العمل على ٥ لجان فرعية ، ويحـددون جدولا زمنيـا لاجتماع كـل هذه الهيئات من قمة الرؤساء (كل ٣ سنوات) الى قاعدة اللجان (كل ستة شهور) . . .

واستبشر الجميع خيرا . . .

فها هي أموال البترول وقد استقرت مجاريها في يد العرب وعدد من الدول الافريقية أيضا . . وها هي بعض الدول العربية والافريقية ذات طاقات تنفيذية لايستهان بها

وها هي مجالات العمل بين ٦٤ دولة تزخر بالايدي العـاملة ، والمـواد الخـام ، والمسـاحـات الـزراعيـة الشاسعة ، ثم تأتي أخيرا مـرحلة « المأسسـة » لكل ذلك ، باقامة هياكل ومؤسسـات تضمن ضبط كل هذه الأطر وفق مواثيق ١٩٧٧

فكيف مضت الامور ؟ وأين نجد أنفسنا من كل ذلك بعد ثماني سنوات خلت ؟

وماهي حدود مسئولية « المؤسسة الرئيسية » . . . جامعة الدول العربية ؟

لن أمضي هنا كثيرا في تفاصيل عالجتها كثرة من الكتابات والدراسات حول « الأموال » كيف صرفت أو الاجهـزة كيف صُرِّفت ؟ ولكن ونحن بصـدد الجانب « المؤسسي » للموضوع ، فاننا سنركـز على بعض هذه المؤسسات التي كنا نتوقع أن تجعل التعاون بين « كتلتي » العرب والافـارقة ـ بما توفر لهما من ظروف ـ مثلا يحتـذى فيمايسمى بحوار الجنوب / الجنوب ، او الحوار الثنائي الخاص وسط محـاولات « العالم الثالث» المقهور للتحرر من السيطرة المركزية المعروضة عليه . . .

وهنا تقفز أسماء هيئات أساسية في التعـاون مثل « الامانة العامة لجامعة الدول العربية » ومقابلها في منظمة الوحدة الافريقية ،« والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا »«وصندوق المعونة الفنية للدول العربية والافـريقية » « وجهاز التعاون الـدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية » بالمنظمة العربية للتربيـة والثقـافة والعلوم ، الى جـانب المنظمـات العـربيـة المتخصصة الاخرى . . . وهي التي تعتبر المؤسسـات الفـاعلة للجان الـدائمة والفنيـة والاجهـزة المنفـذة للتوصيات والقرارات . . . « الجماعية » . . .

النقد من الداخل

أمانة جامعة الـدول العربيـة : لابد أن يـلاحظ القـارىء أنها جـامعـة « الـدول » العـربيـة وليسـت « الجامعة العربية » ويقـدر أثر « النـزوع القطري » المبكر في أسس قيام هذه المؤسسة

ومعنى ذلك أنها ليست ذات سلطة او امكانيـات « فوقية » تمكنها من عمل جماعي يتجاوز « افـراد » الجامعة ، فهي لاتدعو لجنة لايوافق عليها « جميع » الاعضـاء ، ولا تنفـذ مشـروعـا لايلقي تـأييـدهم « جميعا » !

ولم يمض وقت طـويل عـلى تطلع هـذه المؤسسة للقيام بدورها بعد القرارات « الجماعية » في مارس ١٩٧٧ حتى تفجرت مسألة كامب ديفيـد فاستحـال عقد لجنة التنسيق واللجنة الدائمـة للتعاون العـربي الافريقي فيما بين ١٩٧٩ و ١٩٨٢ ، وساعـد تفجر مسائل « الصحراء الغربية » « تشاد » ـ اي النزاعات العـربية / العـربية عـلى استمرار الجمـود ثم كانت « أفـرقة » هـذه النزاعـات جميعا بما جعل الافـارقة يصرخون في كل مكان أن العرب يصدرون مشاكلهم للقارة التي لاتنقصها المشاكل !

ويحضرني هنا تحـذير بعض علماء الشربية من أن « المقهور » يظل يتمثل سلوك قاهره حتى يتبناه تماما ،

تابعا وعبرا ورغم اننا لانتمنى حدوث ذلك بالطبع فاننا نخشى أننا لانتمثل من السلوك الاوروبي الا الرغبة في الرفاهية واستهلاك « معداته » دون تمثل « أدواته » في السيطرة على بيئاته وادارة مصالحه .

وتظل « ادارة السوق الاوروبية المشتركة » مثلا ناصعا لنا جميعا رغم الاختلافات بين أعضائها . ورغم غرامنا باستيراد المعدات والحديث الدعائي عن « استيراد » الافكار فاننا لم « نستورد » ما ينفع من ادارة المصالح المشتركة في مجال هام مثل التعاون العربي الافريقي . .

ولم ندرس مثال « شيسون » حين اختلف معه الرئيس ميتران كوزير لخارجيته فاعاده لادارة التعاون الاوروبي مع العالم الثالث . . تخصصه المفضل والناجح !

الظروف الضبابية

في هذه الظروف من الضبابية العربية بذلت أمانة جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية أقصى جهدهما لانقاذ ما يمكن انقاذه من آثار التشرذم العربي والافريقي . وحين كنت اراقب اجتماعات لجنة التنسيق بالخرطوم في مارس ١٩٨١ ، وهي لاتضم الا رئيسي الجانب العربي والافريقي في اللجنة الدائمة مع الامينين العامين للمنظمتين وبعض رؤساء المنظمات المتخصصة ، كنت اشفق تماما على أمانتي المنظمتين وتوقعاتها في جو لا يستطيعان فيه جمع اللجنة الدائمة بسبب عضوية مصر فيها ، ثم ما أصاب منظمة الوحدة نفسها بسبب مشكلتي الاعتراف بالجمهورية الصحراوية وتشاد لكن هاهي الايام تمضي فتؤسس الامانتان علاقاتها الثنائية باتفاقيات التعاون ، وصياغة اتفاقيات مقاطعة النظامين العنصريين في فلسطين وجنوب افريقيا ، وتنسيق اتفاقيات المنظمات العربية المتخصصة مع منظمة الوحدة الافريقية ، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة العمل . . . الخ

وتنجح الامانتان في عقد اللجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي لثلاث مرات بعد عام ١٩٨٢ كما تمضي العلاقات المباشرة بين الامانتين بشكل مطرد . لكن اية اتفاقات لاتستطيع الا أن تبقى في الحيز المعنوي للعلاقات والتعبير عن الطموحات « الجماعية » وهيكلة مؤسسات التعاون واعدادها للمستقبل واما الواقع فيمضي بعيدا عن ذلك ، فلا الامانتان هما مجموع الدول الاعضاء ، ولا القرار السياسي في المجموعتين أصبح جماعيا في حدوده الدنيا وكامب ديفيد العربية تكاد تستقر في الواقع العربي مثيرة للمزيد من الانقسامات ، يقابلها كامب ديفيد افريقية في الجنوب الافريقي . ولعل كل ذلك هو الذي أدى مؤخرا لشكل جديد يصيب عمل الامانتين اللتين ترقبان دفعة جديدة باجتماع المجلس الوزاري المشترك للمنظمة الافريقية والجامعة العربية في طرابلس ابريل ١٩٨٥ واذ بالاجتماع يؤجل الى أجل غير مسمى بسبب ضرورة حضور الجمهورية الصحراوية مع الجانب الافريقي على الاقل ، وهو حضور مرفوض من قبل عدد من الدول العربية . . من هنا ويدون اجتماع لمجالس التصديق النهائي على هذا النحو فانه يتوقع شلل كبير في عمل الامانتين . فما هو دور المؤسسات الاخرى ، على المستوى الجماعي والذي يتوقع أن تمضي بها الامور متجاوزة العقبات « الفردية » بين الدول الاعضاء ؟

المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا : يبدو من اسمه انه ليس مشروعا عربيا افريقيا مشتركا وانما هو « مصرف عربي » للتنمية « الاقتصادية » موجه لافريقيا ، وترجع اسباب ذلك الى نزوع بعض الدول العربية الغنية لضمان تصريف أموالها من جهة ، ونزوع بعض الدول الافريقية الغنية (نيجيريا ـ الجابون مثلا) الى عدم الرغبة في المشاركة بأموالها خلال موجة تحميل البترول العربي وحده كل مسئولية الازمة الاقتصادية في العالم الثالث على نحو ما أرادت ذلك الحملة الدعائية في السبعينيات . بل وقد كانت بعض الدول العربية تدفع فكرة « الصب » في « بنك التنمية الافريقي » بابيدجان وحده ، لترضية الافارقة وليس صياغة لعمل عربي افريقي تنموي مشترك .

والمصرف العربي الذي يعتبر عملا « اقتصاديا » ناجحا وبحق ، والذي يبلغ رأسماله حوالي ٨٠٠ مليون دولار ، وأصبح يسهم في أكثر من ٨٠ مشروعا اقتصاديا افريقيا ، لايستطيع وحده أن يكون نقطة

انطلاق رئيسية في تقييم التعاون الاقتصادي العربي الافريقي . .

ان القارة الافريقية التي تعاني من خطة رأسمالية عالية لخفض أسعار المواد الخام بينما التزايد فلكيا في أسعار المواد المصنعة . . قد وصلت فيها عملية التنمية الى طريق شبه مسدود . فالديون على الدول النامية أصبحت تزيد على ٤٥٠ مليار دولار وسداد الديون نفسه يحتاج الى أكثر من مائة مليار في العام . . .

ويكفي لتصور « الظلم العالمي » أن تعرف أن العجز في ميزان مدفوعات الدول الغربية مجتمعة حين وصل الى ٥٠ مليارا عام ١٩٨٠ اتخذت من الأجراءات الحمائية ضد وارداتها من العالم الثالث ما جعل العجز ينخفض مباشرة في العام التالي الى ٣١ مليارا بينما يرتفع العجز في دول العالم الثالث من ٥٣ مليارا ١٩٧٠ الى ٤٦١ مليارا عام ١٩٨٠ ، ومع ذلك تلهث دول العالم الثالث « لتنظيم » علاقاتها بالدول الغربية في ذلك الاتفاق المجحف المسمى باتفاقية « لومي » فقط لتنظيم الاجحاف . . . !

من هنا فانه بدون نظرة تنموية حقيقية في العالم العربي وافريقيا ، فانه لايجدي اقامة مصرف لاغراض اقتصادية بحتة ، حتى لو كان هو بيت الخبرة العربية المنظمة على نحو ما يبدو فعلا .

سيولة عربية لافريقيا

ان « المصرف » يملك أية أداة تنسيقية لسيولة حوالي ٨ مليارات دولار عربية اتجهت لافريقيا في السنوات الثماني الماضية عبر قنوات معظمها « دولية » وقليلها محلي ، والمصرف لا يملك نفوذا يستثمر به خبرته المتراكمة كاحدى مؤسسات التعاون العربي الافريقي ليوزع الاموال العربية توزيعا عادلا ، فلا تتمركز في مراكز النفوذ الامريكية والفرنسية على نحو ما حصلت عليه زائير والسنغال وغينيا بعد توجهها الجديد في عهد توري ومالي،حيث حصلت كل منها على حوالي نصف مليار دولار من القروض والمساعدات ، وهي لاتتحكم في وسائل استثمارها والمصرف نفسه ـ وهو القائم على أساس اقتصادي ـ لاتنموي ـ (الربحية وتمويل التجارة) لايملك نظرة استقلالية تحمي للمال العربي من الاستيعاب في الشركات «العالمية» ومتعددة الجنسية ، مقابل تنمية دور شركات وطنية قادرة أو تتدرب على القدرة ، مهما تحملت من خسائر ، فالمقصود « بمأسسة » التعاون العربي الافريقي ليس فقط زيادة استثمار الاموال ، وانما نمط وطني في دفع عملية التنمية ، ومع ذلك ، فالمصرف يقود حملة جذب رأس المال العربي لافريقيا وسط مخاوف غير مبررة كثيرا لدى هذا الراسمال الى حد أن مؤتمر المستثمرين العرب والافارقة لم يستطع الانعقاد حتى الان لاذابة مابين الطرفين من « جليد الخوف » ، كما وان تضاعف الازمة الاقتصادية والفساد السياسي في افريقيا لايساعد على خلق الثقة من جهة بل لا يساعد على توفير البنية المناسبة لاستثمار واسع على نحو مايتطلع اليه المال العربي من جهة اخرى . ولذا نقول ان بناء الثقة يحتاج لعمل سياسي معمق ـ شعبي وثقافي ـ وبناء البنية التحتية يحتاج لتوجه تنموي للتعاون اكثر من التوجه الاقتصادي السائد .

ولذا نكرر أن المسئولية مزدوجة على الجانب العربي والافريقي ، وانه آن أوان قيام المشروع المشترك الكبير الذي يبقى تاريخيا في ذهن الشعوب وعلى خريطة التنمية الحقيقية ، وليست أمثلة السد العالي وسد الفولتا ببعيدة . . .

ـ صندوق المعونة الفنية للدول العربية والافريقية : هو أحد اجهزة الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وهو ايضا من القصص الدرامية في واقع التعاون العربي الافريقي . . . فقد انشىء الصندوق بناء على قرار من القمة العربية بالرباط ١٩٧٤ ، وبرأسمال مقدر بحوالي ٢٥ مليون دولار على أن تعد ميزانيته ونفقاته السنوية بعد ذلك في حدود ٥ ملايين دولار سنويا ، وكان مقدرا أن يكتسب المشروع قوته من مصدر القرار وهو القمة العربية ، كما أنه قد قام على مبدأ « تقديم الخدمات الفنية والعلمية البشرية للدول الافريقية وسوف يكون مجال اتصال واسع على المستوى الانساني والاجتماعي بين العرب والافارقة » ، ومجالا لتوجيه العون دون طمع في الربحية او الظرفية . . .

المعونة الفنية والتعريب . . . والقومية

ولكن منذ البداية تجاهل الجانب العربي تأكيد هذه الروح ، فلم يتم تصور أي تكرين مشترك (عربي / افريقي) للصندوق ، وانما يديره الجانب العربي كـادارة في الجامعة العربية من ممثلي « المموليين » كمجلس ادارة باكثر من ممثلي الكفاءات العربية وهيئات المعونة الفنية العربية المعروفة . ومنذ البداية شعر المسئولون العرب كأن مبلغ ٢٥ مليون دولار اكبر من ان يقتصر على افريقيا ، فأدرجوا فيه المساعدة الفنية للدول العربية التي تقوم بعملية التعريب كعون « فني » عربي في المجال وليس كقضية قومية تحتاج الى تمويل خاص اكثر من نصيبها مع ٤٠ دولة افريقية اخرى في مبلغ متواضع مثل راس مال الصندوق !

ومع ذلك لم يمض تمويل الصندوق وتشجيعه على الاستمرار بسهولة كأداة عربية في دفع الجانب الفني والاجتماعي للتعاون العربي الافريقي فسرعان ما تراكمت العقبات ولم تستطع مؤسسة الجامعة أن تدفع « المؤسسات » الاقتصادية الى مشاركتها هذا الهم . ومع أن مجلس الجامعة العربية هو الذي قرر في دورته ٦٧ لعام ١٩٧٧ بالقاهرة « بان تؤول فوائد صندوق الاقراض والبالغة ١٣,٣ مليون دولار الى صندوق المعونة الفنية ، وأن تعتبر كـأنصبة اضـافية دون ان تحتسب ضمن مساهمات الاعضاء في رأس المال الاصلي » الا أن هذا التقليد لم يتح تطبيقه من مؤسسة الجامعة بعد ذلك لاعلى أرباح المصرف العربي للتنمية في افريقيا ، ولا باقناع الدول العربية المانحة للقروض في افريقيا بتخصيص جز من ارباحها لمثل هذا الهدف الفني والاجتماعي .

أقول ذلك وتحت يدي التقرير الأخير للصندوق عن نشاطه حتى عام ١٩٨٤ ، والمفروض أن يقدم للقمة العربية المنتظرة حاليا مستصرخا المسئولين العرب بانقاذ هذا الكيان الذي يكاد يتوقف تماما كما سنرى بما سيشكل عيبا مشينا في وجه العرب جميعا على الساحة الافريقية . . فما الذي تصرخ به حقائق هذا التقرير :

* ان راس المال الاساسي (٢٥ مليون دولار) لم يدفع منه حتى عام ٨٤ الا مبلغ ١٤,٩ مليون دولار

* ان المساهمات الدورية التي تقررت منذ انعقاد مجلس الجامعة في مقديشو ١٩٧٩ بمبلغ ٥ ملايين سنويا على مجموع الدول العربية لم يجمع منها حتى ١٩٨٤ وهي المقدرة بمبلغ ٣٠ مليون دولار ـ الا مبلغ ٤,٧ مليون دولار !

* لم ينقذ الصندوق الا حملة تبرعات في مؤتمر القمة بعمان سنة ١٩٨٠ جمعت مبلغ ٢٠ مليون دولار .

* ان مجموع ماكان يجب أن يكون في الصندوق كالتزامات باشكالها المختلفة على الدول العربية خلال السنوات الثماني هو ٩١ مليون دولار لم يسدد منها اجمالا الا ٥٢ مليون دولار جد منها في القاهرة بعد نقل الجامعة الى تونس حوالي ١٧ مليون دولار ولم يصرف فعليا على المساعدات الفنية الا مبلغ ٣٦,٨ مليون دولار

ولن ازعج القارىء كثيرا بتفاصيل اخرى تقول ان اكثر من ٥٠٪ من هذه المبالغ وجهت لالترامات ذات طابع عربي قومي أساسا ، وهي التعريب في الصومال وجيبوتي وموريتانيا وجنوب السودان ، ان الباقي المحدود الموزع على اكثر من ٤٠ دولة افريقية خلال ثماني سنوات جعل حضور الفنيين العرب الموفدين من مؤسسات التعاون العربي الافريقي هزيلا الى درجة لم يزد فيها عدد الفنيين العرب في مجموع الدول الافريقية غير العربية في اية سنة عما يتراوح بين ١٠٠ ـ ١٥٠ خبيرا او مدرسا الى جانب بعض المنح التدريبية أما الارقام الاخرى فتخص معلمي العربية في الصومال وموريتانيا وجيبوتي او الأراضي الفلسطينية المحتلة .

أقول هذا وأمامي أيضا تقارير اخرى تتحدث عن الخبراء الاسرائيليين في افريقيا فترة انقطاع العلاقات المزعومة معها في السبعينيات حيث بلغوا حوالي أربعة الاف خبير منهم ٢٠٠٠ فى نيجيريا و ٤٠٠ في زائير وحدهما . . . . !

اننا ـ وعلى الأقل مثل اسرائيل ـ ندرك الاهمية الحضارية لوجود الخبراء الوطنيين في البلاد الصديقة ، ووجود المتدرب الافريقي في بلادنا ، وندرك ان المشاريع الاقتصادية حتى بالمنطق الراسمالي وفي بلاد الراسمالية التي « تعتز » بالعلاقات معها ، حيث تمول المؤسسات الاقتصادية عمليات العون الفني والثقافي ، وتقدم المنح الدراسية وتمول الدراسات

والبحوث بما يعرفه اي مثقف وفني في بلادنا . والمشكلة الآن أن صندوق المعونة الفنية يكاد يتوقف تماما منذ عام ١٩٨٤ بعد أن سحب العديد من الفنيين العرب في الدول الأفريقية ، واصبحت ميزانيته بالسالب أي أنه لايستطيع تمويل الا مرتبات جهازه الاداري . . وفي انتظار رحمة القمة العربية المنتظرة .

فهل يمكن أن نتوقع دعم عمل قومي مؤسسي بهذا المنطق ؟

نشر الثقافة العربية الاسلامية

ـ جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية والاسلامية : هو جهاز ملحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، احدى منظمات الجامعة العربية ، قام على أثر تصاعد الرغبة في دعم العلاقات الثقافية العربية الخارجية عامة ليس فقط مع افريقيا ولكن نغمة العمل في افريقيا تكاد تكون هي السائدة فيه استجابة لروح التعاون العربي الافريقي النامية . وكان المؤتمر الكبير الذي اقامته المنظمة في نوفمبر ١٩٨١ وجمع كبار المتخصصين والمفكرين العرب المتحمسين لفكرة « نشر الثقافة العربية بالخارج » هو نقطة الانطلاق في هذا العمل ، حيث توجه الجميع الى الدول العربية والاسلامية بالنداء لتمويل المشروع ودعمه . وكان الاغراء لنجاح هذا المشروع هو حجم العلاقات الحضارية والدينية والثقافية الفعلي القائم مع العديد من شعوب افريقيا ، ومع الجاليات العربية بأفريقيا وامريكا اللاتينية واوربا ومع الشعوب الاسلامية في آسيا . .

ويزخر الواقع الافريقي بوجه خاص بعناصر الاغراء للتحرك في هذا المجال ، فثمة تراث ديني وحضاري ولغوي مشترك يبرر تنشيط هذه العلاقة ، وثمة غزو ثقافي استعماري يعمل على التأثير فيها بالسلب ضد العرب ، وثمة مؤسسات ثقافية ومجموعات من المثقفين القياديين راغبين في احياء هذه العلاقات ، سواء منهم من يتصرف وفق المنطق الديني البحت او من يتصرف وفق منطق علماني لمفهوم الثقافة العصرية كعنصر التقاء دينامي في حد ذاته من أجل التحرر الانساني المشترك . . .

وعلى الجانب العربي نجد نفس الاعتبارات والاتجاهات تقريبا تدعمها ظاهرة حيوية مثل التعاون العربي الافريقي ، وحاجة ملحة في الثقافة العربية تدفعها للحوار مع الثقافات الاخرى والانفكاك معا من ميراث التبعية الثقافية الثقيل للثقافات « العالمية » المهيمنة .

لكن كل هذه الاعتبارات لم تقنع الأجهزة العربية المسئولة بالمسارعة بتمويل المشروع فبدأ بعون من صلب ميزانية المنظمة العربية لجهازه الاداري والفني ، ثم وقعت اتفاقية بين المنظمة وليبيا ضمنت له بعض الحراك في السنوات الثلاث التالية في حدود مبلغ ٢,٥ مليون دولار . . . فقط .

ان قصر العلاقات والحوارات الثقافية والحضارية والاقتصادية في اتجاه مؤسسات السيطرة الاوروبية القديمة على نحو مايتم لن يتيح للعرب فرصة بناء مستقبلهم في الحوار مع شعوب العالم الثالث،وتشير الازمة الاقتصادية والثقافية الحالية الى توقع موجة من الخضوع الكامل نعود معها جميعا الى « تمثل قيم القاهرين » على نطاق أوسع ـ وهو مالا نتمناه ، أو موجة من التحرر الوطني ، اقتصادية وثقافية نحتاج الى « تأسيسها » جيدا من الآن عبر أجهزة عربية قائمة بالفعل ولاشك في أنها تعرف طريقها ، ولكننا نأسى لاوضاعها المالية الحالية التي لا تسمح لها باي دور □

حقيقة المال

يقول ابسن : المال يمنحنا مظاهر الاشياء دون جوهرها : انه يمنحنا الطعام لا الشهية ، والدواء لا الصحة ، والمعارف لا الاصدقاء ، والخدم لا المخلصين ، والمرح لا السعادة .

دفاع أبي حيان التوحيدي عن إحراقه لكتبه

لم ينصف الوزراء أبا حيان التوحيدي فكتب في نقدهم . ولم يجد في الناس من يستحق قراءة كتبه فجمعها وأحرقها في لحظة يأس واحباط شديدين ، فضاعت آثاره . لكن التاريخ حفظ لنا رسالة لابي حيان تتضمن دفاعه عن هذا الانتحار المعنوي .

بقلم : الدكتور جعفر هادي حسن

أبو حيان علي بن محمد بن العباس مؤلف مشهور ، وكاتب معروف ، له باع طويل في الادب والفلسفة والتصوف ، قال عنه ياقوت في معجمه : « وكان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام ... فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين ، وامام البلغاء ... فرد الدنيا الذي لانظير له ، ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة ، كثير التحصيل للعلوم ، في كل فن حفظه ، واسع الدراية والرواية »

بين الثقافة والوزارة

ولد أبو حيان في الربع الاول من القرن الرابع الهجري ، قدم الى بغداد وأقام بها مدة ، وسافر الى مكة والى الري وشيراز . ثم وشي به الى الوزير المهلبي ، فطلبه فاستتر عنه ، ومات عن نيف وثمانين عاما ، سنة ٤٠٤ هـ .

الف أبوحيان مجموعة من الكتب ، منها المقابسات والبصائر والذخائر ، والمحاضرات والمناظرات ، والامتاع والمؤانسة ، والصداقة والصديق ، والاشارات الالهية . وقد وصلت الينا هذه المؤلفات ، ومن يقرؤها لايسعه الا أن يعجب بموهبة أبي حيان وأسلوبه البليغ ، الذي لايقل روعة وجمالا عن أسلوب الجاحظ .

لقد كان أبو حيان معجبا بالجاحظ ، وكتب رسالة في مدحه عنوانها : « رسالة في تقريظ الجاحظ » . عاش أبو حيان عمره المديد فقيرا محارفا مع علو كعبه في العلوم والادب والفلسفة . وقد حاول أن يحيا حياة هانئة يتوسل إليها بثقافته ، إلا أن الحظ لم يحالفه والتوفيق لم يساعده . وكان من جملة من جرب حظه معهم الوزير ابن العميد والوزير ابن عباد ، ولكن



نتيجة هذه التجربة كانت على عكس ما يرجو ويأمل الى الحد الذى جعله يكتب كتابا فى نقدهما والنيل منهما أسماه كتاب « مثالب الوزيرين او أخلاق الوزيرين » ولاتخلو كتب أبى حيان من الاشارة الى حاله هذه ملمحا تارة ومصرحا أخرى .

وبما ذكره أبو حيان صراحة عن فقره أن القومس الفيلسوف قال له يوما : (ماظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من انسان مابلغ منى)،ان قصدت دجلة لأغتسل فيها نضب ماؤها ، وان خرجت الى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلدا أملس) . فقال أبو حيان : (ما أعرف لك شريكا فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواى ، ولقد استولى عليّ الحُرف (أى الحرمان) وتمكن منى نكد الزمان الى الحد الذى لاأسترزق مع صحة نقل ، وتقييد حظى ، وترويق نسخى وسلامته من التصحيف والتحريف ، بمثل مايسترزق البليد الذى ينسخ النسخ ويمسخ الاصل والفرع)،وقد وصل به سوء الطالع الى أن ياقوتا الحموى لم يعثر على مؤلف ترجم له كما ذكر ذلك فى معجمه . بل حتى ابن خلكان لم يذكره فى وفياته الا عرضا . ومما ذكره عنه أن كتابه (مثالب الوزيرين) من الكتب المحدودة ، ماملكه أحد الا تعكست أحواله . وقال : لقد جربت ذلك وجربه غيرى على ماأخبرنى من أثق به .

وقد ذكر السيوطى فى « بغية الوعاة » : (ان الأيام قد انقلبت بابى حيان وان كتبه لم تنفعه ، وضن بها على من لايعرف قدرها ، فجمعها وأحرقها فلم يسلم منها غير مانقل قبل الاحراق) ، ومن حسن الحظ أن وصلتنا الرسالة التى كتبها أبوحيان ردا على رسالة صديقه أبى سهل على بن محمد ، الذى لامه فيها على إحراق كتبه . وقد ذكر ياقوت الرسالة كاملة فى ترجمته لابى حيان : أقول من حسن الحظ لأن الرسالة بجانب كونها قطعة نثر فنية فإنها أيضا تكشف الأسباب التى أرغمت هذا العالم الأديب على الاقدام على مثل هذا العمل ، حيث لاتضطر للتخمين اوالظن والتكهن .

ولقد كتب أبوحيان رسالته هذه فى رمضان عام ٤٠٠ هـ فى العشر التاسع من عمره كما ذكر هو ذلك

. ان الرسالة طويلة نوعا ما ، ولذلك فاني سوف اقتصر على ذكر أسباب دفاعه عن احراق كتبه :

رسالة التوحيدي

يبدأ التوحيدي رسالته بقوله : حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك ، وأعاذني من مكافأتك على ذلك وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد ، إن دعيناه كنا مستأنسين به ، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله . وأدام الله نعمته عندك وجعلني على الحالات كلها فداك . وأفادني كتابك غير محتسب ولامتوقع على ظمأ برح بي إليه . وشكرت الله على النعمة به عليّ . وسألته المزيد من أمثاله ، الذى وصفت فيه ذكر الشوق اليّ والصبابة نحوي مانال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذى نمى اليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار وغسلها بالماء . فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك ، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز : (كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون) . وكأنك لم تأبه بقوله تعالى (كل من عليها فان) . وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشيء من الدنيا وان كان شريف الجوهر كريم العنصر مادام مقلبا بيد الليل والنهار ، معروضا على أحداث الدهر وتعاود الايام) .

ويذكر أبوحيان بأن ماقام به لم يكن هينا عليه ، وإنما هو عمل كان مكرها عليه مضطرا اليه فهو يقول : (ثم اني أقول ان كان ـ ايدك الله ـ قد نقب خفك ما سمعت به فقد أدمى أظلي ما فعلت) .

وهو يقول انه لم يكن ، ليقدم على ما أقدم عليه الا بعد أن فكر في الأمر كثيرا . وقد أخذ منه ذلك ليالي وأياما يقلب الأمر على وجوهه ، وهو لم يصل الى تلك النتيجة إلابعد أن استخار الله عز وجل في ذلك فهو يقول لصديقه : (فليهن عليك ذلك ، فما انبريت له واجترأت عليه حتى استخرت الله عزوجل فيه أياما وليالي ، وحتى أوحي إلي فيه في المنام بما بعث راقد العزم ، وأجدّ فاتر النية ، وأحيا ميت الرأي ، وحث على تنفيذ ماوقع في الروع وتربع في الخاطر) .

ومن الاسباب التى يذكرها أبوحيان اعتقاده بأنه لم يقرن علمه بعمله ، وأن عمله كان قاصرا عن علمه ، وبما أن الحال كذلك فالأولى بذلك العلم أن



يحرق فهو يقول : (العلم أحاطك الله يراد للعمل ، كما أن العمل يراد للنجاة . فاذا كان العمل قاصرا عن العلم كان العلم كلاً على العالم . وأنا أعوذ بالله من علمٍ عاد كلا وأورث ذلاً وصار في رقبة صاحبه غلاً) .

وأحد الاسباب التى يذكرها أبوحيان هو أنه لم يكن يرغب أن يترك كتبه لاناس لا يستحقون ذلك ولايحرصون عليه بل غير راغبين فيه .

ومما قاله بهذا الصدد (ان هذه الكتب قد حوت من أصناف العلم سره وعلانيته . فأما ماكان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا . وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالبا) .

ثم ان أباحيان يذكر سببا آخر يحجم كثير من الناس عن ذكره في حال شبيهة بحال أبي حيان ، ويحاولون أن يخفوه وراء ظلال من الاسباب والتعليلات غير الصحيحة . ولكن أبا حيان كان صريحا مجاهرا لم ير مانعا من ذكره أو التنويه به والافصاح عنه . فهو يعترف بأنه كان يطمح بأن يتبوأ مكانة مرموقة بين الناس ، وجاها عريضا يبز به أقرانه ويفوق به أصحابه ، ولكنه لم يحصل على شيء مما أتعب نفسه فيه على هذا أوذاك . وهو يقول عن ذلك:(على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله) .

والسبب الآخر يذكره أبوحيان هو أنه لم يكن له ولد يورثها له ، أو صديق عزيز يستفيد منها ، ولم يهن عليه أن يتركها لقوم لايعتمد عليهم ولا يأمن جانبهم . فهو يقول : (ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبا ، فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي اذا نظروا فيها ، ويشمتون بسهوي وغلطي اذا تصفحوها ، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها) .

آلام أبي حيان

ثم يسترسل التوحيدي في نقد المجتمع الذي عاش فيه نقدا لاذعا يتسم بالمرارة والألم ، ويكشف في الوقت نفسه عما كان يعانيه أبو حيان ويحز في نفسه حيث يقول : (فان قلت ولم تسمهم بسوء الظن وتقرع جماعتهم بهذا العيب ، فجوابي لك ان عياني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات . وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة ، فما صح لي من أحدهم وداد ، ولاظهر لي من أناس منهم حفاظ ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة الى أكل الخضر في الصحراء ، والى التكفف الواضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع الدين والمروءة ، والى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق ، وما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، ويطرح في قلب صاحبه الالم) ويقول في مكان آخر من الرسالة : (وماذا أقول وسامعي يصدق أن زماننا أحوج مثلي الى مابلغك ، لزمان تدمع له العين حزنا وأسى ، ويتقطع عليه القلب غيظا وجوى وضنى وشجى) .

ثم يذكر أبوحيان بانه لم يكن فردا في عمله هذا ، وإنما قد سبقه الى عمل ذلك أو ما يشابهه علماء معروفون مشهورون ، فهو يرى أن ماقام به لم يكن شاذا أو استثناء . فيقول عن ذلك : (وبعد فلي في احراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ويؤخذ بهديهم ويعشى الى نارهم منهم أبو عمرو بن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف ، دفن كتبه في بطن الارض فلم يوجد لها أثر وهذا داود الطائي وكان من خيار عباد الله زهدا وفقها وعبادة ويقال له تاج الامة ، طرح كتبه في البحر وقال يناجيها : « نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول »، وهذا يوسف بن أسباط حمل كتبه الى غار في جبل وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال : « دلنا العلم في الاول ثم كاد يضلنا في الثاني فهجرناه لوجه من وصلناه وكرهناه من أجل ما أردناه »، وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال « والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك » وهذا سفيان الثوري مزق ألف جزء وطيرها في الريح ، وقال « ليت قطعت من هنا بل من ههنا ولم أكتب حرفا »

يضاف الى ذلك أن أبا حيان كان قد زهد في آخر أيامه ، واعتقد بأن الكتب جزء من حطام الدنيا وبهرجها وان جامعها كجامع الذهب والفضة يقول في ذلك : (وهل أدرك السلف الصالح في الدين الدرجات العلا إلا بالعمل الصالح ، واخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل ماراق من الدنيا وخدع بالزبرجد ، وهوى بصاحبه الى الهبوط ؟ وهل وصل الحكماء القدماء الى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد في السعي ، والا بالرضا الميسور ، والا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم ؟ فأين يذهب بنا وعلى أى باب نحط رحالنا ؟ وهل جامع الكتب الا كجامع الفضة والذهب ؟ وهل المنهوم بها الا كالحريص الجشع عليهما ؟ وهل المغرم بحبها الا كمكاثرهما ؟ هيهات الرحيل ، والله قريب ، والثواء قليل ، والمضجع مقض ، والمقام ممض ، والطريق مخوف ، والمعين ضعيف ، والاغترار غالب ، والله من وراء هذا كله طالب) .

ثم يختم أبوحيان رسالته بما يلي : (على أني لو علمت في أي حال غلب عليّ مافعلته وعند أي مرض وعلى أية عسرة وفاقة ، لعرفت من عذري أضعاف ما أبديته ، واحتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته ، واذا انعمت النظر تيقنت أن لله جل وعز في خلقه أحكاما لايعاز عليها ولايغالب فيها ، لأنه لايبلغ كنهها ولاينال غيبها ولايعرف قابها ولايقرء بابها ، وهو تعالى املك لنواصينا ، وأطلع على أدانينا وأقاصينا ، له الخلق والأمر ، وبيده الكسر والجبر ، وعلينا الصمت والصبر ، الى أن يوارينا اللحد والقبر) . □

الميكروبات

وفساد الغذاء النبات

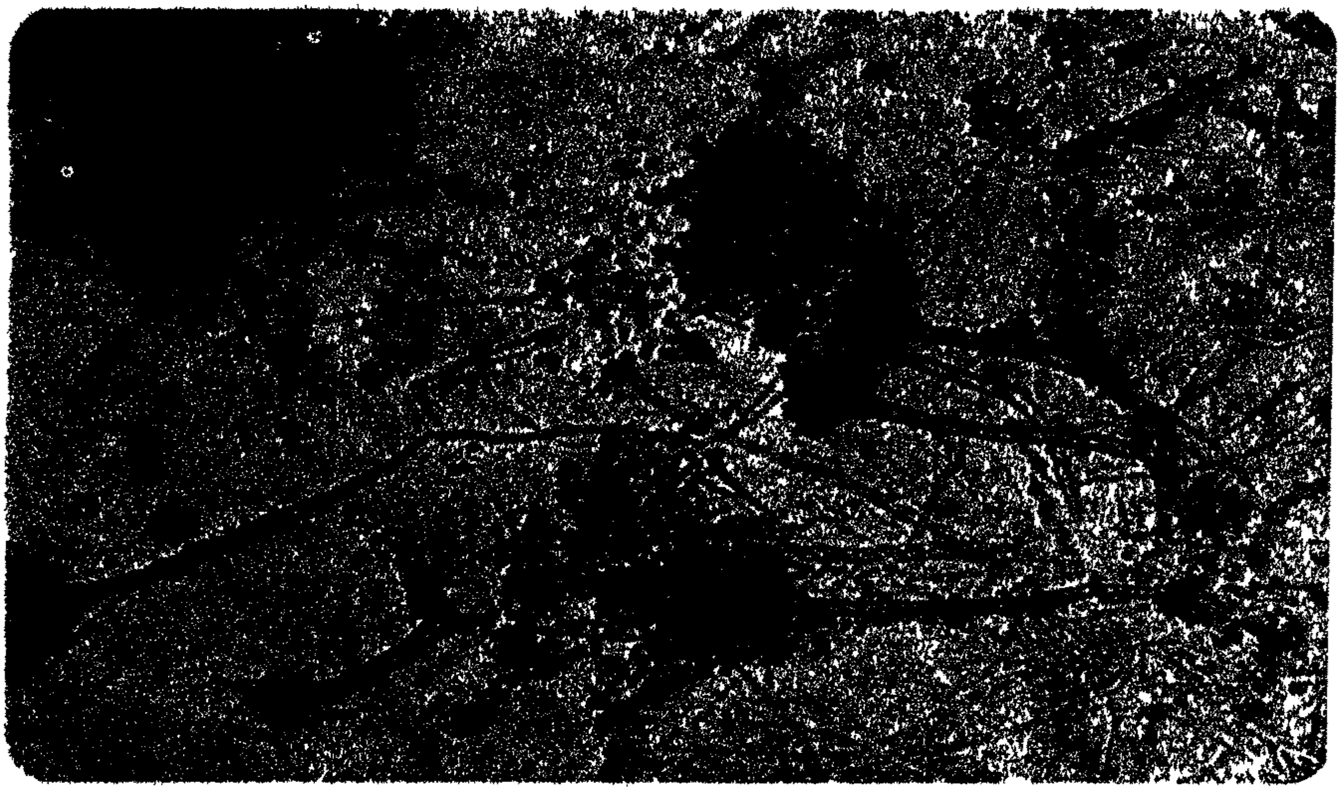
بقلم : الدكتور حسين العروسي

« الاغذية ، نباتية كانت أو حيوانية بحالتها الطبيعية كانت أو بعد معاملتها معاملات خاصة للتصنيع ، معرضة للفساد بفعل الكثير من الميكروبات التي تعجز أعيننا عن رؤيتها . فأين تكون هذه الأحياء الدقيقة وما هو أثرها وكيف تحول غذاءنا الصحي الى طعام غير مقبول » ؟ .

ان الكثير من المنتجات النباتية والحيوانية التي نستعملها غذاء أو شرابا هي في نفس الوقت غذاء ممتع لكثير من الأحياء الدقيقة التي تكون عادة بهذه الأغذية ولا تراها عيوننا المجردة ، بل نرى لها آثارا ، قد تكون على الطعم ، وقد تكون على الرائحة ، وقد تكون على القوام

فما كان لنا غذاء شهي أصبح بعد نمو وتكاثر تلك الكائنات فيه طعاما غير مقبول . . . غير مستسيغين لطعمه . . كارهين لرائحته . . . غير تواقين لمظهره . وقد يصبح الطعام في وجود تلك الميكروبات داء مرضا أو سما قاتلا ، فنلقي بقوتنا في سلال القمامة ، مستسلمين لتلك الميكروبات تاركين لها غذاءنا لتستكمل توغلها حتى تنتهي من استغلاله ، ثم تنتقل منه بوسيلة أو بأخرى حتى تجد غذاء آخر تستسيغه ، فتفعل به ما فعلت بسابقه

لا يقتصر هجوم الميكروبات على النباتات في أثناء نموها ، بل يستمر في ذلك بعد جمعها أو حصادها . . بعد أن تصير ثمرا نافعا وغذاء شهيا ، فتهاجم المحصول بعد جمعه بضراوة أشد من هجومها عليه وهو في أوج حيويته عندما كان محمولا على نباتاته ، . . . متلفة ما جمعناه وسوقناه قبل أن يصل الى أفواهنا .



شكل (١) . فطر اسبرجيللس

النشاط في ظروف قاسية

أحيانا ، تجرى على تلك الأغذية بعض المعاملات لتصبح صالحة للتسويق أو لاطالة أمد حياتها والاقلال من أضرار الميكروبات عليها ، ومع ذلك فإن من الميكروبات ما يتمكن من تلك النباتات (المعاملة) رغم أن ظروف معيشة تلك الميكروبات قاسية وغير ملائمة لنشاط معظمها .

وقد يحدث فساد طبيعي فسيولوجي للمنتجات النباتية بعد فصلها عن النبات الأم وذلك نتيجة للنشاط الحيوي للانسجة الحية ، الا أنه في كثير من الأحوال تتدخل بعض الميكروبات فتعجل من حدوث الفساد ، وتغير من صور ذلك الفساد . وقد يساعد على ذلك وجود الجروح ، التي قد تكون ناتجة عن منطقة الانفصال عن النبات الأم أو نتيجة للمعاملات المختلفة التي يتعرض لها الجزء النباتي في أثناء الجمع والتسويق والتخزين ، أو بفعل بعض الحشرات أو الحيوانات أو الطيور . والميكروبات التي تحدث الفساد تكون مصادرها عادة التربة أو الهواء أو الماء ، وتكون موجودة قبل الفساد عادة ، على الأسطح الخارجية للأجزاء النباتية في أثناء الجمع وبعده . فمحاصيل ثمار الفاكهة والخضراوات التي تتكون طبيعيا فوق سطح الارض تكون ملوثة عادة بميكروبات الهواء ، زيادة على تلوثها في أثناء العمليات المختلفة ببعض ميكروبات التربة . ومحاصيل مثل البطاطس والبطاطا والفجل والجزر والبنجر تنمو تحت سطح التربة ويعلق بها كميات من الطين عند جمعها تكون عادة ملوثة بميكروبات التربة . كذلك فان ماء الري في الاراضي الزراعية يكون مصدر تلوث للمحاصيل الارضية والنامية قريبا من سطح التربة . أيضا ، فان عمليات غسل المنتجات النباتية التي تتبع عادة بالنسبة لبعض المحاصيل تساعد كثيرا على تلوث تلك المحاصيل بميكروبات الماء ، وخصوصا اذا كان الغسيل بماء الترعة والقنوات . وعموما فالماء اذا كان نقيا فانه يقلل اعداد الميكروبات كثيرا ، الا انه في نفس الوقت يساعد على تنشيط وتوزيع ميكروبات الهواء والتربة الملوثة للمنتجات النباتية ، فتتكاثر بنشاط وترتفع

معدلاتها ثانية بسرعة . وقد درست متوسطات أعداد البكتيريا الموجودة على البازلاء الخضراء المعدة للتجميد في عدد من المصانع فوجد أن معدلاتها لكل جرام من المحصول كانت حوالي أحد عشر مليونا عند دخولها للمصانع ، ثم انخفضت عقب الغسيل الى حوالي مليون فقط ، ثم انخفضت ثانية عند غسيلها بالماء الساخن أو البخار الى حوالي عشرة آلاف فقط ، الا أنها ارتفعت ثانية خلال العمليات التالية فوصلت لحوالي سبعمائة ألف عند بدء تجميدها ، ثم انخفضت ثانية مع التجميد فصارت حوالي نصف مليون من البكتيريا لكل جرام من البسلة .

فساد الأنسجة

لايعني تلوث المنتجات النباتية بالميكروبات ضرورة حدوث الفساد ، اذ أنه لابد من وجود الميكروبات الخاصة باحداث التلف لذلك المحصول ، كما أنه لابد من توفر استعدادات خاصة لدى المحصول النباتي لحدوث العدوى ونجاحها .

يتلاءم نشاط كثير من الميكروبات مع ارتفاع نسبة الماء في الانسجة النباتية ، وارتفاع درجة حرارة ورطوبة الجو . لهذا نجد أن المنتجات النباتية الغضة أسرع تلفا من المنتجات ذات المحتوى المائي المنخفض فحبوب القمح والشعير أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من درنات البطاطس وثمار الموز ، والاخيرة أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من البصل وثمار التفاح ، والبصل والتفاح أكثر مقاومة من الكرنب والسبانخ .

ولهذا نجد أن فترات التخزين تتناسب عكسيا مع معدلات الماء في المحصول ، فحبوب القمح والشعير تتحمل التخزين أكثر من البطاطس وثمار الموز ، والبصل وثمار التفاح أقل تحملا ، أما الكرنب والسبانخ فتسوق سريعا لسرعة تلفها . ولهذا السبب ولتقليل معدلات الماء .. اتبعت طريقة التجفيف لاطالة أمد تخزين بعض المحاصيل كما يتبع في البصل .

أما درجات الحرارة والرطوبة فخفضها يؤدي الى تقليل تعرض الميكروبات للتلف ، ولهذا يطال أمد تخزين كثير من المحاصيل مثل البطاطس والتفاح والكمثرى بحفظها في ثلاجات ، ر راعى في خفض درجات الحرارة والرطوبة حدودا معينة لاتتعداها ، لأن الخفض الزائد يؤثر على الصفات الطبيعية للمحصول المراد المحافظة عليها .

وهناك ميكروبات أخرى تعيش داخل أجسام بعض الحشرات أو على سطحها ، وتقوم تلك الحشرات بنقل ما تحمله من ميكروبات من مكان الى آخر ، وكثيرا ما تضع الحشرة حولتها الميكروبية على الجزء النباتي الملائم لنشاطها . وقد تهيء الحشرة لتلك الميكروبات فرص حدوث العدوى ، وذلك بأن تثقب خلايا النسيج النباتي . . . واضعة الميكروبات في وسط النسيج القابل للاصابة . . . وقد تضع الحشرة بيضها حيث وضعت الميكروبات ، فيفقس البيض وسط النسيج النباتي الملوث بالميكروبات ، وتخرج اليرقات وتتغذى على الانسجة النباتية ، متحركة بينها موزعة الميكروبات داخلها . وكثيرا ما تنتج عن اليرقات حشرات جديدة حاملة ميكروب المرض . ومن الامثلة الشهيرة على ذلك حالات العفن الطري الذي نشاهده على كثير من منتجاتنا الزراعية مثل البصل والبطاطس والخس والجزر والذي ينتج عنه تلف سريع للمحصول يظهر في صورة عفن طري ذي رائحة كريهة مميزة وتلون داكن للانسجة المصابة ، والذي يتسبب عن ميكروب بكتيري وحيد الخلية يعرف باسم أروينيا والذي تنقله بعض الحشرات ومنها حشرة الذباب المنزلي .

أكثر من الإتلاف

بعض تلك الميكروبات المهاجمة للغذاء تتعدى في آثارها الضارة علينا حد إتلاف الغذاء ، فقد تحدث زيادة عن تلك الخسائر المادية ضررا خطيرا بآكليها ، فتمرضهم وقد تقتلهم . اذ أن البعض من الفقراء أو ممن يجهلون تلك الميكروبات وأضرارها ، قد يتحملون على أنفسهم ، ويأكلون ما اشتروه أو صنعوه من غذاء ، رغم ما يلاحظون عليه من تغير في الطعم أو اللون أو الرائحة أو القوام ، مفضلين التضحية بالصحة عن التضحية بالمال . كثيرا ما تمر الأمور دون ما ضرر ملحوظ ، مما يشجعهم باستمرار السير على



شكل (٢) . فطر بنيسيليوم

هـذا الموال الخـاطىء ، الا أنه قـد يحدث الضـرر فجأة ، اذا وجد في الغـذاء نوع أو أنـواع معينة من الميكـروبات الضـارة بصحة الانسـان أو المميتة لـه مباشرة أو عن طريق سمومها .

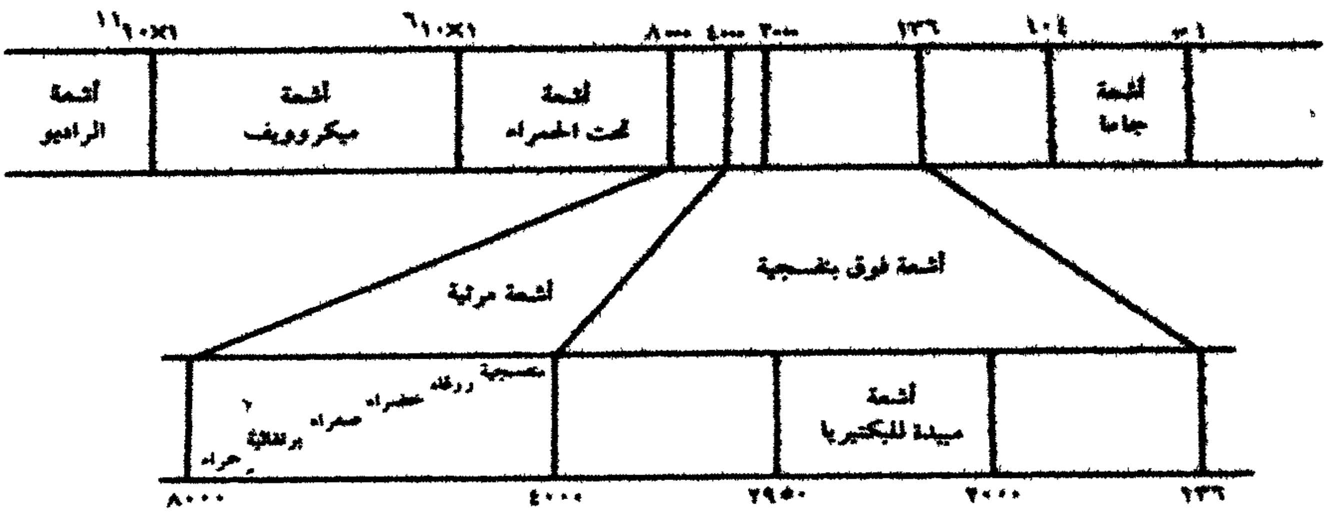
تصاب ثمار الفاكهة ومحاصيل الخضراوات، عادة بأنواع من الفطريات والبكتيريا بعد أيام قليلة من وجودها على درجة حرارة الغرفة ، وأحيانا تصاب في الثلاجات وخصوصا اذا ارتفعت درجة الحرارة قليلا . كذلك فان عصير الفاكهة معرض للفساد الميكروبي ، وقد يحدث له تخمر مصحوب بتصاعد غازات نتيجة للاصابة بفطريات الخميرة .

بعض الفطريات التي تنمو على النباتات ومنتجاتها تنتج مواد ضارة أو سامة للانسان وبعض الأحياء الأخرى . فمن عصور قديمة عرف تسمم الارجوث الذي ينتج عن التغذية بحبوب نجيلية مصابة بفطر يسمى كلافيسبس ، وقد سجلت عنه أربعون الف حالة تسمم أدت الى وفاة ، سنة ٩٤٣ م بفرنسا . وفي سنة ١٩٦٠م مات أكثر من مائة الف من الدواجن الرومية بمزارع انجلترا نتيجة تغذيتها على دقيق فول سوداني مستورد من أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وبدراسة على مادة العلف تلك ، اتضح أنها مصابة بفطر اسبرجيللس فلافس الذي أمكن عقب ذلك فصل مادة سامة منه سميت افلاتوكسين . وقد ثبت أنها من المواد المحدثة للسرطان في كبد الانسان . وقد أثبت العلم أن الفطريات المنتجة لهذا السم تنمو في محاصيل أخرى منها الارز والقمح والذرة وفول الصويا والبازلاء والفاصوليا .

ومن السموم الفطرية الأخرى التي تتكون على منتجات نباتية (مادة الباتيولين) ويكونها فطر من نوع بنيسيليوم يسبب عفنا في ثمار التفاح . ولهذا السم تأثيره كمضاد حيوي يوقف نمو كائنات حية دقيقة أخرى ، الا أن له تأثيرات سرطانية .

درهم وقاية

لم يقف العلم هكذا مكتوف اليدين أمام هذا الهجوم الكاسح من الميكروبات ، بل قد توصل الى طرق عديدة لمنعها والحد من أضرارها . وتختلف



شكل (٣) : موقع بعض الأشعة ، وخصوصا المستخدمة في تعقيم الغذاء ، من الخريطة الطيفية مقيسة بالانجستروم

الطرق المتبعة للوقاية حسب نوع الغذاء المراد حمايته ، وحسب الغرض من استعماله ، وحسب درجة تلوث الغذاء بالميكروبات ونوع ذلك التلوث . وكثيرا ما تتبع أكثر من وسيلة لحفظ الغذاء بعيدا عن متناول الميكروبات كلها أو بعضها ، ولايقاف نشاط ما تمكن منها من غذائنا .

وتعتمد طرق حماية الغذاء على عاملين أساسيين . أول هذين العاملين يعتمد على قتل الميكروبات الملوثة للغذاء ، أو الاقلال منها أو منع وصول ميكروبات جديدة اليه ، ومن ذلك تعقيم المواد الغذائية بالتعريض لدرجات حرارية مرتفعة تقتل الميكروبات ولا تضر بالغذاء ، أو ترشيح المشروبات خلال مرشحات تفصل الميكروبات ، أو اضافة بعض الكيماويات الى الاغذية بغرض قتل ما بها من ميكروبات ، أو ايقاف تلك الميكروبات ومنع نمو أية ميكروبات جديدة تصل اليها .

ويعتمد ثاني هذين العاملين على حفظ الأغذية بطريقة لاتتلاءم مع النشاط الميكروبي كما في حالات الحفظ تحت درجات حرارية منخفضة ، أو بتقليل كمية الماء في الغذاء ، أي بالتجفيف كتجفيف الاسماك وبعض ثمار الفاكهة ، أو بزيادة تركيز السكر كما في عمل المربيات ، أو بزيادة تركيز الاملاح كما في صناعة المخللات وتمليح الاسماك .

ومع دخولنا عصر الذرة ، اتجه كثير من الابحاث الى الانتفاع بالاكتشافات الذرية الجديدة في نواحي الحياة المختلفة ، ومن ذلك استخدام الاشعة في تعقيم المواد الغذائية مما بها من ميكروبات .

التعقيم البارد

تختلف الاشعة وفقا لطول موجاتها ، وتقدر أطوال الموجات بوحدات الانجستروم . والانجستروم يعادل جزءا من عشر مليون جزء من المليمتر الطولي . وجزء بسيط من أشعة الشمس هو الذي يمكن رؤيته ، وهو يتراوح ما بين ٤٠٠٠ الى ٨٠٠٠ انجستروم ، وما عدا ذلك من الاشعة لاترى بالعين .

والاشعة التي تستخدم في التعقيم تقع ضمن الاشعة غير المرئية ، نذكر من ذلك أشعة الميكروويف وهي أشعة طويلة الموجات تقع بين الاشعة فوق الحمراء وأشعة الراديو ، وتستخدم في تعقيم مواد غذائية مختلفة منها الخبز والمشروبات الكحولية ، أما

تأثير أشعة الميكروويف فهو تأثير حراري .

معظم عمليات التعقيم بالاشعة تستخدم فيها الاشعة القصيرة ، وتشمل الاشعة فوق البنفسجية . وأهم أنواع الاشعة القصيرة استخداما في التعقيم الغذائي هي ما تعرف بالاشعاعات ، وهي ذات الموجات التي تقل عن ٢٠٠٠ انجستروم وتشمل اشعة الفا وبيتا وجاما .

وحيث أن هذه الاشعاعات تحدث تعقيما دون احداث حرارة في المادة (المعاملة) لهذا سميت العملية بالتعقيم بالبارد .

وقد اتجهت الانظار الى بعض الاشعاعات ذات القدرة العالية على التغلغل في المنتجات الغذائية ، ومن ذلك أشعة جاما التي تنتج في الانفجارات الذرية عن النشاط الاشعاعي لعنصر اليورانيوم . وحاليا يستخدم الكوبلت المشع الذي يعرف بكوبلت ٦٠ وكذلك سيزيوم ١٣٧ كمصدر لتلك الاشعاعات . وتؤثر هذه الاشعاعات في معظم الاغذية حتى عمق ١٤ سنتيمترا ، الا أن تأثيرها يضعف كلما ازداد العمق .

ومن عيوب التعقيم بالاشعاعات وخصوصا باستخدام أشعة جاما ، تأثيرها السيء على القائمين بالتعقيم ، مما يتحتم معه اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية للحيلولة دون تعرض القائمين بالعمل لتلك الاشعاعات . ويفضل البعض استخدام أشعة الكاثود رغم ضعف تخللها في تعقيم الاغذية لكونها أقل خطورة على القائمين بالعمل .

وحتى الآن لم تظهر أية آثار ضارة على المستهلكين لتناول الاغذية المعاملة بالاشعاعات ، الا أن الكثير من تلك الاغذية يتأثر من المعاملات الاشعاعية حيث تحدث تغييرات غير مرغوبة في الطعم أو اللون أو الرائحة أو خواص الغذاء الطبيعية . وقد نجحت المعاملة بالاشعاعات مع بعض الاغذية ، ولم تنجح مع البعض الآخر . ومن الاغذية التي ثبت نجاح تعقيمها بالاشعاعات البطاطس والقمح ومنتجاته والموالح والفراولة والخوخ والفاصوليا والزبيب والقراصيا □

عجائب أسماء

أولاد الحيوانات






يقال لولد الفرس : مهر .. ولولد الحمار : جحش .. ولولد البقرة : عجل ... ولولد الناقة : حوار .. ولولد الماعز : جدي .. والانثى : عناق .. ولولد الضائنة : حمل .. والانثى : رخل .. ولولد الشاة : سخلة .. ولولد الظبي : خشف .. ولولد الارنبة : الخرنق .. ولولد الثعلبة : التتفل .. ولولد الخنزير : الخنوص .. ولولد القرد : القشة .. ولولد الضبع : الفرغل .. ولولد الأسد : الشبل .. ولولد الفأرة : الدرص .. ولولد الضب : الحسل .. ولولد الذئب : السمع .. ولولد النعام : رأل .. ولولد الحباري : النهار ..

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

« أ »

إمبريالية

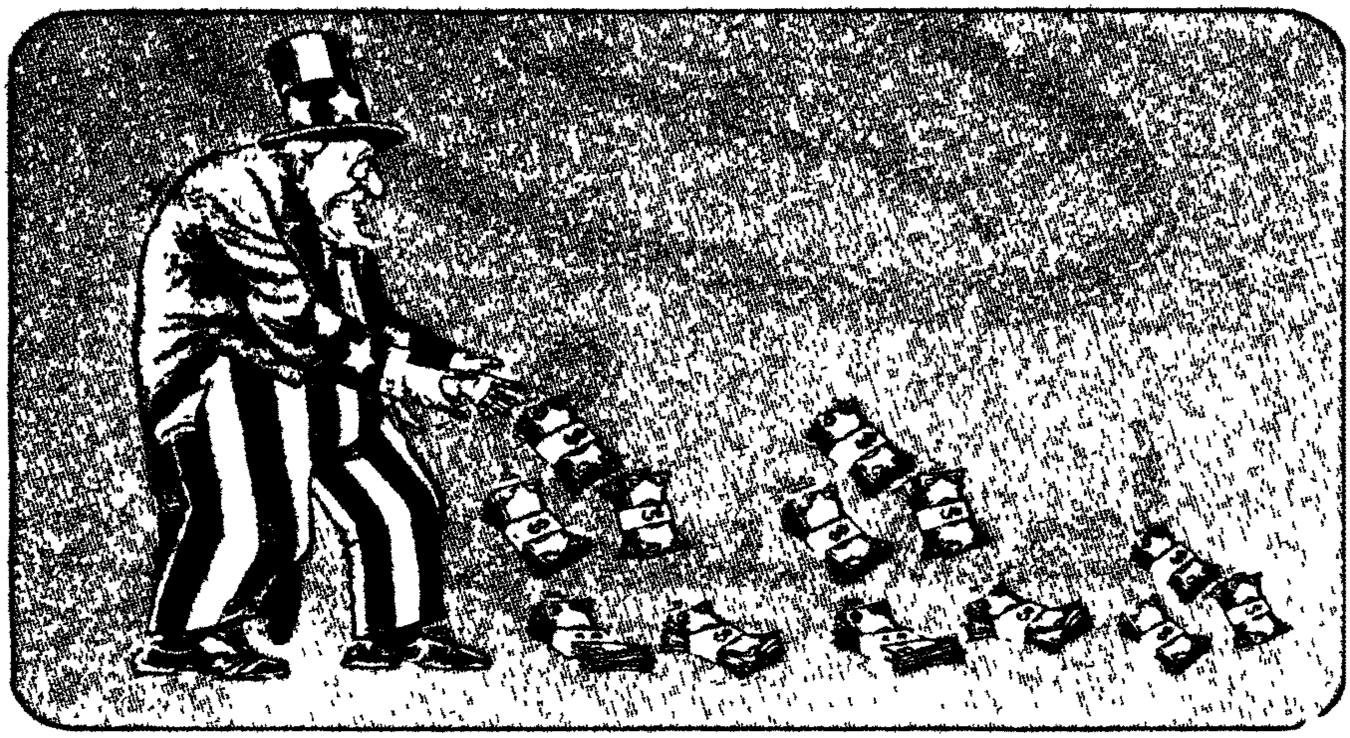
مجموع سياسات (اقتصادية ـ عسكرية ـ سياسية ـ ثقافية) تمارسها الدول الكبرى تهدف الى التوسع وفرض سيطرتها على شعوب واراضي الغير لاستغلالها ونهب ثرواتها واستغلال امكانياتها الجغرافية والطبيعية والبشرية .

وقد نشأت الامبريالية كظاهرة سياسية مع عصر التحول الصناعي والاكتشافات العلمية في بدايات القرن الثامن عشر تقريبا ، فلقد صاحب هذه الفترة زيادة عدد السكان وزيادة الانتاج ، والحاجة الى مواد خام ووقود ، وفي نفس الوقت الحاجة الى ايجاد أسواق للمواد المصنعة وذلك لتصدير فائض الانتاج ، وتصدير رأس المال المتراكم ، واعادة تشغيله مما يعني مزيدا من الارباح ، واستتبع ذلك السماح لمواطني الدول الاستعمارية بالهجرة وحرية الاستيطان ليتمكنوا من السيطرة على الموارد في المستعمرات ، وتنظيم التجارة وحمايتها . ولم تظل الظاهرة في هذا الاطار بل تجاوزته الى العمل العسكري لتحقيق الأهداف الاقتصادية ، وقد كان التنافس الشديد بين المحتكرين ، والرغبة الحادة في الاحتكار وطرد المنافسين وفرض الهيمنة هو الذي حدد طريق القوة العسكرية لحماية المصالح .

وقد مرت الامبريالية كظاهرة سياسية أفرزها النظام الرأسمالي العالمي بعدة مراحل : المرحلة الاولى هي التعاظم الشديد والانطلاق : وهي مرحلة الامبراطوريات والشركات الاحتكارية ، وفرض الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على المستعمرات ، وتمتد هذه الفترة من القرن الثامن عشر حتى الحرب العظمى الاولى ، وكان عالم ما بعد الحرب حتى نهاية الحرب العظمى الثانية مرحلة مخاض حقيقية . . فقد عانى فيها النظام الرأسمالي العالمي من ويلات الحرب ونتائجها ، ثم الأزمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ بالاضافة الى نشوب الثورة الاشتراكية في روسيا القيصرية ، وظهور الوعي القومي والنضال الوطني في المستعمرات ، فظهر ما عرف بمؤتمر الامم المضطهدة والفقيرة الذي عقد في باريس سنة ١٩٢٠م .

المرحلة الثانية وهي مرحلة انتهاء الامبريالية التقليدية ، وقد بدأت عقب الحرب العظمى الثانية التي خرج منها الحلفاء منتصرين ، فتم الاستيلاء على مستعمرات المانيا وايطاليا ، ثم ما لبثت الولايات المتحدة الامريكية أن ورثت الامبراطورية البريطانية والفرنسية .

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



المرحلة الثالثة : ظهور الامبريالية الجديدة وهذه مرحلة تزعمتها الولايات المتحدة دون جدال ، وتميزت هذه المرحلة بسمات ومظاهر متعددة ، فقد حاولت الامبريالية ان تستفيد من دروس الماضي ، وحاولت التكيف مع الواقع الجديد للعالم . فنحت جانبا فكرة الاستعمار من خلال التواجد العسكري ، واستبدلته من خلال توسيع نطاق الاحتكارات والسيطرة ، فامتدت أصابع بيوت المال العالمية داخل المصارف الوطنية ، وتغلغلت الشركات الاحتكارية في اقتصاديات البلدان النامية كموزع وحيد للسلع وكمشتر وحيد للمنتجات الخام ، واقترن الاحتكار الاقتصادي بالضغط السياسي ، وتفننت في ابتداع السبل لابقاء الدول النامية في مكانها كدول صغيرة ، ومحكوم عليها أن تظل صغيرة وتابعة . . واتبعت الامبريالية سياسات الاغراق بالديون وتشغيل الفائض . . وأبقت دول العالم النامية في دائرة تبعية مفرغة . وعلى الرغم من هذا التجديد في العلاقة فان الامبريالية الجديدة لا تتردد ولا تتوانى في استخدام القوة العسكرية اذا ما تهددت مصالحها أو تعرضت للخطر .

وعلى نفس المستوى مارست المؤسسات الامبريالية غزوا ثقافيا لدول العالم النامي ، تمثل في تقديم أعمال فنية وثقافية تبشر بقيم وانماط سلوك ، وتشجع عليها وتدعمها مما يسهم في إحداث تغير قيمي في المجتمعات النامية ، وهو تغير ليس في صالحها على الاطلاق ، ويتوازى مع هذا الغزو تشجيع المؤسسات الامبريالية لهجرة العقول من العالم الثالث الى العالم الغربي ، ولعل انتشار العديد من الأسماء اللامعة في الغرب التي تعود بأصولها الى دول نامية ، دليل على حرص الامبريالية على أن تبقى الدول النامية صغيرة تابعة .

وعلى الرغم من كل الاتجاهات التقدمية التي تشن نضالا وطنيا ضد التغلغل الامبريالي ، فان الامبريالية مازالت هي ظاهرة العصر الذي نعيش فيه بعدما استبدلت أدواتها ، فاستبدلت بالمجندي السلعة ، وبالبندقية الاعلان الجذاب ◘

ماذا تعرف عن

حمّى البحر المتوسط

بقلم : الدكتور محمد بركات*

نشرت وسائل الاعلام في الفترة الأخيرة معلومات تتعلق بزيادة انتشار مرض أطلقت عليه اسم « التهاب الأغشية المصلية » أو « حمّى البحر المتوسط » .

فما هذا المرض ؟ ولماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟

تحيط بالأعضاء الداخلية في تجاويف الجسم أغشية رقيقة شبه شفافة تعرف باسم الأغشية المصلية . ومن خصائصها البيولوجية أنها تسمح بمرور السوائل المصلية بمحتوياتها المذابة عبرها ، إضافة الى كونها تشكل عازلا طبيعيا يمنع تسرب الجراثيم الى داخل التجاويف الجسدية . وأكبر هذه الأغشية هو الغشاء البريتوني الموجود في التجويف البطني ، يليه من حيث الأهمية والحجم الغشاء البلوري (غشاء الجنب) الذي يحيط بالرئتين داخل التجويف الصدري ، والغشاء السحائي الذي يغلف

* استاذ الامراض الباطنية ورئيس قسم الجهاز الهضمي بكلية الطب جامعة الكويت .

الدماغ والحبل العصبي داخل العمود الفقري : ويوجد كذلك غشاء مصلي يبطن تجويف كل مفصل من مفاصل الجسم الكثيرة . وهذه الأغشية مثلها مثل أنسجة الجسم وأعضائه المختلفة تصاب بشتى أنواع الالتهابات والأمراض سواء كان ذلك بسبب اصابة الأعضاء المجاورة كما يحدث حينما يصاب الغشاء البلوري في أثناء النزلة الرئوية أو كما يحدث للغشاء البريتوني اذا انفجرت الزائدة الدودية في التجويف البطني ، أو أن تكون الاصابة محصورة في واحد أو أكثر من هذه الأغشية المصلية : ولعل مرض « حمى البحر المتوسط » هو أحد الأمراض القليلة التي تصاب فيها تلك الأغشية دون أعضاء الجسم الأخرى بالتهاب حاد مؤلم .

هل هو مرض عِرقي ؟

وقبل الخوض في بحث هذا المرض لا بد من التوقف قليلا أمام هذا الاسم « الرومانسي » ، ان التسمية توحي بان ثمة علاقة سببية بين هذه « الحمى » وبين البحر الأبيض المتوسط . والعلاقة هذه ـ إن وجدت ـ هي علاقة ظرفية فقط ، كان أول من أشار اليها جملة من الأطباء الفرنسيين العاملين في بلدان الشمال الأفريقي على الشاطيء الجنوبي للبحر المتوسط في أوائل الخمسينيات من هذا القرن . وقبل ذلك التاريخ عرف هذا المرض بأسماء أخرى وصفية . ولما كانت الغالبية العظمى من المرضى حتى أواخر الخمسينيات قد صودفت في بلاد المغرب العربي وسوريا وفلسطين ولبنان وتركيا ، وكلها تقع على شواطيء المتوسط بدا اسم « حمى البحر المتوسط » جذابا لبعض الباحثين رغم الاعتراضات على مثل هذه التسمية . لكن بغض النظر عن الأسماء فان من الحقائق المؤكدة الآن أن هذا المرض يكاد يكون حصرا على جنسيات عرقية محدودة تشمل الساميين بما فيهم من عرب ويهود خصوصا الشرقيين منهم والأرمن والأتراك وهي شعوب لها إمتداد جغرافي يمتد احيانا آلاف الكيلومترات عن شواطيء المتوسط كما هي الحال في أرمينيا السوفيتية والتركية وهضبة الاناضول وأقاصي الصعيد وشرقي العراق ، وكلها أماكن يتواجد فيها هذا المرض . هذا اضافة الى ان أبناء وأحفاد الجاليات المهاجرة من هذه الشعوب الأربعة الى كلتا الأمريكتين وأوروبا يصابون بهذه الحمى دون سواهم في أماكن معيشتهم الجديدة . هاتان الحقيقتان تشيران الى ان هذا المرض هو مرض عرقي ووراثي ينتقل بواسطة الجينات من جيل الى جيل مع الصفات الوراثية الأخرى . وتحت ظروف معينة تظهر الأعراض المرضية . وتجدر الاشارة هنا الى ان درجة انتشار هذا المرض وتوارثه بين العرب غير متساو في الأقطار العربية المختلفة فبينما هو شائع الانتشار بين عرب مصر وفلسطين ولبنان وسوريا نراه أقل بكثير بين عرب شمال أفريقيا والعراق ونادراً بين عرب الجزيرة ، وغير موجود عند عرب السودان . ومثل هذا الاختلاف في درجات الانتشار لا يبرره الاختلاف المناخي أو الجغرافي لأن درجة انتشاره بين الجاليات العربية الوافدة الى الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي توازي درجة انتشاره في مواطنها الأصلية .

نظريتان في الأسباب :

ان أسباب هذا المرض مازالت غير واضحة وان كانت النتائج الأولية للأبحاث العلمية الجارية تشير الى وجود خلل خلقي في بعض خمائر الجسم الضرورية لتمثيل مركبات الأدرينالين والنورأدرينالين أو نقص في بعض عناصر المناعة في الكريات الدموية البيضاء ، وهاتان النظريتان ليستا متعارضتين علميا بالصورة التي يمكن أن يوحي بها هذا العرض للقاريء ، فهما مساران علميان قد يؤديان في النهاية الى تحديد مكان الخلل ونوعه وكمه .

لقد أشرت في البداية الى كون هذا المرض نوعا من الالتهاب يصيب واحدا أو أكثر من الأغشية المصلية المذكورة تحت ظروف معينة ، تنتج عنه بالتالي الأعراض المختلفة التي يمكن ان يحس بها المريض ويلاحظها الطبيب . ويحدث هذا الالتهاب فجأة وعلى شكل نوبات حادة متكررة قد تتعاقب أسبوعيا أو شهريا أو مرة كل بضعة شهور وربما مرة كل سنة او سنتين . وتستمر كل نوبة في العادة فترة تتراوح بين

يوم وأربعة أيام ، وتعتمد نوعية الأعراض خلال النوبة على المكان الملتهب وعمر المريض وأحيانا على نوع الجنس ذكراً أو أنثى . والمرض هذا يصاب به الذكور والاناث وفي أعمار مختلفة تمتد من الأشهر الأولى من سن الرضاع الى ما بعد سن الأربعين . ورغبة في التسهيل يمكن تقسيم أعراض هذا المرض الى ثلاثة أقسام :

الأعراض :

أولا : الأعراض البطنية : وهي أكثر الأعراض شيوعا اذ يندر أن ينجو منها مريض خلال النوبات التي يتعرض لها عبر سنوات المرض الطويلة . وتبدأ النوبة في مثل هذه الحال بألم حاد في أي مكان من البطن ما يلبث أن ينتشر الى أماكن أخرى قد تشمل البطن بأكمله . ويزداد الألم شدة ليصل خلال ساعات قليلة الى درجة يصعب فيها احتماله . ويصحب الألم عادة ارتفاع في درجة حرارة الجسم قد تبلغ الأربعين درجة مئوية . وقد تسبق هذه الحمى قشعريرة . وأغلب الاحيان يشكو المريض إضافة الى ذلك من إنتفاخ وغثيان مصحوباً بالتقيؤ . ويبدو المريض عادة في حالة صحية سيئة تجعله يستغيث إذا كان قادراً على الاستغاثة بحكم سنه . وينتهي المطاف بزيارة الطبيب الذي لا يستطيع والحال هذه إلا النصح بادخال المريض الى المستشفى . فإذا كانت هذه النوبة تحدث لأول مرة لا يسع أي طبيب يقوم بمعاينة المريض إلا الاعتقاد بأنها حالة جراحية مستعجلة كالتهاب الزائدة الدودية أو التهاب المرارة الحاد أو التهاب البنكرياس أو انفجار قرحة معوية أو ما شابه ذلك . ولهذا فان نسبة عالية جدا من المصابين بهذا المرض يتعرضون لعمليات جراحية استكشافية بسبب مثل هذه النوبات .

وعادة يصاب الجراح بخيبة أمل وإحباط حين لا يجد في بطن المريض غير إحتقان حاد في الغشاء البريتوني ، ولكن خيبة أمل المريض وذويه تكون أعظم بكثير حينما تعاوده النوبة بعد فترة زمنية محددة تتكرر آلامها المبرحة دون تشخيص واضح أو علاج ناجع لها .

ثانيا : الأعراض الروماتزمية (المفصلية) : وهذه تصيب الأطفال واليافعين عادة ويندر أن يصاب بها أحد بعد سن الخامسة والعشرين . وفي مثل هذه الحال يشكو المصاب من ألم وتورم في واحد أو أكثر من المفاصل الكبرى في الأطراف كمفصل الركبة أو العقب أو كوع الذراع . وتكون مثل هذه النوبة عادة مصحوبة بحمى خفيفة أو عالية الأمر الذي يوحي للطبيب أنه بصدد حالة من حالات الحمى الروماتزمية ولكون مثل هذه النوبات تحدث في سن مبكرة فقد ينصح الطبيب باعطاء المريض حقن البنسلين شهريا ، وقد ينصح باستئصال اللوزتين نظراً لتكرر النوبات إلى أن تختفي تلقائياً بعد عدة سنوات ليعقبها بعد ذلك بفترة (قد تمتد عدة سنوات أخرى) الأعراض البطنية .

ثالثا : الأعراض الصدرية : تحدث هذه نتيجة لالتهاب الغشاء البلوري المحيط بالرئتين حيث يشكو المريض من آلام وَخْزِيَّة في أي مكان في الصدر أو الظهر أو الكتفين ، تزداد شدة في أثناء التنفس أو السعال أو حتى الحركة . والفحص السريري وأشعة الصدر لا يظهران في أغلب الأحيان أي دليل مرضي باستثناء إرتفاع في درجة الحرارة مما يجعل الطبيب يميل الى تشخيص الحالة على أنها التهاب فيروسي .

وجدير بالذكر أن الأنواع الثلاثة من الأعراض قد تظهر معاً عند بعض المرضى في أثناء كل نوبة أو قد يظهر منها نوعان دون الثالث ، أو قد تبدأ الأعراض بصورة معينة تختلف مع الزمن من نوبة إلى أخرى ومن صورة إلى أخرى .

تشابه الأعراض وخطأ التشخيص :

ان الأعراض التي سبق وصفها تشبه أعراض عدة أمراض أخرى أشير الى بعضها ، ولهذا لا يسهل التأكد من حقيقة نوع المرض عند حدوث النوبة الأولى . وبما أن الأعراض التي يشتبه بها هي في العادة من النوع الجراحي المستعجل كالتهاب الزائدة الدودية أو المرارة أو انفجار في المعدة أو الأمعاء فإن حالة المريض تستدعي تصرفاً مستعجلاً قد ينتهي بالمريض إلى غرفة العمليات قبل وضوح التشخيص . أما إذا شغلت النوبة من الأعراض الجراحية فإن

الأمراض المشابهة تدور عادة ما بين الحمى الروماتزمية أو الروماتزم المفصلي أو الالتهابات الرئوية بأنواعها . ومع أن نتائج الفحوص السريرية والمخبرية عادة تكون سلبية إلا أن الكثير من المرضى يعالج كما لو كان يعاني من أحد هذه الأمراض . وصعوبة التشخيص هذه ناتجة عن الافتقار إلى فحص مخبري خاص « لحمى البحر المتوسط » كما هي الحال في كثير من الأمراض المعروفة . ولقصر فترة النوبة فإن المريض والطبيب يشعران بعدم الحاجة الى مواصلة البحث عن السبب مادام قد تحسن وأصبح معافى . وبحدوث النوبة التالية تعاد الكرة دواليك إلى أن يشعر المريض وذووه باليأس والطبيب بالإحباط . وخلال سنوات المرض ونوباته المتعاقبة تجري للمريض عشرات (وأحياناً مئات) الفحوصات المخبرية والشعاعية تكون نتائجها دائماً مخيبة للتوقعات ، وتوصف له أنواع عديدة من العقاقير والأنظمة الغذائية والوصفات الطبية الشعبية وجميعها تكون بلا فائدة . وتنتهي دوامة اليأس والأمل هذه عادة بالصدفة إذا التقى مريض بمريض آخر سبق أن عرف مرضه أو بطبيب له خبرة بهذا المرض .

لقد أشرت قبل قليل الى صعوبة تشخيص المرض نظراً لعدم توفر فحص مخبري خاص به ، ولكن فريقاً من الباحثين العرب توصل الى استنباط وسيلة للتأكد من التشخيص تعتمد على استفزاز عناصر المرض عند المريض وإحداث نوبة مرضية خفيفة لا تدوم أكثر من ساعات قليلة ، لقد أثبتت أبحاث هذا الفريق وباحثين آخرين في أماكن مختلفة امكانية الاعتماد على هذا الفحص في أكثر من ٩٥٪ من الحالات وهي نتيجة ممتازة في عالم الطب . وإنطلاقا من نتائج هذه الأبحاث أصبح لدينا الآن أمل كبير أن نتوصل الى إيجاد الفحص المخبري المنشود في وقت قريب وكذلك الى معرفة أسباب هذا المرض إذا توفرت لأبحاثنا الإمكانيات المادية المناسبة .

العلاج بعقار قديم :

أشرت في سياق الحديث عن أسباب « حمى البحر المتوسط » إلى كونها مرضاً وراثياً بوساطة الجينات من أحد الأبوين إلى الأبناء فالأحفاد . لكن هذا لا يعني أن أعراض المرض لا بد أن تظهر في كل جيل من الأجيال أو في كل الأبناء إذا وجد في أحد الأبوين . ولذا فإن المرض يتواجد عند أكثر من شخص واحد في العائلة الواحدة في حوالي ٥٠٪ من الحالات . أما بقية المرضى فلا يوجد ما يدل على أن أحداً آخر من أفراد عائلاتهم أصيب أو مصاب بالمرض . وتزداد احتمالات الاصابة بالطبع إذا وجد في العائلة شخص آخر مصاب به وذلك نتيجة منطقية لوجود الجينات الوراثية الخاصة بالمرض في الأسلاف ولذا يصبح التزاوج بين أفراد مثل هذه العائلة أمراً غير مرغوب من الناحية الطبية .

أما في حالة ظهور الأعراض المرضية فإن العلاج الآن ينحصر في اتجاهين : الأول منهما معالجة الأعراض المؤلمة الحادة والثاني لمنع تكرار النوبات . لقد ظل الأطباء طوال الثلاثين عاماً يعالجون هذا المرض بشتى أنواع العقاقير المتوفرة لهم بدءاً بالأسبرين ومشتقاته والمضادات الحيوية بأنواعها ومضادات الحساسية وإنتهاء بمركبات الكورتزون دون أي دليل على فعالية كل هذه الأدوية . وبمحض الصدفة وجد أحد الأطباء الأمريكيين أن عقاراً قديماً يستعمل في علاج مرض النقرس يمنع تكرار نوبات حمى البحر المتوسط . كان ذلك سنة ١٩٧٢ ، ومنذ ذلك التاريخ أثبتت عشرات التجارب ومعالجة آلاف المرضى ان هذا العقار المعروف باسم كولشينسين (Colchin-cine) يحمي من حدوث النوبات المؤلمة وتكرارها في أكثر من ٩٠٪ من الحالات ، واتضح من خبرة السنوات الثلاث عشرة الماضية أن استعمال هذا الدواء بصفة دائمة في الأطفال والبالغين لا يقترن بأية مضاعفات أو آثار جانبية سيئة مادام المريض مواظباً على مراجعة الطبيب المعالج بصورة منتظمة . لقد ثارت بعض المخاوف في البداية حول ما اذا كان استعمال عقار كولشيسين يقلل من خصوبة الرجال أو نمو الاطفال لكن لم يظهر الى الآن أي دليل علمي يثبت ذلك ، وتبددت هذه المخاوف بعد سنين من متابعة درجة خصوبة الرجال ومعدل نمو الأطفال المعالجين مقارنة بغيرهم من الأصحاء . على أن ثمة تحفظا مازال قائما حول إمكانية استعمال هذا الدواء في اثناء فترة الحمل فقط . □

الرأي ، والرأي الآخر . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

منتدى العربي



قضية

لغة الإعلام بين الفكر والمجتمع

بقلم : الدكتور محمد سيد محمد

في فجر التاريخ الانساني كان الإعلام قائماً على المشافهة ، الى جانب الاشارات والحركات التعبيرية . من ذلك نستنتج مباشرة أن لغة الاعلام كانت أقرب ما تكون الى لغة التخاطب اليومي العابرة . نقول أقرب إحتراساً ، فربما كان المنادي أو الخطيب يحاول انتقاء تعبير الاستغاثة أو التحذير أو انتهاز فرصة الصيد . ولولا هذا الاحتراس لقلنا ان تطابقاً كان بين لغة التخاطب اليومية وبين لغة الاعلام في فجر التاريخ الانساني .

فاللغة - وهي أداة الفكر ومساعدته - هي التي مكنت الانسان من الشعور بذاته ، ومن الاتصال بأمثاله ، وجعلت من الميسور تكوين الجماعات . ومن العسير أن نتصور حالة أولية للانسان كان فيها محروماً من مثل هذه الوسيلة الناجعة للعمل . فتاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود لغة منظمة ، وما كان في وسع الانسان أن يسير في طريق التطور دون اللغة . ويقسم « شوشار » التعبير عند الانسان الى خارجي يتيح لنا الاتصال والابلاغ ، والى داخلي يفصح عن عقولنا وعن مدى ادراكنا .

وتدور معظم أدوار اللغة بين محورين رئيسيين : هما : الفكر من جانب ، والمجتمع من جانب آخر . وترتبط اللغة بالفكر ارتباطاً مباشراً وثيقاً ، وتفسير هذه العلاقة موضع اختلاف فلسفي و « ايدولوجي » يعكس الخلاف بين الفلسفة المادية والفلسفة المثالية من جانب ، واختلاف الفلاسفة من جانب آخر ، ولكنه يؤكد العلاقة بين اللغة والفكر . فاللغة كما

يصفها « كارل ماركس » هي حقيقة الفكر المباشرة ، و « ستالين » يوضح هذا المفهوم الماركسي في قوله : « يقولون ان الأفكار تتكون في عقل الانسان قبل أن تصبح ألفاظاً وأساليب تعبير ، وانها توجد عارية تماماً ، دونما أي حاجة الى أجهزة اللغة . ولا شك أن ذلك القول ينطلق من خطأ بيِّن ، فمهما كانت الأفكار التي تتجمع في عقل الانسان فهي لا تستطيع أن تولد وتحيا الا من مصدر الفاظ وعبارات اللغة،فلا وجود للافكارالعارية ، المتحررة من أجهزة التعبير . . وان حقيقة الفكر تظهر في التعبير . ولا وجود أيضاً لأفكار بدون التلفظ بها » .

ويرى انصار المذهب المادي أن المخ يفرز الأفكار كما تفرز الكبد الصفراء .

ولقد أظهر « دي لاكروا » العلاقة بين اللغة والفكر قائلاً بأن الفكرة تُكوِّن اللغة بعد أن تكون قد تكونت بواسطة النطق .

وينسب الى « سقراط » قوله : حينما يفكر العقل يتكلم الى نفسه . ولقد صاح سقراط في رجل صامت : يا هذا تكلم حتى أراك . « وجيته » يقول نحن أحياء فقط عندما نتكلم . وقال « هويز »ان المعرفة ما كانت لتأتي الى حيز الوجود بدون اللغة . ووافقه « لوك » الذي قال ان الحاجة الى الاتصال هي منبع اللغة ، وان اللغة تولِّد الفكر بدورها ، وان الناس ليطلبون في بيان أفكارهم عون اللغة أكثر مما يستعينون بالطبيعة الحقيقية المحددة للأشياء كما هي . وقال « كونديلاك » ان المرء لا يفكر دون عون اللغة . ويرى « وارد » انه في الوقت الذي أصبح من المؤكد فيه أن الفكر لا يتم الا باللغة كما يبدأ الفن بالأدوات ، تساعدنا اللغة مع هذا على أن نتقدم بعملية التفكير تقدماً عظيماً الى الأمام ، وجاء « ستاوت » بعد ذلك ليسأل : ما الوظيفة الخاصة للغة في تفكيرنا ؟ ويجيب أن للغة وظيفة تعبيرية ، فالكلمة أداة للتفكير في المعنى الذي تعبر عنه . ويرى « برجسون » أن اللغة وسيلة رئيسية يستطيع الذكاء بها أن يتحرر من روابط الغريزة . ويقول « كروتشي » إنه يبدو واضحاً أنه اذا لم يتكلم الانسان فلن يفكر . وذهب « واطسون » الى القول بأن ما نسميه تفكيراً ليس الا كلاماً صامتاً . و « برتراند راسل » يقول :

يكاد كل النشاط الذكائي الأعلى أن يكون مسألة كلمات . وقال « فرويد » ان النشاط العقلي يصير نشاطاً عقلياً شعورياً الى حد انه يظهر في شكل صور نطقية . ولقد شرح « بنكام » هذه الفكرة بقوله . إن الافكار أحلام ما دامت لم تكْسُها الكلمات وما دامت عارية منها ، وهي تطفو في العقل حيناً ، وتختفي منه حيناً آخر ، كما يفعل السحاب في السماء . وكان « اوسكار وايلد » يقول ان الأفكار تولد دائماً مكسوّة لا عارية .

و « ميرلو - بونتي » يقول ان الفكر لا يوجد خارج العالم أو بمعزل عن الكلمات . وما نقع فيه من وهم يجعلنا نعتقد بوجود فكر لذاته قبل التعبير . انما الأفكار التي انتظمت من قبل وعبر عنها من قبل هي التي نستطيع أن نستدعيها الينا في صمت ، وبها نوهم أنفسنا أن لنا حياة داخلية بغير لغة . والحقيقة ان هذا الصمت الظاهر يعج بالكلام . وقال بونتي انه ليس بين الفكر والكلام علاقات خارجية زمانية أو مكانية ، ليس الفكر قبل الكلام ولا خارج الكلام ، انما الفكر في الكلام ، وقد انطوى كل منهما في الآخر . وشبههما باتحاد النفس والبدن .

واهتمام الفلسفة باللغة يبلغ مداه في دلالة الألفاظ . « ان الموضوع الحقيقي للفلسفة هو دراسة المعنى . والفيلسوف لا يدرس هذا المعنى بصفته واقعة نفسية أو عقلية ، بل يدرس وحسب الجانب المنطقي منه . ولا يوجد المعنى المنطقي خارج بناء اللغة ، ولذا فان عمل الفيلسوف هو دراسة المعنى اللغوي ، بتحليل العبارة المختلفة ، سواء كانت تقريبية ، أو خلقية معيارية ، أو قانونية الخ . ليعرف كيف يتحقق المعنى في كل استخدام . وهو لا يهدف من وراء هذا الجهد الى اضافة معلومات جديدة الى العلم الطبيعي أو الأخلاق ، أو سواهما ، بل يرمي الى توضيح وايضاح غايات اللغة ، أو الطرق التي تتمكن بها من تحقيق هذه الغايات ، وهكذا - كما يقول لودفيج فنجنشتين - فان الدلالة اللغوية هي الموضوع الأول للفلسفة .

واذا كان الفكر هو المحور الذي دارت حوله معظم أدوار اللغة فان المحور الذي يناظره هو المجتمع . وفي معرض تحليل العلاقة بين اللغة والمجتمع يبرز على اللغة الربط الوثيق الذي يشدهما وهو ربط

الاتصال . فيرون أن الطرق الخاصة للتفكير انما تشيع في المجتمع بواسطة الاتصال . هذا الاتصال الذي يشمل الى جانب اللغة ، الرموز التصويرية ، والطقوس ، ولكن تظل اللغة هي الوسيلة الرئيسية لهذا الاتصال ، ومن ثم تظل الوسيلة الرئيسية للتأثير في الادراك . وهي رباط تذكر الماضي عند الفرد والجماعة ، ورباط الوعي بالحاضر والتنبوء بالمستقبل فالفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نشأ فيه .

وتمثل الثقافة مرحلة جديدة في تطور الانسان وهي مرحلة القدرة على الحصول على المعلومات وخزنها وتبادلها ومن ثم نقلها للجيل التالي ، بحيث أن الفرد في الجيل التالي لا يحتاج الى أن يعيد اكتشاف تلك المعلومات وتعلمها من جديد . وتطور الثقافة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرموز وخصوصا المتعلقة بلغة الكلام والكتابة الى جانب الرسم والموسيقا وغير ذلك . ولكن اللغة هي أهم الرموز وهي التي تجعل النشاطات الأخرى ممكنة .

ويقول سابير (١٩٢٩) العالم اللغوي أن بني الانسان لا يعيشون في العالم المحسوس الخارجي وحده ، ولا في عالم النشاط الاجتماعي - كما يفهم عادة - وحده ، بل يكونون - الى درجة كبيرة - تحت رحمة اللغة الخاصة بهم ، والتي أصبحت وسيلة الاتصال في مجتمعهم .

وأغلب ظننا أن « ماكلوهان » عندما قال ان الطباعة هي التي انشأت القوميات كان متأثراً بقول بنيامين عالم اللغة : ان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل انها هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار . فنحن نقسم الطبيعة أو العالم بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغاتنا القومية . ان المرء يفكر بلغته . ولغة المرء انعكاس لثقافته . ولقد ضرب لنا سارتر مثلاً في محاضرة له(عن دور المثقف في المجتمع) عن طالبين صديقين كانا يدرسان الطب في باريس أحدهما فرنسي والآخر زنجي . وكان الفرنسي يعتقد أن ميوله بعيدة عن التمييز العنصري ولكنه تكلم مع صديقه مرة حين أرسل نفسه على سجيتها . فشرع يقول العبارة الفرنسية الجارية على الألسنة « لنشتغل الآن كما يشتغل الزنجي » ، ولكنه بدأها قائلاً : « لنشتغل الآن كما يشتغل . . » وتوقف عن النطق بكلمة « الزنجي » فكان توقفه عن النطق مشيراً الى أنه فطن الى ما تحمله الكلمة من زراية وامتهان لصديقه ، وهو ان الزنوج هم وحدهم الذين عليهم أن يقوموا بأشق الأعمال التي يترفع عنها الأوربيون . وفهم الصديق الزنجي أموراً كثيرة تواردت على خواطره : خلفية الفرنسي البرجوازي ، وتمييزه بين الأبيض والأسود . استثارت الكلمة المحبوسة هذا الجو كله ، ودلت على أن المتحدث انما يعبر عن أفكار فرنسية وعقلية برجوازية،وكانت القطيعة بين الصديقين بسبب هذه الكلمة التي لم ينطق بها . وكان لسان حال الزنجي يقول للفرنسي انك لم تتحرر ياصديقي من أفكارك المسبقة التي تشير اليها لغتك الفرنسية فحرر لغتك حتى تستطيع أن تحرر فكرك . والفيلسوف الألماني نيتشة يقول أن اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد الى أعماق كيانه . وتبلغ أخفى رغباته وخطراته . انها تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصاً خاضعاً لقوانين ، انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان .

ولقد ربط بعض المفكرين والفلاسفة بين قضية اللغة أو ما أسموه ثورة في اللغة ، فمن اللغة تبدأ ثورة التجديد ، لأن اللغة عندهم هي الفكر ، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك . فقد تسود العصر روح دينية صوفية تبحث عن الخفاء وراء الظهور ، وعن المطلق وراء الجزئي ، وعن البقاء وراء الفناء ، فعندئذ ينعكس هذا كله على طريقة استخدام الناس للغة في مدارج الثقافة العليا لا في تصاريف الحياة اليومية فيجعلون اللغة للايحاء لا للدلالة . وقد تسود العصر روح علمانية واقعية . يشتغل الناس فيها بالعلوم الطبيعية والرياضية أكثر مما يشتغلون بالوجد الصوفي فعندئذ ينعكس ذلك على اللغة فنرى أصحابها يتخذون منها اداة ترمز الى الواقع المحسوس .

والدكتور زكي نجيب محمود يحترس من التعميم القاطع فيقول : ذلك على وجه التعميم الذي لا ينفي أن يتأثر في الحالة الاولى أفراد أشبه بالعلماء في استخدامهم للغة كما لا ينفي ان يكون في الحالةالثانية أفراد أشبه بالشعراء في صياغة القول .

ان اللفظ في اللغة تكمن فيه الثقافة التاريخية .

ومن بين مفردات اللغة ما يعتبر وثائق تاريخية ومنها ما ينطق بمواصفات اجتماعية خاصة بكل شعب ، كما أن منها ما يحمل شحنة عاطفية لا تدري عادة لماذا اختصت هذه الكلمة أو تلك بحملها .

واللغة كما يصورها بعض علمائها مركب معقد تمس فروعاً من المعرفة مختلفة ، وتعنى بها طوائف متفرقة من العلماء . فهي فعل فسيولوجي من حيث انها تدفع عدداً من أعضاء الجسم الانساني الى العمل ، وهي فعل اجتماعي من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الانسان،ثم هي في النهاية حقيقة تاريخية لا مراء فيها نعثر عليها في صور متباينة وفي عصور بعيدة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة . ومن ثم كان لنا أن نتصور دراسة للغة يقوم بها عالم من علماء وظائف الأعضاء ، فيصنف الطرائق التي تؤدي بها أعضاء الكلام وظيفتها . أو عالم من علماء النفس فيحلل حركة التفكير مهتدياً بنتائج علم النفس ، أو عالم من علماء الاجتماع فيظهر لنا أثر التنظيم الاجتماعي في تطور اللغات ، او مؤرخ فيصنف اللغات في اسر ويحدد توزيعها الجغرافي . كل واحد من هؤلاء يستطيع أن يكتب كتاباً يدخل في علم اللغة ولو أن نقطة البدء التي صدر عنها توجد خارج هذا العلم ، والنتائج التي يصل اليها تمتد حتى تخرج من حدوده .

وهكذا تبدو اللغة بحراً مترامي الأطراف ، فما هي علاقتها بالاعلام ؟ وأين تتجه ؟ ان الهدف الأساسي لهذه العلاقة هو اجلاء نقطة التماس بين دائرة الاعلام ودائرة اللغة ، وكيف يمكن شحذ هذه النقطة لتولد مجالاً ايجابياً بين الدائرتين ؟ . ومن ثم تصبح نقطة التماس بين دائرتي اللغة والاعلام ، قنطرة لإثراء وتطوير وترقية المجالين ، مجال اللغة ومجال الاعلام . □



منتدى العربي
تعقيبات

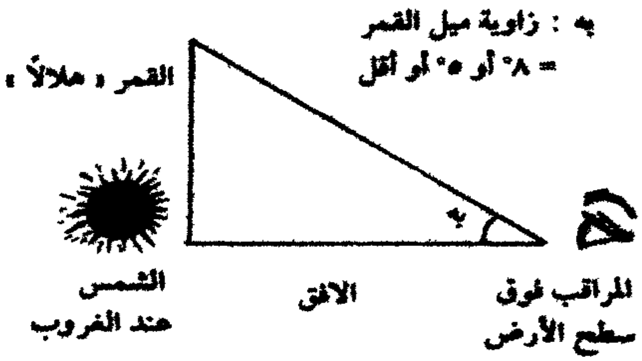
«الحساب الفلكي في بداية الشهور القمرية»

نشر الدكتور عبدالمنعم النمر مقالا في مجلة العربي ، العدد ٣١٩ حمل عنوان (الحساب الفلكي في تعيين بداية الشهور القمرية) وقد ورد في فقرة بدء الشهور العربية العبارة التالية : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » . وبين الرسول اسماء هذه الأشهر الحرم ، وهي رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة . . انتهت العبارة .

تأكدت من أسماء الأشهر الحرم الأربعة وذلك بالنظر في تفسير الجلالين ، فتأكدت أن الأشهر الحرم هي (رجب ، ذوالقعدة ، ذوالحجة ، المحرم) أي ان شوال ليس شهرا حراما ، وبهذا تتوافق حرمتها وسلامة الحجاج في الأشهر الثلاثة المتصلة « عدا رجب » ، وهي أشهر الحج بحيث يتسنى للحاج حسب المواصلات القديمة « الجمال والخيول » من الذهاب الى الكعبة والعودة سالما . ونتابع المقال حتى

الصفحة (٣٦) . وبالتدقيق في الرسم المرفق الذي بينه الدكتور نلاحظ أنه لا ينطبق على الشرح في البحث ولا على المراد منه ، فالرسم يبين أن الزاوية بين القمر والشمس عند الغروب تساوي ٩٠ درجة ، فكان يجب أن ترسم الشمس في الطرف الآخر للافق فيتفق ذلك مع الشرح حيث يبدو للمراقب على سطح الارض ان الزاوية بين القمر والشمس أو ميل القمر = ٨ درجات أو (٥) درجات حسب أدنى مسافة بين القمر والشمس . ويمكنه أن يرى القمر بالعين المجردة « وربما أقل من خمس درجات » .

في الرسم الموضح : نسقط القمر والشمس على مستوى عمودي على المستوى الافقي .



أما عن اهمية أخذ المسلمين بالحساب الفلكي ، والاستعانة بالوسائل العلمية الحديثة ، فمع الكاتب كل الحق . وذلك من أجل معرفة بداية الشهر القمري ونهايته بكل دقة ، لأن العين المجردة تقف عاجزة في أغلب الأحيان عن رؤية الهلال فيما لو كان بُعد القمر عن الشمس « الزاوي » أقل من خمس درجات كما أوضح الدكتور وذلك لأسباب اورد بعضها :

أولا : يستمد القمر ضوءه من الشمس ، ولكن الجزء المضاء من القمر والذي يرى من سطح الارض (عندما يقترب القمر من وضع المحاق) صغير ويتناسب صغره طردا مع اقتراب القمر في نهاية الشهر القمري .

ثانيا : في اثناء غياب الشمس واحتجابها تحت الافق « والقمر قريب منها أقل من خمس درجات » لا ننسى الضوء غير المباشر الناتج عن تشتيت الأمواج الضوئية الصادرة عن الشمس ـ وخصوصا القصيرة منها ـ بواسطة جزيئات الهواء التي تؤلف الغلاف الجوي الأرضي ذا السماكة الكبيرة . ونظرا لصغر المساحة المضاءة من القمر والتي يجب أن ترى من الأرض (ذات استطاعة ضوئية صغيرة) ولكون عاكسية القمر الضوئية منخفضة بسبب انعدام الغلاف الجوي القمري (لأن أشعة الشمس عندما تسقط على القمر ترفع درجة حرارته فلا يعكس الا قسما بسيطا منها ثم يبث هذه الحرارة على شكل أمواج كهرطيسية تحت حمراء « غير مرئية ») ، ونتيجة لهذا يمكن أن تطغى الاشعة المتشتتة عن جزيئات الهواء (في الغلاف الجوي الارضي) على الضوء المنعكس عن الجزء المضاء من القمر .

للاسباب السابقة تتعذر رؤية القمر بالعين المجردة ، والاعتماد على الحساب الفلكي والوسائل العلمية الحديثة يجعلنا نتحقق من بداية ونهاية الشهر القمري ، ولا نكون في موضع شك من هذا . □

عبدو الاحمر

قال ابن عطاء : ان للدعاء أركانا ، واجنحة واسبابا واوقاتا ، فان وافق أركانه قوي ، وان وافق مواقيته فاز ، وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور القلب ، واجنحته الصدق ، ومواقيته الأسحار ، وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .



منتدى العربي
تعقيبات

حول موضوع :
تلوث البيئة والتسمم الغذائي وسوء استعمال الدواء ..

بقلم : د . نبيه الغبرة

كان حديث الشهر للدكتور الرميحي في العدد ٣١٦ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٥ ـ آذار ١٩٨٥ ـ بعنوان : « التلوث . الدواء الفاسد . الغذاء المسموم » . ولاشك أن الموضوع مهم بالغ الخطورة له آثار سلبية كبيرة ، وخصوصا في المجتمعات المتخلفة ، ولكن من الممكن معالجته او التخفيف من آثاره إن أحسن تدبيره .

ولقد أحببت أن اشارك في هذا الموضوع بصفتي المهنية ـ لانه في الاصل موضوع صحي طبي ، وان كانت له جوانب أخرى كثيرة ، لانني وجدت في المقالة كثيرا من النقاط التي تحتاج الى شيء من التحديد والايضاح . فقد وجدت الدكتور يلوم المؤسسات الغربية بصورة خاصة وكأنها المصدر الوحيد لمصائب التلوث والغذاء الفاسد والدواء المسموم مع أن البلاد المتخلفة هي التي تتحمل الوزر الأعظم وعليها أن تحمل مسؤولياتها .

فمن الناحية الفنية كنت أفضل الفصل بين المواضيع الثلاثة التي جعلت عنوانا للمقال . وأن تبحث مشكلات كل موضوع على انفراد . وان كان هناك أحيانا شيء من التداخل فيما بينها ، وخصوصا مابين قضايا التلوث والتسمم الغذائي .

فالتلوث ، يعني تلوث بيئة الانسان (الهواء والماء والتراب) بأية مادة ضارة بصحة الانسان أو الحيوان أو النبات ومنها فضلات المصانع ونفاياتها وتسرباتها ، والمبيدات الحشرية التي ركز عليها الدكتور في مقالته بصورة خاصة ، كما أن منها النفايات الشعاعية وتسرباتها ، ومنها وهو الأهم في البلاد المتخلفة تلوث بيئة الانسان بالاقذار والنفايات البشرية التي تجعل البيئة مرتعا للحشرات والقوارض والجراثيم والطفيليات وتجعل الأمراض المستوطنة في هذه البلاد مشكلة المشاكل والعقبة الكبرى التي يجب التخلص منها ، فترى النهر مثلا يصدر من منبعه عذبا فراتا فلا يسير بين المجمعات السكنية بضعة كيلومترات حتى يصبح مليئا بالأقذار وبالجراثيم والطفيليات المسببة للمرض .

بهذا التعريف للتلوث تخرج مواضيع التدخين ـ وان كان هو القاتل الاول في العالم كما تسميه منظمة الصحة الدولية ـ وانتهاك البيئة واستنزافها . إن معالجة التلوث تكون بجعل البيئة صحية ، ومنع تلوثها او بتخفيفه على قدر الامكان . ومثل هذا

العمل الضخم لابد فيه من مؤسسات حكومية فنية متخصصة . ولابد لنجاحه من تجاوب الناس السلوكي والوجداني والايجابي . فعندما حذرت اليابان المواطنين مثلا من خطر غازات احتراق محركات السيارات وشجعتهم على ركوب الدراجات شاهدنا أن الشعب استجاب وأقبل على ركوب الدراجات . وأن بلادا شرقية ـ مثل سنغافورة ـ لاترى فيها قمامة ملقاه في الطريق ولاتجمعات مياه قذرة ولاذباب ،مضاهية في ذلك البلاد الغربية . ففيها وزارة خاصة بالبيئة تسهر على صحة البيئة ومنع تلوثها البشرى . وأما بالنسبة للتلوث الصناعي فهو موضوع واسع لاتزال تعاني منه البلاد المتقدمة ايضا ، ويجب على كل حكومة محلية أن تسعى للتخفيف من اخطاره .

أما الغذاء الفاسد : فيحسن ان يستخدم للدلالة عليه تعبير التسمم الغذائي أو التسمية الفنية : « الامراض الناجمة عن الطعام » ، ويقصد بها كل مرض أو أذية تنجم عن الطعام ، وهذا لايقتصر على تلوث الطعام بالسموم الكيماوية الصناعية ، وفساد المعلبات بل يشمل ـ وهو الأهم وخصوصا بالنسبة للبلاد المتخلفة ـ الأمراض الوبائية والطفيلية والتسممية الناجمة عن تناوله . وهذه الآثار السيئة تحصل بطرق مختلفة وكثيرة يأتي في مقدمتها فساد الأطعمة العادية وتلوثها بدءا من نشأتها ومرورا بإعدادها وحفظها وانتهاء باستهلاكها . ويزداد الخطر طبعا عندما يكون الطعام معدا للجماعات . في المدارس والمعاهد والمشافي والمطاعم والفنادق والرحلات السياحية والطائرات وتجمعات الجنود وصوامع الحبوب وغيرها .

وأما الامراض والتسممات الناجمة عن الاطعمة المحفوظة فهي واردة بلا شك ولكنها ليست بالشكل المخيف . فالصناعات الغذائية هي الاولى من حيث الضخامة في العالم الغربي بل في العالم أجمع . وعليها يقوم توفير الأمن الغذائي للعالم . وبدونها لايستطيع المرء أن يتصور حلا . وان المعارف والتقنية الحديثة مسخرة لنجاح هذه الصناعة . وهنا نرى أن مصلحة المستهلك والصناعة تسير جنبا الى جنب . فحفظ الطعام الجيد يعني بيعه والاستفادة منه . ولا أعتقد ان هناك مرجعا علميا معتمدا يقول بخطر الاطعمة المعلبة بشكل مطلق ، فكل بلاد العالم تسعى وراء هذه الصناعة اليوم لتوفير الطعام للناس . ولكن قد تسيء بعض البلاد المتخلفة استعمال الاطعمة المحفوظة بالتبريد مثلا ، وهنا يكون الذنب ذنبها .

فمن الواجب أن يكون في كل بلد مؤسسات فنية متخصصة لمراقبة الطعام المستورد والمنتج ويترك الامر للأفراد .

ان القوانين الموضوعة في العالم المتقدم اليوم لحماية الطعام ـ ومنه المعلبات والمحفوظات ـ على غاية من الدقة والاحكام ، والتطبيق والمراقبة ـ وهي الأهم بالطبع ـ بحيث يطمئن الانسان الى استعمالها ، فنحن نصف ونستعمل الحليب المعلب والطعام المعلب والمحفوظ ـ وان كنا لانشجعه الا في الظروف والاحوال الاضطرارية . وكلنا اطمئنان الى سلامته وجودته . وحول ماجاء في مقالة الدكتور في مطلع الصفحة ١٩ : « الزبدة ـ والحليب المجفف . . منتجات حضارية رغم مضارها الكبيرة على صحة الانسان » ، او « الوجبات الغربية قاتلة » . (ص ١٩ سطر ١٩) فأنا أتصور أنه قد يكون هناك غش واحتيال وتآمر . ولكن يجب على كل عيون حكومة محلية أن تكون متفتحة ساهرة على أمن غذاء شعبها فهذا من اولى واجباتها .

واما الموضوع الثالث الذي طرحه الدكتور بشكل رئيسي بعنوان الدواء المسموم فيمكن القول ان له جانبين : جانب فني وجانب اجتماعي .

فالجانب الفني هو من اختصاص المهن الطبية والعاملين على انتاج الدواء . وعلى هؤلاء السعي لايجاد الدواء الفعال المأمون بقدر الامكان .

ونستطيع القول بايجاز إن الدواء بوجه عام هو في الأصل مادة سامة ، ولايعطي الا بمقادير محددة . فاذا اعطي بأيد أمينة حسب المقادير المحددة لم يحدث عند متعاطيه أي أذى أو ضرر . ولكن مع كل التقدم العلمي يبقى لبعض الأدوية تأثيرات سمية عند بعض الناس تسمى بالآثار الجانبية وهي قد تكون قليلة هينة وقد تكون كثيرة وخطرة ، ولكن الطب لايستغني عن هذه الادوية لعدم وجود بدائل لها . وكلما وجد البديل الافضل استغني عن القديم المفضول ، فالادوية الكيماوية السرطانية مثلا ذات آثار جانبية شديدة

وخطرة ولكن لايستغنى عنها ، حتى الاشعة والمواد المشعة لابد وأن نلجأ اليها عند الضرورة .

كما أن لكثير من الأدوية مضادات استطباب ، أي التحذير من استعمال الدواء عند المكبود ، او المصاب في كليته أو عند الحامل او المرضع ، وهكذا . وعلى كل طبيب أن يعرف مضادات الاستطباب كما يعرف الآثار الجانبية .

فالطب ليس بغافل عن تعاطي الادوية وهو يأخذ من الاحتياطات الشيء الكثير كما يقوم بالدراسات والتجارب قبل البدء باستعمال الدواء الجديد بما فيه الكفاية وزيادة . وعلى كل طبيب أن يكون على وعي كامل بكل دواء ومخاطره حين وصفه وخصوصا للحامل . وأعتقد ان علينا أن نطمئن القارىء الى أن الدواء الذي يقرر عدم تداوله او عدم صنعه او انه قد ظهرت له بعض التأثيرات غير المعروفة سابقا وماشاكل ، انه في مثل هذه الاحوال تصبح جميع الهيئات الصحية والاطباء في العالم على دراية وعلم بالموضوع . فالبلاغات والتعميمات بهذه المسائل ليست وقفا على عدد من الدول بل هي للعالم اجمع وغالبا ماتوزع مثل هذه المعلومات عن طريق الصحة الدولية

ولتطمئن الأمهات ان التشوهات التي تنجم عن الدواء لاتشكل الا نسبة ضئيلة جدا ، هي جزء من خمسة وعشرين جزءا من الأسباب المشوهة الأخرى . وبالطبع لايوصف الدواء الا في الضرورة القصوى .

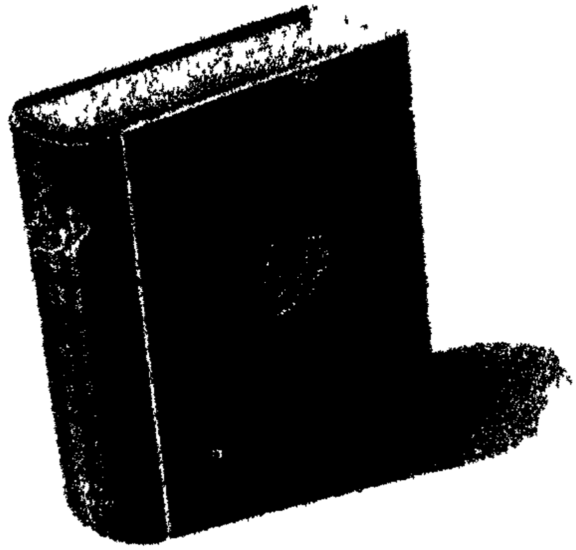
وهنا نستطيع القول ـ كما قلنا ـ في موضوع الطعام ، إن الاحتيال والغش والتآمر والاستغلال أمور واردة بلا شك ولكن على الحكومات المحلية أن تراقب الاتجار بالدواء وسلامته .

واما الجانب الثاني في قضية الدواء فهو الجانب الاجتماعي ـ ان صح التعبير ـ واقصد به سوء استعمال الدواء وتعاطيه وصرفه . وهذا الجانب يمثل مشكلة كبيرة ، وفي كثير من البيئات المتخلفة على ماأعتقد . وهو الذي يؤدي الى مصائب لها أول وليس لها آخر . فبيع الدواء بدون وصفة وكأنه طعام أو فاكهة هو المشكلة التي يجب العمل على تدارك مخاطرها ، ولاأريد أن أطيل في هذا الموضوع فكل من يعيش في بلد يصرف فيه الدواء بدون مراقبة فنية دقيقة يدرك خطورة الموضوع ، فسوء استعمال الدواء هذا هو الذي يجب العمل على تنبيه الرأي العام اليه والعمل على ايقافه .

انها مواضيع هامة وخطرة ويجدر أن تعقد حول كل مشكلة من مشاكلها الندوات واللقاءات والمناقشات . □

اسمه . . . . . أكثر من ثمنه :

صاد أعرابي سنورا . . ولم يكن يعرفه أو رآه من قبل .
فقابله رجل وقال له ممازحا : ما هذا السنور ؟ ولقيه آخر . . فقال له ؛ ما هذا القط . . ولقيه ثالث . . فقال : ما هذا الهر ؟ . . . ولقيه رابع . . فقال : ما هذا الخيدع ؟ ثم لقيه خامس ، وقال : ما هذا الزئم ؟
فقال الأعرابي في نفسه : أحمله فأبيعه فيجعل الله منه لي مالا كثيرا .
فلما أتى السوق . . قالوا له : بكم هذا ؟
قال بمائتي درهم .
فقالوا له : انه لا يساوي أكثر من نصف درهم لمن أراد أن يشتريه . .
فرماه الأعرابي على الأرض . . وقال : ما أكثر أسمائك وأقل ثمنك . .



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم حسين احمد امين

قوله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل) البقرة ١٠٨

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي أمية ورهط من قريش ، قالوا : يامحمد اجعل لناالصفا ذهبا ، ووسع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار خلالها نؤمن بك . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال غيره : ان اليهود وبعض المشركين طالبوا الرسول بأن يبرهن على صدقه بأن يأتيهم بكتاب من السماء جلة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل ان عبد الله بن أبي أمية قال له إئتنا بكتاب من السماء فيه : من رب العالمين الى ابن ابي امية ، اعلم انى قد ارسلت محمدا الى الناس ، وقيل بل إن بعضهم قال له : لن نؤمن لك أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، فانزل الله هذه الآية .

على أى حال ، فان المفهوم الواضح من الآية وتفسيراتها أن بعض قوم النبى عليه الصلاة والسلام اشترطوا عليه حتى يؤمنوا بدعوته أن يأتى ببعض الخوارق ، مما يعاق قوانين الطبيعة ، فأبى الله أن يجيبهم الى سؤالهم ، وهو الذى خلق لهم من العقول ما يمكنهم باستخدامها التميز بين صحيح العقائد وفاسدها ، وصادق الرسالات وكاذبها دون حاجة الى الاستعانة على هذا التمييز بضروب من الخوارق والسحر .

والواقع أنه ليس ثمة كتاب مقدس هو أحفل من القرآن الكريم بالآيات التى تحض الناس على النظر والتفكير وتحكيم العقل ، والا أحوى منه على عبارات مثل : أو لم ينظروا . . فلينظر الانسان . . أفلا يتدبرون . . افلا يعقلون . . لعلهم يتفكرون . . لو كانوا يفقهون . . أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف . . فهنا ثقةمطلقة بأن تقليب النظر واعمال الفكر والرأى والنقاش القائم على مقارعة الحجة بالحجة ، أمور كفيلة وحدها بالاقناع بالرسالة ، والهداية الى الدين الحق . (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ) .

ان قدرة الخالق انما تتجلى فى انتظام عمل قوانين الطبيعة لافي تعطيلها . وقد وضع الله هذه القوانين من أجل تحقيق مقاصد وغايات ، ولا يُقبل ـ عقلا ـ أن يعطل بعض الناس عمل هذه القوانين بسبب رغبات لهم خاصة ، أو غايات عارضة ، أو أن يصرفوا الله ـ سبحانه وتعالى عما يصفون ويعتقدون ـ عن قصده ، ويغيروا له ارادته .

وقد كان عبد الله بن أبي أمية فى طلبه من النبى عليه الصلاة والسلام أن يجعل من الصفا ذهبا ، أو يفجر الأنهار فى مكة ، وفى تعليقه الايمان بالدين الجديد على شرط تحقق مطالبه ، انما يعبر تعبيرا صادقا عن نظرة الجاهليين الى الدين والى الآلهة . فعبادة الأرباب لديهم انما كان الدافع الرئيسى وراءها تحقيق مآرب شخصية أو قبلية ، يستعان عليه بالتوسل وتقديم القرابين والنذور . وقد ذكر ابن سعد والجاحظ وابن ابى الحديد مثلا لذلك أنهم كانوا فى الجاهلية اذا اشتد الجدب وامتنع المطر اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا فى أذنابها وبين عراقيبها فروع الشجر ، ثم صعدوا بها فى جبل وعر ، واشعلوا فيها النيران . واذ يصرخ البقر من الألم يضج الناس معها بالصراخ والدعاء والتضرع ، فيرتفع صراخ الكافة الى الآلهة ، فتدخل قلوبها الشفقة وترسل المطر .

وقد شاء الله تعالى بهذه الآية الكريمة التى نتحدث عنها أن ينبه الناس الى أنه ليس ثمة علاقة ، ولا ينبغى أن تكون هناك علاقة بين الايمان بالحقيقة الدينية وبين الاستجابة أو عدم الاستجابة لمطلب مثل الانتصار على عدو ، أو سقوط مطر ، أو زيادة كسب ، أو الابلال من مرض . فالرضا بقضاء الله وقدره على اية صورة يتخذها هذا القضاء ، وحتى ان جاء على خلاف ما يهوى الفرد ، هو أصدق دلالة على الايمان الصادق . وقد دعا السيد المسيح ربه وهو فى محنته ان يجنبه شرب تلك الكأس ، غير أنه سرعان ما تراجع عن دعائه هذا الذى كان يهدف به الى التأثير فى الارادة الالهية ، فهتف قائلا : ـ ارادتك يارب ، لا ارادتى .

كذلك استنكر النبى عليه الصلاة والسلام هذا المنحى غير العقلانى من الجاهليين ، وحاول التصدى للطقوس الجاهلية بالتهذيب وباستئصال مظاهرها الهمجية المحضة ، وهو موقفه صلى الله عليه وسلم من كثير من عادات قومه التى كان من العسير القضاء عليها دفعة واحدة . فقد كان الرسول أروع مثال للتأنى والصبر ، وأعلم الخلق بطبائع الخلق ، وأرفقهم أخذا بايديهم ، اذ ينتقل بهم من طور الى طور ، وأدراهم بمقتضيات الحكمة والسياسة ، مع التزامه دوما بالهدف الأسمى الذى يتوخاه . وكان يدرك أن غرس المفاهيم الجديدة لا بد له من درجة فائقة من الترفق واللين ، فلم يصدم بالحقيقة كاملة مشاعر الجاهليين . وكان يؤمن بأنه فى هذا العالم المجبول على الجهل والخرافة والنقص لا بد من التدرج والمداراة فى سبيل الهداية . ولا شك عندى فى أنه ـ وهو الذى جاء يبلغ احرص الرسالات على إعمال الفكر والمنطق والاحتكام الى العقل ـ كان يأمل فى أن يؤدى الرقي التدريجى للامة الى استئصال كل الاتجاهات والمواقف التى لا تعنى فى الواقع غير خرق قوانين الطبيعة التى هى من صنع الله ، وتعطيلها ، وتعنى امكان تأثير البشر عن طريق اعمال السحر فى الارادة الالهية . □

---

* قال « البروفسور شيريل » عميد كلية الحقوق في جامعة فيينا : إن البشرية لتفخر بانتساب محمد إليها ، ذلك الأمي الذي استطاع أن يأتي بشريعة سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمتها بعد ألفي عام .



العربي
عيونك
على العالم

بومباي
تحت
العاصفة

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر



حين تتوهج الشمس . . وتبلغ الحرارة اللافحة أقصى درجاتها . . تأتي الرياح الموسمية مزمجرة من بحر العرب ، لتهب على السواحل الغربية لشبه القارة الهندية ، مستأنفة سيرها بعد ذلك من الجنوب الى الشمال الى ماوراء سفوح الهيمالايا . . وحين تنفض الحقول عن نفسها المياه الرطبة وتندى الفجر ، يكون الفلاحون في سباق مع الزمن . . يحرثون الارض ويبذرون البذور ويغرسون شتلات الارز ، « فالمونسون » تلك الرياح الموسمية المتوحشة التى تسوق أمامها الغيوم الداكنة المليئة بالماء . . تقترب فى بطء لتهمر أمطارها دون أن تحدد خطوطها أى زمان أو مكان . . ففى كل عام تتجاوز بعض المناطق حتى لتعز عليها قطرة الماء وتموت من قسوة الجفاف . بينما تغرق أراض أخرى غرقا تاما يبلغ حد الكارثة . أما فيما بقى من الارض فهى تغدق عليها الخصب والنماء والحياة . . فتبدو حسب عقائد الهندوس وكأنها « شيفا » اله الخصب والنماء . . الخالق الحافظ المدمر ، الذى يحيى الأرض أو يميتها بريح أنفاسه المنطلقة من بين شفتيه . .

وكما يحدث كل ذلك في شبه القارة الهندية وماحولها ، فانك تستطيع أن تشهد صورة مصغرة من ذلك الحدث الكبير . . إذا انطلقت مع الصيف ونفحة الحر الى بومباى . .

اذا اردت أن تعرف بومباى على حقيقتها . . فتأمل بيضة مليئةوجدتها أمامك وأنت جائع . . ستجد قشرتها الخارجية ناعمة ملساء ناصعة البياض . . وستجد أنها تغريك بحمالها وتستثير لهفتك الى مافى داخلها من مح وزلال حى . . يجد متنفسه من خلال مسام القشرة مابقيت سليمة لم تدقها بأصابعك فتكسرها . . ولم ينقرها فرخها من داخلها ليخرج الى الحياة . .

ولكنك لن تدرك أن هذه القشرة خادعة . . فالبيضة قد ظلت مهملة لمدة طويلة ملقاة تحت هجير الحر بلا عناية ولاتبريد . . فاذا ما بداخلها قد فسد بحيث لم يعد يتحرك فيه سوى سائل سقيم فقد لزوجته وساح فيه المح على الزلال . . وماتت في خلاياه الحياة . . واصبح يكتم ريحا كريهة . . تتقلب لها الأمعاء ، وتفسد بها كل الأجواء . .

تلك البيضة . . هى صورة مصغرة من . . بومباى . . !

هذه الرياح الممطرة

وحين انطلقنا الى بومباى - بوابة الهند الغربية وميناؤها البحرى الرئيسى وعاصمة ماهاراشترا المطلة على بحر العرب - لم يكن هدفنا ان نتحسس نعومة القشرة الملساء التى يزدهى بها مشهدها الخارجى ولا كان في نيتنا أن نخوض في سراديب الشوارع الخلفية ، ونغوص في خضم ذلك الحشد الرهيب من البشر بكل ما يحيط بهم من فقر وجوع ومعاناة . .

ولكننا حين اتجهنا الى بومباى . . كان لنا هدف آخر . . فقد كنا في الحقيقة نريد أن نلاحق بدايات « المونسون » .

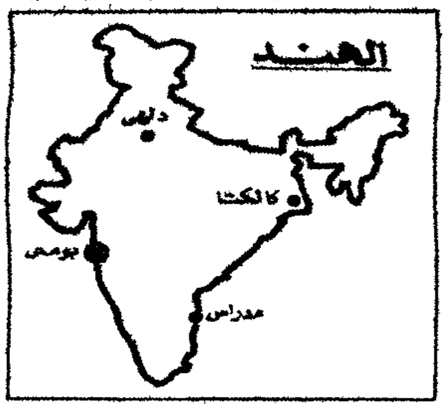
والمونسون - كما يطلق عليه الجغرافيون وكما

يسمونه في جنوب شرق آسيا وحتى جبال الهيمالايا والصين في الشمال ـ هو اللفظ المأخوذ من كلمة « موسم » العربية ويعني به موسم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الممطرة .. التي تنطلق مزمجرة مع بدايات يونيو كل عام لتستمر الى اكتوبر .. مرسلة سيول أمطارها ومطلقة رعودها وبروقها لتتحول في كثير من الاحيان الى عواصف واعاصير .. ويستقبلها الناس بترحاب برغم كل ما ينتج عنها من فيضانات مدمرة وإغراق للحقول واكتساح للبيوت وضياع للنفوس ، حتى ليتجاوز عدد ضحاياها في أحيان كثيرة بضع مئات من الغرقى ومئات الالاف من المشردين .
برغم كل ذلك فالناس يستقبلون « المونسون » مهللين شاكرين باعتبارها هبة الخير من السماء ، وكما قال الشاعر الهندي « كاليدسا » قبل الف وخمسمائة عام :

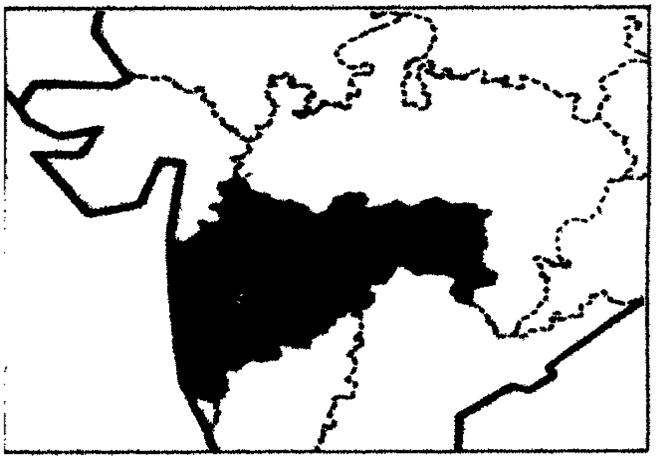
« هذه الرياح تتقدم بغيومها الثقيلة كالفيلة المنطلقة الى الامام .. عظيمة هائلة محملة بالأمطار الخيرة تتقدم وكأنها ملوك على رؤوس جيوشهم .. البروق أعلامهم ... والرعود طبولهم » .

ويحدثنا الجغرافي العربي الدكتور حسن ابو العينين عن المونسون فيقول :

هذا الفصل المطير الذي يسيطر على بومباى وعلى شبه الجزيرة الهندية كلها في الغالب يمتد من يونيو الى اكتوبر ... ويبدأ هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الاسبوع الاول من يونيو .. وتبلغ سرعتها نحو ٤٠ كيلو مترا في الساعة على طول الساحل الغربي .. ولكن هذه السرعة تتجاوز الضعف واكثر عندما تتحول الى عواصف رهيبة تكتسح أمامها كل شيء .. وإن كانت تقل كلما اتجهنا نحو الشرق . ويختلف طول الفصل المطير من مكان الى آخر تبعا لأثر الموقع الجغرافي والظروف المحلية .. فتسقط الامطار فوق اقليم بومباى خلال الاسبوع الاول من يونيو وتنتهي مع نهاية الاسبوع الثاني من اكتوبر .. بينما يمتد الفصل الممطر فوق اقليم البنغال وبنجلاديش من منتصف يونيو وحتى نهاية أكتوبر .. وفوق اقليم البنجاب من اول يوليو الى أواخر سبتمبر .



خريطة الهند وتبدو بومباى على الساحل الغربي والى أسفل ولاية مهاراشترا «المظللة»



سر « المونسون »

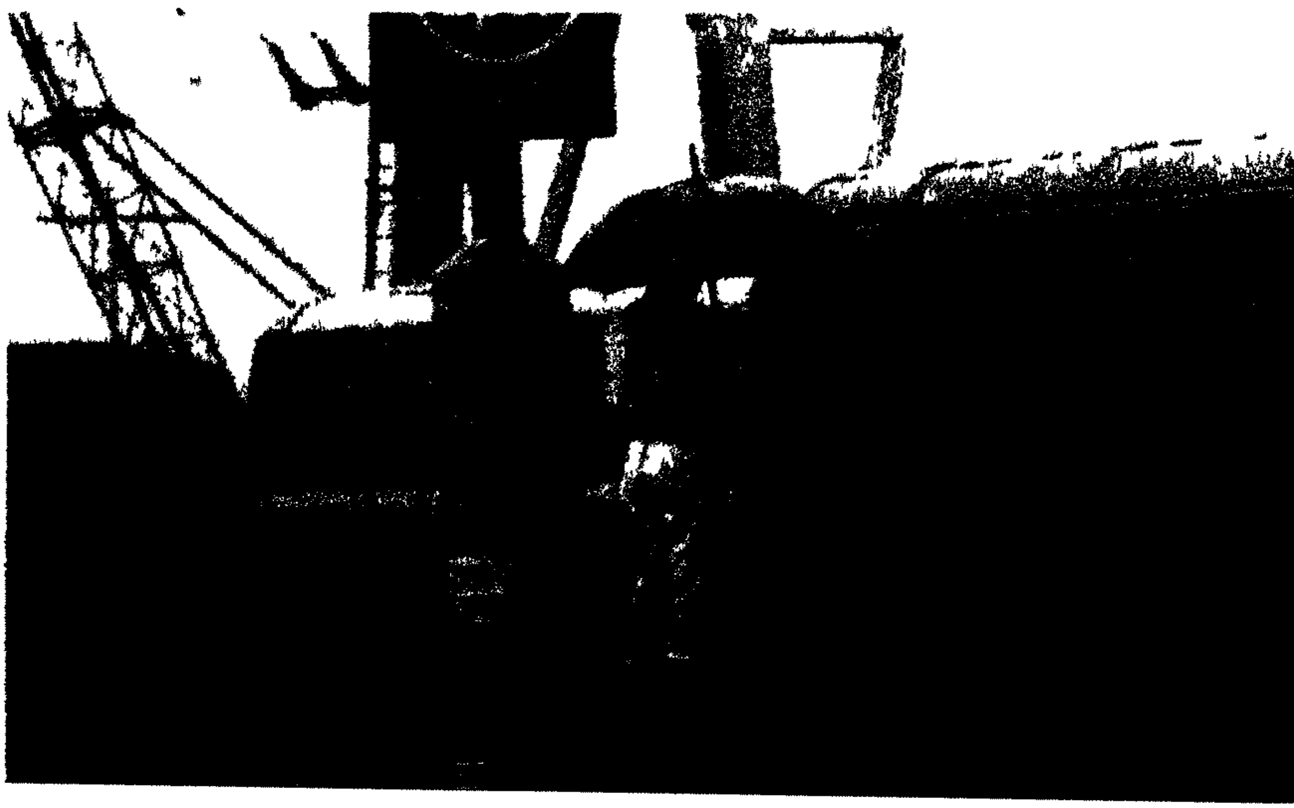
ولكن ماهي الاسباب والبدايات ؟
في فصل الصيف الشمالي .. تتعامد الشمس على مدار السرطان وتتكون مع ارتفاع درجة الحرارة فوق القسم الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية منطقة عظمى من الضغط المنخفض .. ومن ثم تنجذب اليها الرياح الآتية من فوق المسطحات المائية والمحملة بالرطوبة . فتنساب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية من مناطق الضغط المرتفع المدارية نحو الشمال .. ثم سرعان ما تنحرف على يمين اتجاهها بعد أن تعبر الدائرة الاستوائية وتصبح جنوبية غربية ، وتسمى هنا باسم الرياح الموسمية الصيفية . وتسقط هذه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية أمطارا غزيرة فوق الساحل الغربي . وتقل كمية الأمطار فوق مناطق ظل المطر ثم تنطلق نحو المناطق الشرقية . وعندما تمر هذه الرياح فوق مياه خليج البنغال وتعظم بها نسبة الرطوبة من







الخوص في الماء أصبح عادة عند سكان المدينة لايمنعهم من الوصول الى أعمالهم وليس مهما أن يصلوا الى العمل
والماء يقطر من ملابسهم فالجميع سواء حتى ولو بدون حذاء والمظلة فيها الكفاية ولو كان لرحل المرور



جديد ، تتجه بدورها نحو الشمال الغربي جنوب مناطق الضغط المنخفض العظمى . . ومن ثم تسقط أمطارا غزيرة فوق الحوض الادنى لنهر الجانجز والسفوح الجنوبية لمرتفعات الهيمالايا في نيبال وماوراءها جنوبي الصين .

وحين نسأل رجال الأرصاد يقولون ان المشكلة تكمن في صعوبة التنبؤ ببداية سقوط الأمطار الموسمية . . وكمية ما تسقط من المياه في مختلف الاقاليم والدول التي تهب عليها الرياح الصيفية . وبرغم الاستعانة بمختلف اجهزة الرصد والكمبيوتر والاقمار الصناعية فما تزال هناك مشكلة عدم إمكانية التنبؤ بدقة الا لعدد قليل من الايام . . حتى ان رجال الأرصاد يقولون انه كلما ازدادت المقارنات بين توقعاتهم وبين البدايات الواقعية للمونسون يجدون أن الامر اصبح اكثر تعقيدا . . ويبدو لهم وكأنهم يتعاملون مع مشكلة لاحل لها .

هذا الاضطراب في تحديد مواعيد هبوب الرياح المحملة بالأمطار الموسمية ، وتوقع كمياتها ومدى تحولها الى عواصف وماقد ينتج في نفس الوقت من اعاصير ، هو مايثير الأمل المختلط بالقلق بين السياسيين والاقتصاديين والزراعيين والفلاحين في جميع انحاء آسيا حيث تعتمد الزراعة - وبالتالى حياة نصف سكان الارض البالغ عددهم في هذه المناطق ما لايقل عن ٢٥٠٠ مليون نسمة - على المونسون . وتتخذ قرارات سياسية واقتصادية مصيرية ، وينجح سياسيون ويسقط آخرون ، بسبب قلة أو زيادة كميات الامطار التي تسقطها هذه الرياح الموسمية . .

بومباي تستقبلنا بالأمطار :

كل ذلك كان في تقديرنا ونحن ننطلق الى بومباي لمتابعة بدايات المونسون .

كان الوقت في الصباح الباكر من السابع من يونيو . . نفس الفترة التي يتوقعون فيها بداية هطول الامطار مع هبوب الرياح الموسمية .

واستبشرنا خيرا . . فمع لحظة وصولنا ادركنا اننا قد بدأنا رحلتنا مع المونسون . . وعلى طول الطريق الذي يمتد ٣٠ كيلومترا من المطار الدولي في ساهار الى وسط مدينة بومباي كان كل شيء يغرق تحت وابل من الأمطار .

وقال لنا سائق السيارة : انه اول يوم تهطل فيه الامطار بهذه الغزارة فلأيام طويلة سابقة لم تسقط على بومباي قطرة ماء واحدة . . وكان كل شيء يتنسم ريح المونسون . . وها قد جاء الخير اخيرا مع قدومكم . .

هكذا كانت الصورة في صباح ذلك اليوم الباكر من يونيو وسائق السيارة يقطع بنا الطريق من المطار الى الفندق . . الامطار تسقط بغزارة لم نشهد مثلها من قبل . . الماء يتدفق ويرتطم بزجاج السيارة وكأنه سيول من قطع الثلج تنهال من السماء . . .

السائق يتراقص بسيارته غير عابيء بالدفق المائي الذي يهطل بشدة . . الفرحة تكاد تطير بالرجل وهو يتغنى بأغنية لم نفهم معناها ولكنها بلاشك تحية للسماء أن أرسلت هذا الفيض المنهمر الذي ينتظره ويتمناه الجميع . .

لانكاد نقطع عشرة كيلومترات حتى نجد انفسنا ونحن نخوض نفس الطريق على طول مجرى « قناة ماهيم » ولكن الماء قد ارتفع حتى وكأننا داخل غواصة تسير على سطح مجرى مائي عريض . . . جميع انواع المركبات تتزاحم وهي تسير مسرعة بينها الحافلات والباصات والسيارات ولوريات النقل وعربات التونجا التي تجرها الثيران وعربات الراكشو ذات الثلاث عجلات والدراجات البخارية والهوائية ، كلها في سباق مجنون لا يوقفه الا تاكسي او سيارة تعطلت هنا او هناك بسبب وصول المياه الى محركاتها وتكون فرصة لنسترد انفاسنا قبل أن يستأنف السائق طيرانه ويواصل أغانيه . .

هنا على الجانبين تقوم اكواخ واكشاك بعضها من الصفيح وبعضها من الخشب ، وكلها مغطى اما ببقايا اسبست او بأغصان اشجار او بقطع من الخشب واعواد الذرة ولفائف اعواد الارز . . وهي كلها لا تستطيع ان تحول دون تسرب الماء الى داخل الاكواخ ، فكأنها والطريق الموحل الغارق في الماء سواء . . . لا فرق بين من يقيمون بداخلها وبين من ينطلقون في الطريق واغلبهم بلا مظلات ، ومن يجرون العربات باجسادهم النحيلة التي لا تغطيها

الملابس الداخلية الممزقة التي تلتصق بأجسامهم او من يحملون اطفال المدارس ليعبروا بهم الطريق بين هذا الزخم الغريب من الحركة التي لا تنقطع . .

وتنطلق الكاميرا في يد زميلي المصور وقد غطى رأسه بالغطاء الواقي من المطر ، وأدخل آلة التصوير في كيس من النايلون فتح للعدسة فيه منفذا وراح يسجل اللقطات الأولى لامطار المونسون .

ووصلنا الى الفندق . وابى السائق بشدة ـ الا بعد الحاح شديد ـ ان يأخذ منا اجر انتقالنا من المطار الى الفندق . . فالبشرى قد جاءت معنا . . . وما دمنا قد جئنا مع البداية الغامرة بالامطار . . . فذلك هو الأجر الذي كان يتمنى ان يحصل عليه ولا مزيد . .

ولو درى السائق المسكين ما كانت تحمله الايام القليلة التالية ، لأخذ منا الأجر عشرة اضعاف . . فقد كان ذلك اليوم هو اليوم الوحيد الذي هطلت فيه الامطار على بومباي طوال اسبوع . . وكانت الشمس طوال الايام التالية مشرقة محرقة . . والسماء صحوا صافية ليس فيها اثر لاي سحابة ولو بيضاء . . . تحمل على الأقل قطرة ماء . .

وفي ذلك الاسبوع بالذات . . كانت الانباء تتوالى عن الفيضانات والسيول والأعاصير التي اكتسحت خليج البنغال وبنجلاديش . . وادت الى كوارث رهيبة في الارواح والممتلكات . . والى اغراق الحقول واكتساح البيوت والحيوانات في السفوح والسهول وحول مجاري الانهار على حد سواء .

ولم نكن قد نسينا بعد . . انه في نفس الوقت من العام الماضي ـ وكنا في جزر المالديف ـ كانت رياح المونسون تغرق الارض والجزر بامطار لا تنقطع ليل نهار . . وكان الناس يستقبلونها استقبالهم لفيض من الخير يهبط عليهم من السماء .

بوابة الهند :

قالت لنا مرافقتنا وقد مضى اليوم التالي لوصولنا والسماء صحو والشمس مشرقة ولا اثر لغيوم المونسون :

ـ لماذا لا تنتهزون الفرصة فتقوموا بجولة لمشاهدة معالم بومباي وما تزخر به من الوان الفتنة والجمال ؟ ولعل اولها ذلك الفندق الذي تقيمون فيه ؟

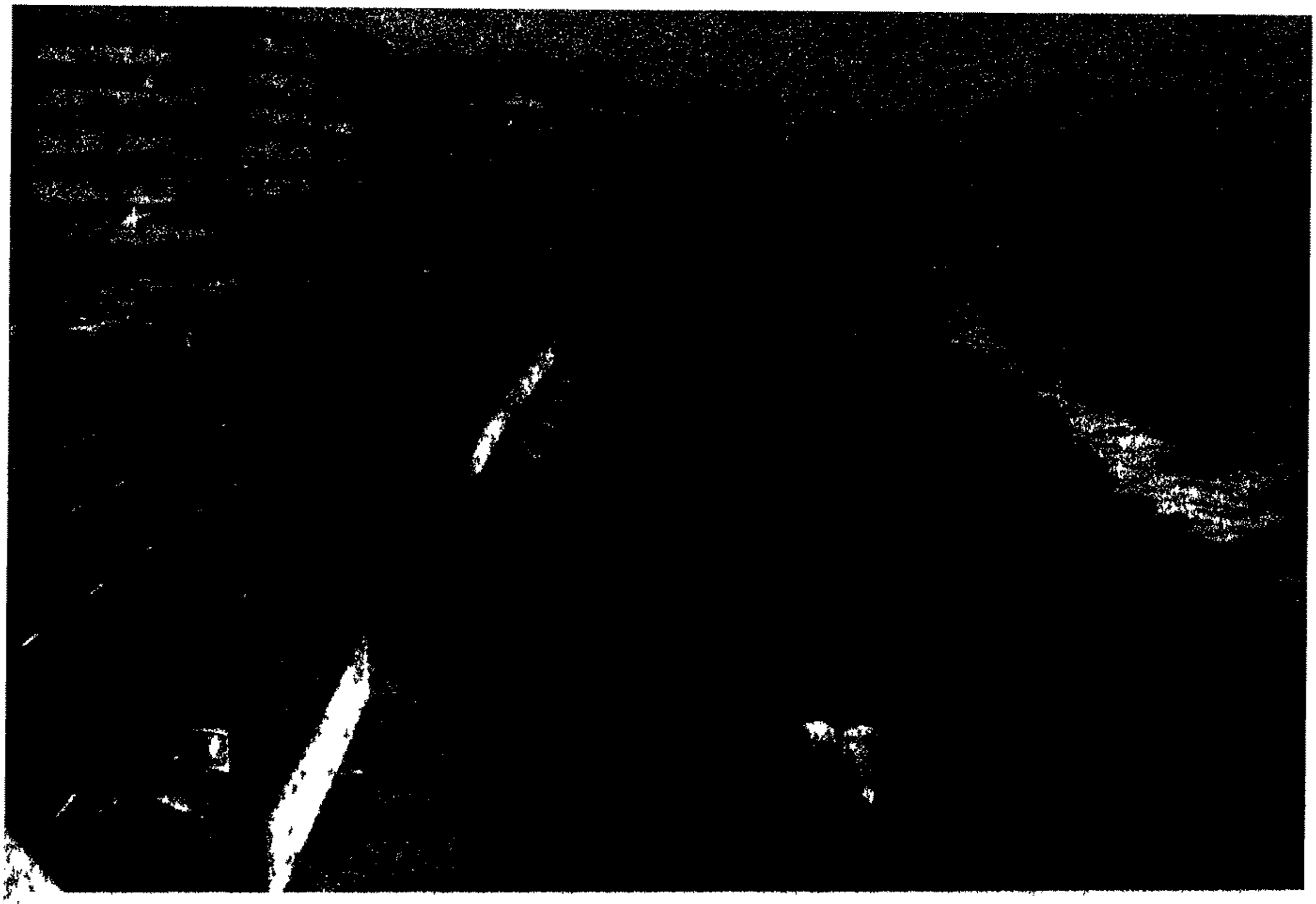
وكأننا لم نكن قد تنبهنا ـ ونحن نحلم بالمونسون ـ الى ما يتميز به فندق تاج محل الذي يعرفه كل زائر لبومباي ، كواحد من ابرز معالم المدينة . فقد اقامه رجل اعمال ثرى اسمه « جي تاتا » عام ١٩٠٣ ليضاف اليه مبنى اضافي عام ١٩٧٢ يمثل اخر صيحة من الهندسة المعمارية الحديثة ، عبارة عن مبنى شاهق الارتفاع تتجاوز طبقاته ٢٥ طابقا ، ويذهلك حين تطل الى المبنيين القديم والحديث تشعر انهما يلخصان لك تاريخ بومباي .

ونتحرك ليكون اول لقاء لنا مع بوابة الهند ، اشهر معالم المدينة ورمزها المميز ، البوابة تشبه « الماربل آرش » او قوس المرمر في لندن ، وقد بنيت تخليدا لذكرى الزيارة الملكية الأولى لبومباي عام ١٩١١ التي قام بها الملك جورج الخامس والملكة ماري . البوابة مشيدة على الطراز الهندي من البازلت الاصفر المحلي مع ملامح خليطة من الفن الهندي والفن الاسلامي .

نعبر الطريق لنقترب اكثر ، الساحة المواجهة لبوابة الهند تؤكد لنا اننا الان في اعمق اعماق الهند . لوحة كاملة لكل ما نعرفه عن هذا البلد الذي يعيش على ارضه اكثر من سبعمائة مليون نسمة ، اغلبهم من الفقراء الذين يمارسون جميع مظاهر الفقر برغم ما تنعم به بلادهم من سحر وجمال وتاريخ . . ومئات العقائد والعبادات .

زحام الساحة يشكل لوحة سكانية من مختلف الاجناس والاشكال والالوان . . هنود من مختلف الولايات الهندية جاءوا الى المدينة للعمل والاقامة . . البعض سود البشرة والبعض اكثر بياضا . . وقوس قزح من الالوان الزاهية التي يرتديها قادمون وقادمات من الكوجارات الصحراوية القاحلة ليعملوا في التجارة او الصناعة وهم غالبا من اتباع العقيدة الجانتية . . وكثيرون آخرون من « الماهاراسا » من نسل المحاربين الأشداء الذين جعلوا الحياة في غاية الصعوبة سواء للمغول او الانجليز . . اضافة الى وجوه متباينة من الهندوس والمسلمين والسيخ . . ثم البارسيين اتباع ديانة زرادشت مع سياح من جميع الجنسيات .

ولاتكتفي الساحة بهؤلاء وحدهم ، بل هناك ايضا عمال وفلاحون وافاقون ومتسولون من جميع الاعمار ، وصبية وفتيان يطلقهم تجار السوق السوداء



طريق « عقد الملكة »   أو القشرة الخارجية لبيضة بومباي   على
طول الطريق الساحلي الذي يحيط بالمدينة ويتوسطه بوابة الهند





فندق تاج محل   حيث يقوم المبنى الحديث الى جوار القديم   أمام بوابة
الهند . وتمثال للمهاتما غاندي   رمز الهند وصاحب سياسة اللاعنف
والى أقصى اليسار صورة من الرقص الشعبي الذي يعتبر نوعا من العبادة
في الهند



وراء السياح ليستبدلوا منهم الدولارات والجنيهات والماركات بالروبية الهندية بأرخص الاسعار . يختلط بكل هؤلاء باعة الزهور والفاكهة ، مع سحرة يشخشون في مزاميرهم لتخرج الكوبرا الراقصة رؤوسها من السلال مقابل حفنة من الروبيات ، بينما رجال مرفهون او سائقون يترجلون من السيارات حاملين اكياسا مليئة بالغلال ينثرونها امام المئات من الحمام الذي يطير ويحط وسط الساحة في امن وسلام .

ونلقي نظرة الى بعيد على طول الشاطيء الممتد لتواجه المشهد العام للقشرة الخارجية « لبيضة بومباي » .

طريق ممتد ينحني مع طول الساحل ، تطل عليه بنايات حديثة شاهقة يبدو جمالها ورونقها اكثر جاذبية عندما يأتي الليل وتتلألأ الاضواء مشكلة ما يشبه العقد حتى اطلقوا عليه طريق « عقد الملكة » .

من هنا ونحن نطل الى بعيد ، نستطيع ان نتصور تفاصيل القصة الحقيقية لتاريخ بومباي . .

أصل الحكاية :

كانت بومباي هي الجزيرة الرئيسية بين جزر سبع منفصلة بخلجان صغيرة واسعة .

والجزيرة نفسها عبارة عن سهل منبسط منخفض يقع حوالي ربعه تحت مستوى سطح البحر . ويحد السهل سلسلتان متوازيتان من التلال المنخفضة ، حيث تقترب الصخور في الجنوب من سطح الماء . . . وبسبب خطورتها على الملاحة كان لابد ان تقام فوقها منارة . . ويبلغ طول الجزيرة احد عشر ميلا ونصف ، ويتراوح عرضها ما بين ثلاثة وأربعة اميال ، وتغطي مساحة قدرها ٢٥ ميلا مربعا . .

بدأت المدينة تاريخيا ربما مهملا ينغمر دون حماية بمياه المد الآتي من بحر العرب . وكان صائدو الاسماك هم السكان الوحيدون في مجموعة الجزر السبع الملحقة بشبه القارة الهندية . وبسبب المناخ الحار والرطوبة العالية وتعرضها المستمر للعواصف البحرية الآتية من بحر العرب ، لم يهتم بها البرتغاليون ـ الذين كانوا قد استولوا على جوا ـ حين تنازل لهم عنها السلطان بهادور شاه كوجارات عام ١٥٣٤ . وقد اعطوها بسهولة لشارل الثاني ملك انجلترا كجزء من مهر عروسه كاترين برجانزا اخت ملك البرتغال . وفي الثاني من ابريل ١٦٦٢ تقدمت حملة على رأسها السير ابراهام شيمان مبحرة الى بومباي لتسلمها . . ولكن فايسروي انطونيو البرتغالي رفض ان يسلمها ولم يسمح للانجليز بالرسو . . وظل على رفضه لمدة سنتين واربعة شهور حتى احتلها همفري كوك باسم الملك . وفي عام ١٦٦٨ ضمت بومباي رسميا الى شركة الهند الشرقية البريطانية بايجار سنوي يثير السخرية . . عشرة جنيهات فقط بشرط ان تدفع ذهبا . . !!

اما الاسم « بومباي » فيقال انه مأخوذ عن اللغة البرتغالية « بومباهيا » وتعني المرسى الواسع ، ولكن الصيادين يصرون على أنه تحريف لاسم الهة الصيد « ممباي » .

معالم حديثة

اتخذت الجزيرة مقرا رسميا لشركة الهند على الساحل الغربي عام ١٧٠٨ . وكان لهذا اثر عظيم في ان تطير شهرة بومباي لتصبح ميناء مهما ومركزا تجاريا كبيرا . وشهدت المدينة فترة جديدة من الازدهار والاهمية تحت قيادة اول حاكم لها ، الملازم الفينسون ، وانتظم الطريق البحري الشهري بين بومباي وانجلترا عن طريق قناة السويس والاسكندرية ، وكانت الرحلة تستغرق ٤٥ يوما تم اختصارها الى ثلاثين يوما بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ . . وفي تلك الاثناء بدأ مد خطوط السكك الحديدية ليتم نقل القطن الخام الى المدينة لتزويد الصناعة الرئيسية في البلاد . وبعد عامين تمت إقامة محطة فكتوريا للسكك الحديدية على أرض مستصلحة .

وبعد عدة أعوام ازداد الازدهار التجاري عندما احتكرت بومباي تجارة القطن العالمية بعد قيام الحرب الأهلية الأمريكية . وخلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تحولت المدينة تحولا كبيرا . فقد اقيمت على طول طريق مهاتما غاندي مجموعات رائعة من البنايات ، بينها مقر ضخم لسكرتارية الحكومة ومقر للمحكمة العليا ومكتبة الجامعة والمجلس الاعلى

للجامعة وبرج الساعة ومكاتب الاشغال العامة والبريد ومبنى سوق كروفورد .

كل هذه المعالم الأخيرة البارزة كانت بعض ما شاهدناه ونحن نواصل جولتنا في المدينة التي تزخر بتراث غني من المعمار القوطي الجديد الذي ورثته عن الحكم البريطاني ، والذي يتمثل في محطة السكة الحديدية التي تعتبر احدى ابهى محطات السكك الحديدية في العالم حيث خرج منها اول قطار عام ١٨٥٣ .

اما برج الساعة المعلقة باعلاها فيزيد طول قطر دائرتها عن ثلاثة امتار . كما يتمثل الفن القوطي في مبنى المحكمة العليا وتمثالها الذي يرمز للعدالة والرحمة .

على بعد خطوات يقوم متحف امير ويلز الذي يمتاز بمظهر خارجي ذي طابع هندي اسلامي في غاية الروعة والفتنة . اما في داخله فذخيرة حية تعبر عن الفن الهندي والمغولي مع لوحات مغولية نادرة . وتوجد قطع بارزة من احجار الزبرجد والزمرد الكريمة الساحرة ونماذج مثيرة من التاريخ الطبيعي . وقرب المتحف يقوم برج راجاباي الذي يرتفع ٨٥ مترا ويطل على الملعب البيضاوي الواسع المفتوح .
وعلى بعد خطوات قليلة تقع ينابيع فلورا او « هوتا تما جوك » التي تعتبر مركز بومباي النابض بالحياة .

سوق كراوفورد

اما سوق كراوفورد الذي شيد عام ١٨٦٧ ففي اعلى صالته المركزية تقوم ساعة اخرى معلقة لعلها تسترعي انتباه هؤلاء الذين يبدو انهم لا يهتمون كثيرا بالوقت . والسوق يزخر بالحركة والنشاط . . . وهو يعج بالبائعين والمشترين والطباخين والمتسولين طوال ساعات الليل والنهار .

وفي سوق الفاكهة نجد اشخاصا حفاة يحملون على رؤوسهم السلال الثقيلة من الموز والاناناس والبطيخ والمانجو وما عداها من فواكه المناطق الحارة . . وفي سوق السمك نجد البومفريت المفضل لدى السكان و« بطة بومباي » وهذه لا علاقة لها بالبط وانما هي سمكة صغيرة الحجم تباع مملحة .

اما سوق الحيوان فهو الذي يجتذب العدد الأكبر من الزوار . وهو يضم انواعا من القردة والسناجب والببغاوات . . ويحرم هنا بيع الثعابين ، وان كان ساحر الكوبرا هنا يواصل النفخ بمزماره لترقص الكوبرا على أنغامه . .

ومثل الباعة الجائلين وبائعي مراوح ريش الطاووس ، فان لطبيب او حكيم السوق ركنا خاصا به . ومن بين العقاقير التي يصرفها هذا الطبيب لمرضاه مسحوق رأس السلحفاة وجوز الهند ودهن الوفق المخلوط بقطرات الندى ، ومن ورق المانجو والذي يوصي به لمرضى الروماتيزم . وعلى سوق كراوفورد يطل مسجد الجمعة في بومباي حيث يزدحم فيه المصلون المسلمون . . وهو ازدحام يفتقر لمثله مسجد الحاج علي الذي وافته المنية وهو في طريقه لأداء فريضة الحج ، فأقيم له ضريح داخل المسجد الذي تصعب زيارته الا في اوقات الجزر لأنه مبنى عند اقدام البحر .

عند شاطىء تشاوباتي وعلى تل ملبار يمكن الوقوف لالقاء نظرة شاملة على المدينة من على . وتقوم على هذا التل مبان جميلة كالقصر الحكومي . . كما يوجد ملعب الاطفال المعروف باسم « كمالا نهرو بارك » نسبة الى زوجة جواهر لال نهرو . . وتوفر الحدائق المعلقة في هذا المكان فرصة طيبة للتنزه وسط النباتات التي تشذب على شكل حيوانات مختلفة . كما ان بينها كوخا طوليا على شكل حذاء برقبة هو مجال رائع لتسلية الاطفال . . والى جوار المكان توجد حديقة الاسماك على شاطىء تشاوباتي . .

البارسيون وأبراج الصمت

في الجهة المقابلة وداخل الحديقة القائمة على تل ملبار تقوم « ابراج الصمت » الخاصة بفئة البارسيين ، من اتباع الديانة الزرادشتية ، الذين جاء اجدادهم من فارس هاربين من وجه المد الاسلامي ، واستقروا في جنوب غربي الهند وخصوصا في بومباي التي يعيش فيها ٧٠ الفاً من البارسيين البالغ عددهم في جميع انحاء الهند حوالي ١٠٠ ألف .

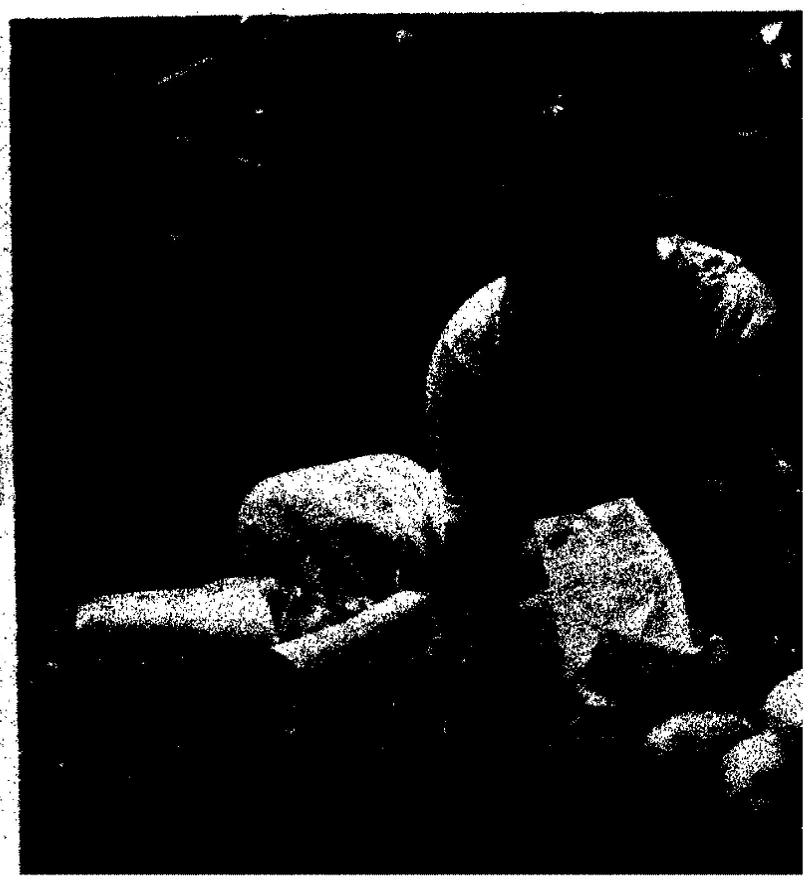
وابراج الصمت ليست ابراجا حقيقية ولكنها عبارة عن جدران دائرية توضع على قمتها جثث الموتى لتنهشها جوارح الطير ، حتى لا تدنس العناصر





بوابة الهند . . تقف شامخة رمزا لمدينة بومباي (الى اليمين) ومشهد من سوق الملابس (اعلى) .





في سوق كراوفورد . . كل شيء يباع لافرق بين الفاكهة والخضراوات . . والاحذية ولا شيء يهم .

المقدسة بدفنها في الارض او حرقها في الهواء . . . وهذه العناصر اربعة هي الماء والهواء والأرض والنار .

ولا يسمح لاي انسان من غير البارسيين بدخول ابراج الصمت . . تماما كما لايسمحون لاحد بدخول معبدهم حيث شعلة النار تظل مشتعلة ابدا . وهم يقولون انهم يقدسون النار ولكنهم لا يعبدونها لانها مقدسة كرمز . من اجل ذلك فقد تحملوا التبعة التي القاها زرادشت على اكتافهم بالاحتفاظ بشعلة النار مضطرمة بالمعنى الرمزي والمعنوي ، فراحوا يوقدونها أبدا ويحملونها تتأجج في صدورهم كما في معابدهم .

واذا كان البارسيون يشكلون مجتمعا صغيرا بالنسبة لسكان بومباي البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة اغلبهم من الهندوس ، الا انهم يملكون ناصية المال والتجارة والصناعة في المدينة . ومع ذلك وبرغم انهم يعتقدون ان عقيدتهم هي افضل عقيدة في العالم ، الا انهم لم يعلموها للهندوس او يجذبوهم اليها . وليس هذا فحسب ، بل انهم يحرمون على اي انسان لم يولد بارسيا ان يعتنق هذا الدين .

في المعبد الجانتي :

غير بعيد عن الحدائق المعلقة ندخل معبد الجانتيين . والمعبد الجانتي نسبة الى العقيدة الجانتية التي وضع أسسها فتى ثري ، خلع في شبابه عن جسده كل ثيابه وثرائه ، وطرح العالم كله واساليب العيش فيه ، وراح يجوب ارجاء الاقليم زاهدا متقشفا ينشد تطهير نفسه من ادرانها ، قاصدا ان يزداد لسر الوجود فهما وعلما . وبعد ان قضى في انكار ذاته على هذا النحو ثلاثة عشر عاما ، أعلنت جماعة من اتباعه انه « جنا » اي معلم من عظماء المعلمين وسموه « ما هافيرا » أي البطل العظيم ، واتخذوا لانفسهم اسما اشتقوه من اسم عقيدتهم فأطلقوا على انفسهم اسم « الجانتيين » ، وقامت عقيدتهم على اساس افتراض عالم لم تسبقه اسباب ولم يخلقه خالق ، وان الكون موجود منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لا نهاية لها ترجع الى قوى كامنة في الطبيعة اكثر من ان تعزى الى صناعة اله . ولما افرغ الجانتيون السماء من إلهها لم يلبثوا ان عمروها من جديد بطائفة من القديسين المؤلهين ، وراحوا يعبدونهم مخلصين لهم العبادة ، يقيمون لهم الشعائر . لكنهم اعتبروا هؤلاء المؤلهين انفسهم خاضعين للتناسخ ولم يعدوهم خالقين للعالم ، او سادة عليه .

سألنا فتاة كان من الواضح انها ذات ثقافة عالية وكانت قد ادت عبادتها داخل المعبد فقالت : اننا نحن الجانتيين نرى ان الطريق المؤدية الى الخلاص هي توبة تقشفية مع الامتناع عن ايذاء أي كائن حي . ولزام على كل متقشف جانتي ان يأخذ على نفسه عهودا خمسة . . الا يقتل كائنا حيا ، والا يكذب ، والا يأخذ مالم يعطه ، وأن يصون عفته ، وأن ينبذ الاستمتاع بالأشياء الخارجية كلها . ولهذا فالزراعة حرام على الجانتي لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان . والجانتي الصالح يرفض اكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شربه خشية ان يقتل ماعساه ان يكون كامنا فيه من كائنات ، ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء احياء عالقة فيقتلها ، ويحيط مصباحه بستار حتى يقي الحشرات لذع النار .

كل هذه الجولة حول معالم بومباي ومازال امطار المونسون لا يظهر لها بشير بعد . . واذن فثمة مكان لابد من مشاهدته ، وان كان يبعد عن شاطىء بومباي عند بوابة الهند بمسافة حوالي عشرة كيلومترات . . انه جزيرة الفانتا . . حيث المعابد الشهيرة المحفورة في الصخور الكهفية التي يرجع تاريخها الى القرن السابع .

كهوف الفانتا :

قالت لنا مرافقتنا وهي تدعونا الى الا ندع هذه الفرصة تفوتنا :

ـ حين تتأخر امطار المونسون ، فان الناس هنا من الهندوس يتجهون الى معابد الفانتا ليؤدوا صلاة استسقاء للاله شيفا استدرارا لرحمته حتى يأمر الامطار بالسقوط . . ستشهدونهم اذا ذهبتم الى هناك ، وسيفعل مثلكم كثيرون من الاجانب والاهالي .

من أمام بوابة الهند . . تحرك القارب البخاري يحملنا الى جزيرة الفانتا . . هناك تبدأ عملية صعود طويلة على درجات ترتفع حوالي ٧٠ مترا على سفح

الجبل ، لنجد انفسنا امام كهف محفور كله داخل صخور الجبل . . . الكهف عبارة عن معبد كان مكرسا للاله شيفا « الخالق الحافظ المدمر » في عقيدة الهندوس . . ولكن العبادة لا تجري فيه الان لانهم يعتبرون ان قدسيته قد تدنست عندما دخله البرتغاليون وحطموا اغلب تماثيل الاله وارتكبوا فيه الموبقات .

اهم الكهوف الموجودة التي يزورها الناس هو الكهف رقم ١ . . . هنا حفرت تماثيل شيفا في صخور الجبل . . تماثيل متعددة تستعرض حياته ورؤوسه الثلاثة التي تجمع بين الثالوث « شيفا وبراهما وفشنو » وحين ننظر الى الوجه نحس انه يحمل نظرات بعضها غاضب وبعضها مبتسم ، بينما تمثال زوجته برافاتي يبدو الى جواره اقل حجما . . كما حفرت تماثيل اخرى تمثل شيفا نصفه الأيمن في جسد رجل ونصفه الايسر في جسد امرأة . ويتوسط الكهف ما يسمونه قدس الاقداس حيث وقف بعض الهندوس يواجهون تماثيل شيفا وهم يقدمون له الابتهالات في صلاة استسقاء من أجل أن يطلق العنان لريح المونسون . . !

ولكن الايام تمضي . . وما تزال الشمس ساطعة والسماء صافية ولا اثر لسحابة ولو من بعيد . . وكان علينا ان نواصل متابعتنا لنشاط الرياح الموسمية الممطرة . . ان لم يكن الآن في بومباي . . فلنأخذ طريقنا الى الشمال ، ولتكن بعد ذلك عودة الى بومباي . .

المونسون في الشمال :

وبدأنا جولة جديدة . . كان واضحا خلال جولتنا في الهند وحتى كشمير ونيبال على سفوح الهيمالايا انهم هناك يتوقعون رياح المونسون دائما ، ولكن لايمكن التنبؤ بشدتها أو اتجاهها . انهم يدركون أنها ستأتي حتما ، ولكنها قد تكون هادئة أو عاصفة تضج بالرعود والأمطار ، وقد تستمر الأمطار أياما وأسابيع ، وحين يبدأ هطول الأمطار مرة أخرى فانها تسقط بغزارة وهنا تنسى المرء كيف يمكن أن تبدو الأرض جافة متشققة من العطش في يوم من الأيام . .

وفي العاصمة نيودلهي التي تستلقي على حافة الصحراء بعيدا في الشمال . . يتابع الانسان من خلال تقارير الارصاد أنباء الرياح الموسمية على الشواطيء الغربية والشرقية ، حيث تهب فجأة وتتقدم على مدى واسع من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . . وحين كنا هناك وجدنا الأمطار وقد انقضت في غزارة لعدة أيام لم تكد تنقطع ، ونحن نتنقل بين دلهي وأجرا وفاتحبورسكري ، ثم ونحن على طول الطريق الى سريناجار عاصمة كشمير . .

كانت أمطار المونسون تنقض على الأرض اقليما وراء اقليم . . ولم يكن انقضاضها يمنع الفلاحين وخصوصا على سفوح الجبال من مواصلة العمل بعد أن يضعوا على رؤوسهم أغطية من السعف أو أوراق البوص المجدولة بطريقة تحمي رؤوسهم وظهورهم المنحنية على الأرض من المياه الغزيرة . . ثم فجأة تفيض الأنهار لتكتسح أمامها كل شيء . . حتى البيوت والدواب والانسان نفسه . ولكن أحدا لايهتم بحجم الكارثة الا من تصيبه في حياته وماله وبيته . . بينما الأخرون يهللون ويصخبون ويضجون استقبالا وترحيبا بالمونسون . .

وفجأة تنقلب الغيوم الداكنة السوداء فتغير اتجاهها مع الريح بقوة دراماتيكية ، لتتوقف الأمطار ويتحول الهواء رطبا جافا ، حتى لايكاد الانسان يستطيع التنفس الا بصعوبة شديدة ، بينما يغرق في عرقه الذي يجف مع السخونة تاركا خيوطا من الأملاح على جلده . وتلك الحالة المتغيرة تستمر طوال الموسم الذي يمتد لاربعة شهور وتزيد . . وبرغم أن الأمطار لاتهطل كل يوم فان الجو يظل مشبعا بالرطوبة العالية ، ولكن تتحول الأراضي والسفوح لتخضر وتزهر وتظل الأنهار متخمة بالماء . طوال ذلك الموسم تحتضن رياح المونسون الهند كلها مثل حبيب مشتاق .

المونسون والتاريخ

والحقيقة ان الرياح الموسمية التي تترك آثارها على الحياة وعلى الانسان . . كان لها أيضا آثارها على تاريخ الهند .

فحين لم يكن الانسان في الهند يعرف شيئا عن الحرث أو فلاحة الأرض ، كان يتجنب السهول التي كانت كثيرة التعرض للرياح الموسمية . وعندما



زحام في أحد الطرقات الرئيسية في بومباي حيث تختلف الأجناس والالوان





سكان الأرصفة لايمنعهم شيء عن النوم على جانب الطريق وعند نقل البضائع من مكان لآخر فكل شيء مباح

اخترع الادوات التي عرف عن طريقها كيف يتغلب على مخاوفه ويستغل الأرض الخصبة ، تقدم بسرعة الى هذه المناطق مقيما ممالك وامبراطوريات ، حيث كانت زراعة الوديان الهندية هي التي قادت الى قيامها .

كانت الامطار في هذه الفترة تسقط على شمال الهند ، وكانت الارض الغنية بالخصوبة في دلتا الانهار الخمسة العظمى سهلة الاستغلال . ولكن سهول نهر الجانجز كانت في ذلك الحين مليئة بالغابات الكثيفة حيث لم يجرؤ الغزاة المستعمرون على الاقتراب منها واختراقها . ولكن عندما حلت فترة جديدة من القحط والجفاف بسبب تجاوز الامطار الموسمية لهذه المناطق ، أدى ذلك الى انهيار الحضارة وازالة الغابات التي كانت تقف حاجزا أمام الشماليين المهاجرين الذين جاءوا من المنطقة القزوينية التي كانت تسمى « ايرانافيجو » ومعناها الوطن الآري فكانوا يسمون أنفسهم الآريين . وأصبحوا قادرين على اتخاذ طريقهم نحو الشرق ليحددوا ممالك صغيرة في سهول الجانجز الخصبة . في البداية كان هؤلاء المهاجرون المشاة الجدد يزحفون وهم يسوقون أمامهم ماشيتهم . وفضلوا البقاء في أرض الأنهار الخمسة (البنجاب) التي تسقيها منابعها العظمى . وقد أدت بهم خصالهم الوحشية ويسر الحياة الزراعية الخصبة في الأرض التي غزوها الى السيادة عليها ، ولم يخفوا اهدافهم من أنهم ارادوا أرضا ومرعى لماشيتهم ومزيدا من الأبقار والماشية . ومع استقرارهم وتحولهم



الى الزراعة تماما في القرن السابع قبل الميلاد بدأوا يكونون دويلات وامارات اعتمادا على قيام جماعات قروية مستقلة بعضها عن بعض استقلالا نسبيا ، وراحوا يزرعون الأراضي الخصبة بقدر ما يستطيعون بين نهري الجانجز والجومنا في شمال الهند . وظلت الأرض الشرقية أيضا على مدى هجماتهم ، وتلك هي أحسن الأراضي المزروعة حاليا حيث يزرع الأرز بشكل واسع ، وهي أيضا أكثر المناطق ازدحاما بالسكان . . فحيثما انتعشت زراعة الأرز انتعشت معها حياة الانسان . .

الزراعة والحضارة

ومنذ ذلك الوقت ومع استخدام الهنود الآريين للآلات الزراعية التي توصلوا الى صنعها ، اتسع نطاق زراعة الأرز في كل المناطق حيثما نزلت الأمطار . . ولم يشمل ذلك المناطق الشرقية فحسب ، بل شمل المناطق الغربية أيضا . وظلت حياة الانسان الرئيسية من حيث الاقتصاد والسياسة على صورة واحدة لاتتغير ، فكانوا يربون الماشية ويستخدمون البقرة دون أن ينزلوها من أنفسهم منزلة التقديس ، ويأكلون اللحم أينما استطاعوا اليه سبيلا . أما الحقول والأراضي الزراعية التي اعتمدت على المونسون وفيضانات الانهار ، فكانت الجماعة القروية تقسمها بين عائلاتها على أن يقوم الكل بريها . وكانت الكثرة الغالبة من الناس فلاحين يملكون أرضهم التي يفلحونها لأن الآريين كانوا يعدونه عارا أن يعملوا لقاء أجر يتقاضونه .

في كل من هذه المناطق قامت ممالك وامارات حيث الاعتماد الأساسي على الزراعة التي لاتزدهر الا من خلال الامطار الموسمية وفيضانات الانهار وخصوصا على ضفاف الجانجر . . ثم كان بعد ذلك قيام الامبراطورية العظمى للامبراطور أشوكا في القرن الثالث قبل الميلاد حيث امتدت أملاكه من البنغال الى الهندكوش وجنوب الهند .

حكم أشوكا مدة خمس وثلاثين سنة . وبعد أن خاض غمار الحروب وانتصر في غزوات كثيرة جريا على السياسة التقليدية في الهند . . أثر في نفسه ما تخلفه الحروب من بؤس وشقاء وخصوصا للفلاحين

الذين عجزوا كثيرا عن استغلال أراضيهم بسبب استمرار الحروب وتخريب الحقول . وقد أدى هذا الى أن عاف أشوكا الحروب والغزوات وانصرف عنها ، ثم التحق بالبوذية ولبس مسوح الرهبان حينا من الزمن ، وأبطل الصيد وأكل اللحم وعمل على نشر الديانة البوذية في ربوع الهند . وبدأ أشوكا يعني بوجه خاص بتأكيد الاعراض عن استعمال العنف ويدعو الى الرأفة بجميع الأحياء . . وبدأ الاهتمام يتجه من جديد الى الارض الزراعية وزراعة الأرز مع سيطرة النزعة الى السلم والبعد عن العنف . . وكانت هذه النزعة أيضا هي التي ترسمتها الممالك والامارات في خطى الامبراطور أشوكا . واستمرأ السكان حياة الدعة والسلم واتجهوا بكل امكاناتهم نحو الانتاج الزراعي والسلام الاجتماعي والاستغراق العقائدي وأصبح الهندي يعني بواجباته الادبية والطريق الذي يسلكه في الحياة ، أكثر مما يعني بتنوع الحكم وأسلوبه . لم يعد يشغل باله كثيرا بالدفاع عن الحكومة القائمة مما يفسر بعد ذلك سهولة سقوط الامبراطوريات المتوالية نسبيا في الهند والانتصارات التي كان يحرزها الغزاة القادمون سواء من الشمال الغربي برا . . أو من الجنوب الغربي بحرا . . هؤلاء الذين جاءوا الى الهند على طريق الرياح الموسمية القادمة عبر بحر العرب والمحيط الهندي .

على أن هذا الاعتماد على الحياة الزراعية المرتبطة بالرياح الموسمية المطيرة ، والنشاط التجاري المرتبط بالاستعانة بالرياح الموسمية في دفع اشرعة السفن التجارية بين موانيء الهند ومراكز التجارة غربا وشرقا ، قد جعل حكام الهند ومقاطعاتها يستكينون الى هذه الدعة التي استسلمت لها شعوبهم . . فلم يلقوا بالا الى ضرورة العمل لمواجهة أي عدوان بحري ، ولم يهتموا بانشاء اسطول بحري قوى يستطيع حماية شواطئهم الواسعة ، وما عملوا على أن تكون لهم قوة بحرية للدفاع عن مصالحهم التجارية في بحر العرب والمحيط الهندي . . فلما جاءت القوى الاستعمارية الأوروبية على اختلاف انواعها لغزو الهند ، لم تجد أدنى مقاومة . . بل ان بعضها لم يهتم بالغزو العسكري اذ وجد في الغزو عن طريق الشركات التجارية طريقا سهلا للسيطرة على اقتصاديات البلاد . . مع وضع الموانيء التجارية تحت السيطرة الكاملة .

بومباي والشوارع الخلفية

كان لابد لجولتنا أن تنتهي وأن نعود مرة أخرى الى بومباي لمتابعة المونسون . الآن كل شيء غارق تحت الأمطار الموسمية التي انقضت بكل قوتها لتصبح صاحبة السيطرة على كل مقدرات المدينة . . شدة هطول أمطار المونسون لم تعد تلك التي شاهدناها عندما جئنا في أوائل الموسم ، فقد تحولت الرياح والامطار المرافقة لها لتصبح عواصف مستمرة تغرق المدينة كلها بفيضانات وسيول لاتكاد تنقطع . . وفي مثل هذا الوقت تصبح الصورة أقدر على التعبير في الشوارع الخلفية لبومباي . . .

هنا . . في الشوارع الخلفية . . وبين سكان المدينة البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة ، يعيش أكثر من مليوني انسان تحت مستوى الفقر ، بالاضافة الى بضعة ملايين يندرجون تحت خانة الفقر المدقع .

كانت بداية هذا المجتمع السكاني في بومباي مع بدء تطور المدينة عندما استقرت فيها رئاسة شركة الهند الشرقية . كان عدد السكان في ذلك الوقت لايتجاوز ٦٠ الف نسمة . ومع الازدهار التجاري الذي صحب بروزها كمركز تجاري وميناء رئيسي ، وبعد مد خطوط السكك الحديدية الى المناطق الداخلية واحتكار بومباي لتجارة القطن العالمية . . وأصبحت المدينة منطقة جذب لمئات الآلاف من المهاجرين والهاربين من المناطق الصحراوية القاحلة والباحثين عن عمل . . وبلغ عدد السكان في عام ١٩٠١ حوالي ٨٤٠ الف نسمة كان أغلبهم يعيشون في عشش وأكواخ من الصفيح أو البامبو أو في ظل الواح من الخشب يجمعونها من بقايا المصانع ونفاياتها . . وبرغم الخطط الكثيرة لاقامة التحسينات اللازمة لمواجهة السيل الجارف من القادمين الجدد وما يصحب ذلك الازدحام الشديد عادة من القذارة ونقص الخدمات اللازمة لحياة الانسان . . كان لابد من توسيع قاعدة المدينة واستصلاح المزيد من أراضي البحر لاقامة مساكن لعشرات الالاف من العاملين في المصانع ، بينما لم يكن من الممكن ايجاد مساكن تؤوي مئات

الالاف من الزاحفين العاطلين عن العمل .

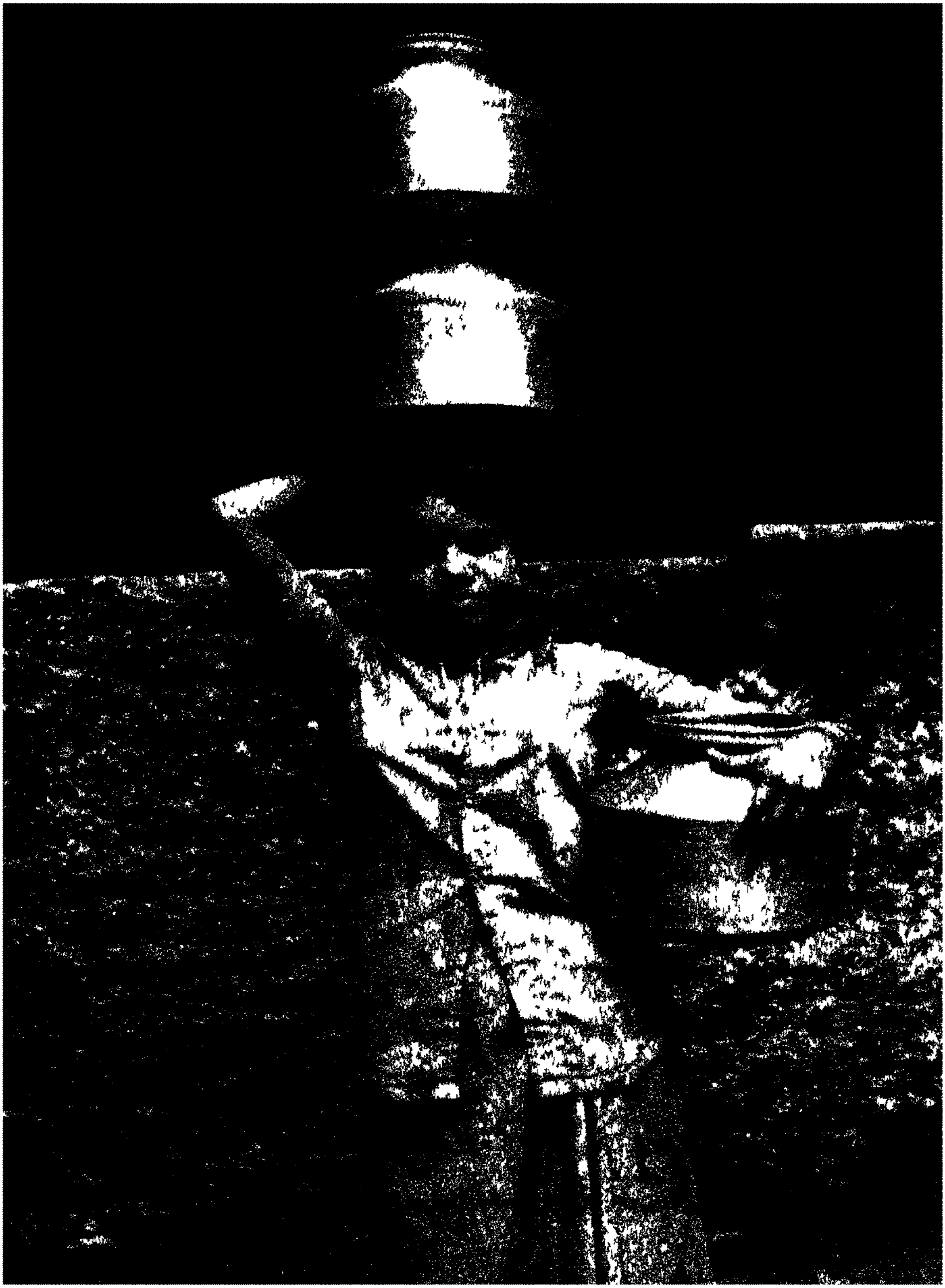
كانت جاذبية المدينة كمركز تجاري وصناعي وميناء رئيسي تستدعي كل هؤلاء ، وكانت قطارات السكك الحديدية الممتدة الى جميع أنحاء الهند تقذف كل يوم بعشرات الآلاف من القادمين الجدد على رصيف محطة فكتوريا ، بالاضافة الى اللوريات والحافلات المحملة بكل أنواع البشر . واذا كانت بنايات القشرة الخارجية « لبيضة بومباي » قد استوعبت كبار الموظفين والقادرين وقيادات العمل في الميناء ومصانع القطن والنسيج والجلود والكيماويات والنفط ومختلف أنواع التجارة المرتبطة بالتصدير والاستيراد بجميع نوعياتها . . . فقد كان لابد للالاف المؤلفة من العاملين والبنائين وصغار الموظفين والحمالين والسائقين وعمال التنظيف والنقل وكل النوعيات التي ترتبط بأعمال مدينة تجارية صناعية ضخمة كبومباي ، أن يجدوا مكانا للسكن والمأوى . واذا كانت المستعمرات والمجمعات العمالية التي أقامتها المصانع لاستيعاب بعض عمالها قد استوعبت الكثيرين رغم أنها لاتكاد تفي بامكانيات الايواء والمعيشة ، اذ هي من عشش الصفيح كل عشة صغيرة يقيم فيها عشرات من البشر . . الا أن الباقين من أصحاب الاعمال الدنيا ومن العاطلين والباحثين عن الرزق اليومي مع أسرهم لم يكن لهم سوى الشوارع الخلفية . . والنوم على الارصفة وامام واجهات المصانع والمحال ومحطات الحافلات وأي فجوة في أي طريق أو مبنى يمكن أن يستوعب بضعة اجساد يتلاصق بعضها مع بعض .

سكان الأرصفة . .

ان ٧٥٪ من سكان بومباي يسكنون فيما يسمى « بالشاولات » . . وهي مجمعات سكنية ترتفع حوالي خمس طبقات مقسمة الى غرف لكل عائلة غرفة . . وحوالي ١٥٪ يسكنون مع أسرهم في أكواخ من الصفيح والخشب والبوص كتلك التي كانت تطل على « مجرى ماهيم » حيث كل كوخ تقيم به أسرة كاملة وهو لايزيد عن ثلاثة امتار مربعة . وهي كلها تفتقر الى مرافق الصحة والصرف واداء احتياجات الانسان . . كما أنها مرتع خصيب لجميع احجام الفئران والحشرات . الى جانب كل ذلك فهناك ٢٪ على الأقل ليست لهم أماكن لايوائهم مما يجعلهم ينامون على الارصفة وتحت أسقف مواقف السيارات ومحطات السكك الحديدية واركان الشوارع ، أما الباقون وهم ٨٪ فقط فهم الطبقات القادرة التي تسكن البنايات . . أما الذين يعيشون من هؤلاء في مستوى الفقر فهم القادرون نسبيا على الحصول على أجر شهري من خلال العمل في المصانع يصل الى ٥٠٠ روبية (حوالي ٦٠ دولارا) أما الذين يعيشون تحت مستوى الفقر وهم كما تؤكد الارقام لايقلون عن ٢٠٪ ممن يمكنهم الحصول على أجر ضئيل ـ اذا اتيحت لهم الفرصة ليوم عمل ـ يتراوح بين ١٠ روبيات و١٥ روبية (١,٢٥ الى ٢دولار) ومثل هؤلاء جميعا لايمكن تصور أن يكونوا قادرين على الحصول على ملابس تستر اجسادهم عدا مايستقر على هذه الاجساد طوال شهور من ملابس رثة ممزقة أو مايعثرون عليه في نفايات وبقايا المزابل أمام مباني أصحاب القمة .

ولكن ماذا عن سكان الارصفة وجوانب الطرقات وفجوات البنايات ؟ الواقع أن مشكلاتهم مع افتراش الارض والتحاف السماء هي أبسط ما يعانون ، لأن الجو بالنسبة لهم محتمل في أغلب شهور السنة ، حيث لايحتاجون الى غطاء ثقيل يقيهم البرد . . ولكن الشقاوة الحقيقية هي في موسم الرياح الموسمية المطيرة خصوصا عندما تستمر الامطار لأيام متواليات دون أن ينقطع هطولها ، ودون أن تترك مكانا جافا يتيح لهم الحصول على أرصفة مريحة ـ هكذا شاهدنا معاناتهم والأمطار تهطل بعنفها الشديد ـ وان كان ذلك يتيح لهم فرصا جديدة ، اذ يتقدمون لحمل من يريد العبور من رصيف الى رصيف أو من منزل لآخر أو بين المحلات مقابل روبية أو اقل .

أما الذين لايجدون عملا . . فيتسولون . . الآلاف من المتسولين يفاجئونك وأنت تسير في الطريق أو عند تقاطع الطرقات . . أو عند مواقف اشارات المرور لاستجداء ركاب التاكسي وسائقي السيارات . . ولعل من الأسباب الأخرى التي تشجع



على التسول أن من عادات الهندوس الاحسان للمتسولين ومنحهم العطايا كقربان للآلهة . ولهذا أصبح المجتمع الهندوسي في بومباي لايرفض وجود المتسولين . ولكن أغلب هؤلاء المتسولين المتخصصين في المدينة وخصوصا الاطفال منهم اتخذوا هذا العمل مهنة يتم التدريب عليها وامتهانها تحت قيادات هي نوع من عصابات المافيا . وهذه العصابات تقوم عادة باختطاف الأطفال دون أن يهتم أهلوهم بالبحث عنهم لكثرة ما لديهم من أبناء يعجزون عن الانفاق عليهم من فقر أو املاق . ويتلقى هؤلاء الصغار دروسا فيما يشبه مدارس التسول والنشل لتعليمهم الطرق المثلى للقيام بمهمتهم الجديدة وكيفية اختيار زبائنهم وأماكن تواجدهم .

كل ذلك لايمنع من وجود متسولين حقيقيين وباعداد تتجاوزالآلاف . فبعض عائلات الفلاحين في المناطق القاحلة في ماهارشترا يضيقون ذرعا بكبار السن من آبائهم ولا يتحملون الانفاق عليهم . فيذهبون بهم الى سومباي ويتركونهم لمصائرهم في شوارع المدينة . ولايكون أمام هؤلاء مع عجزهم عن العمل وضعفهم الا أن يتسولوا ليبقوا على بعض رمق الحياة . وهناك أيضا زوجات فقدن أزواجهن هربا أو موتا في المدينة فلم يعد أمامهن ـ وبين أيديهن أطفال صغار ـ الا أن يتسولن للحصول على ما يقيم أودهن وأود صغارهن .

ويقودنا ذلك الى أبشع ماتشهده الشوارع الخلفية في بومباي . . فئة النساء المنحرفات في حي كاماتيبورا واللواتي تزداد تجارتهن خلال موسم المونسون .

قالت لنا مرافقتنا من مكتب سياحة حكومة الهند في بومباي ، وهي تشيح بوجهها قليلا ، ونحن نخوض بسيارتنا في الطين تحت وابل الامطار خلال شارع فورش الخلفي الضيق ، الذي تطل عليه من الجانبين بيوت خشبية من طابقين ، وتقف عند أبوابها نساء في ملابس صارخة الالوان ، بينما النوافذ ذات القضبان كأقفاص الحيوانات تمتلىء بوجوه فتيات تملؤها الاصباغ ، وكلهن غير عابئات بالمطر المنهمر .

في مدينة كبومباي تزداد فيها نسبة الرجال عن النساء حتى ليقابل كل ألف رجل ستمائة وخمسون من النساء . . وفي مجتمع يأتي اليه المهاجرون والباحثون عن العمل من أفقر أنحاء الهند . . رجال يخلفون وراءهم زوجاتهم حتى يجدوا العمل المناسب . . وشباب يحلمون بالعودة الى قراهم للبحث عن عروس مناسبة بعد أن يتمكنوا من ادخار ما يكفي لبناء اسرة جديدة . . تكون هذه الصورة طبيعية ، خصوصا مع لجوء بعض العائلات الفقيرة للتخلص من بناتهن ، أو مع انتشار مافيا خطف البنات من القرى والمناطق المجاورة وبيعهن الى أصحاب هذه البيوت ، الذين كانوا يحبسون الفتيات وراء هذه القضبان ليمنعوهن من الهرب حتى يتعودن على الاقامة فيها ، حيث لامورد آخر ولا عائلة ولا غذاء ولاكساء . . وليس لهن لو هربن الا أن يصبحن بعضا من الآلاف من سكان الارصفة ، حيث تتعرض النساء عادة خلال الليل للاعتداء من بعض معدومي الضمير . . بلا ثمن .

ومع هذا فهي هوليود الشرق

الحقيقية ان السلطات في بومباي لاتقف مكتوفة الايدي أمام كل هذا الذي يجري في الشوارع الخلفية ، سواء في موسم الرياح الموسمية ، أو فيما بقي من شهور السنة الأخرى . . واذا كانت هذه السلطات لاتملك شيئا لمواجهة الاندفاع المستمر لعشرات الآلاف من القادمين الجدد كل يوم . . وما يخلفه ذلك من أعباء بسبب الازدحام الشديد الذي يتكاثر باستمرار ، وما يتبعه من عجز في قدرة الخدمات والمرافق العامة على مواجهة هذا الدفق الذي لاينقطع من البشر . . بحثا عن فرص عمل قد لا يكون أغلبها متاحا اليوم . . الا أن الحكومة المحلية تبذل كل ما في جعبتها لامكان تحسين صورة المدينة ، مع التوسع في الميادين الصناعية والتجارية والثقافية ، وانشاء المزيد من المجمعات السكنية

ويرغم كل ذلك فان جهود الحكومة المحلية ـ وهي ممثلة في دائرة البلدية التي تعتبر واحدة من أقدم السلطات في الهند وأقواها أثرا ويتنخب أعضاؤها من جميع أنحاء المدينة ـ تصنع ما يشبه المعجزات ، لتظل بومباي مركزا تجاريا مرموقا نابضا بالحياة والحركة والحيوية . . ولتكون جديرة بالتسمية التي يطلقونها عليها . . هوليود الشرق . □



في يوبيله الفضي

السد العالي يتحرك ..!!

استطلاع : نجاح عمر

عدسة : محمد يوسف

لم يكن السد العالي معركة عند البناء فقط ، ولكن معاركه مستمرة حتى اليوم مع كل ماتمثله لمرحلة وعهد وفكر وانتماء .. وكان السد هدفا لتصفية الحسابات .. كل الحسابات .. حتى جاء الرد حاسما عندما أنقذ السد ـ البنيان والرمز ـ مصر من زحف الجفاف وشبح الجوع .. ولم يمض على السد سوى [illegible] الأربع قرن

نحن الآن على ضفاف أحدث بحيرة عربية . .

نحن الآن على ضفاف ثاني أكبر بحيرة صناعية في العالم ، بحيرة ناصر التي تخترق بلدين عربيين . . مصر . . والسودان ولمسافة خمسمائة كيلومتر .

سطح المياه هادىء . . الامواج وديعة . . النهر الهادر ـ في شهور الصيف ـ يذوب في البحيرة . . يحبسه السد ، ينعطف الى الجبل في مجرى جديد غير الذي عرفه منذ آلاف السنين .

قال لي مرافقي ونحن نقف فوق جسم السد العالي . . « لكن هدوء المياه يخفي الكثير . . مدينة كاملة هي النوبة ، ومعارك طاحنة هي معارك السد طوال ثلاثين عاما بدأت مع الثورة المصرية ، واستمرت حتى المجاعة الافريقية هذا العام »

وقال المرافق . . .

لكن آخر المعارك هي معركة السد مع الاحتمالات المقبلة . . الزلازل . . والجفاف وسكت الاسواني العجوز ، ورحت أبحث عن السد . . . المعركة » .

لم يسبق لمشروع عربي أن أثار هذا القدر من الجدل . .

ولم يسبق لمشروع عربي أن تحول لسلسلة من المعارك السياسية . . والعسكرية . . والاقتصادية كما حدث للسد العالي ، وذلك فضلا عن معاركه الدائمة مع الطبيعة . ففي هذا الموقع انتقل الجبل الى النهر . . وانتقل النهر الى الجبل . ورغم هذا لم يكن ذلك اصعب المعارك !

من أجل السد نشبت الحرب وهدمت جيوش بريطانيا وفرنسا واسرائيل ثلاث مدن مصرية (بورسعيد ـ الاسماعيلية ـ السويس)وهاجرت آلاف الاسر . . وسقط مئات الشهداء و تحول خزان الماء . . والكهرباء . . الى معركة عربية من المحيط الى الخليج .

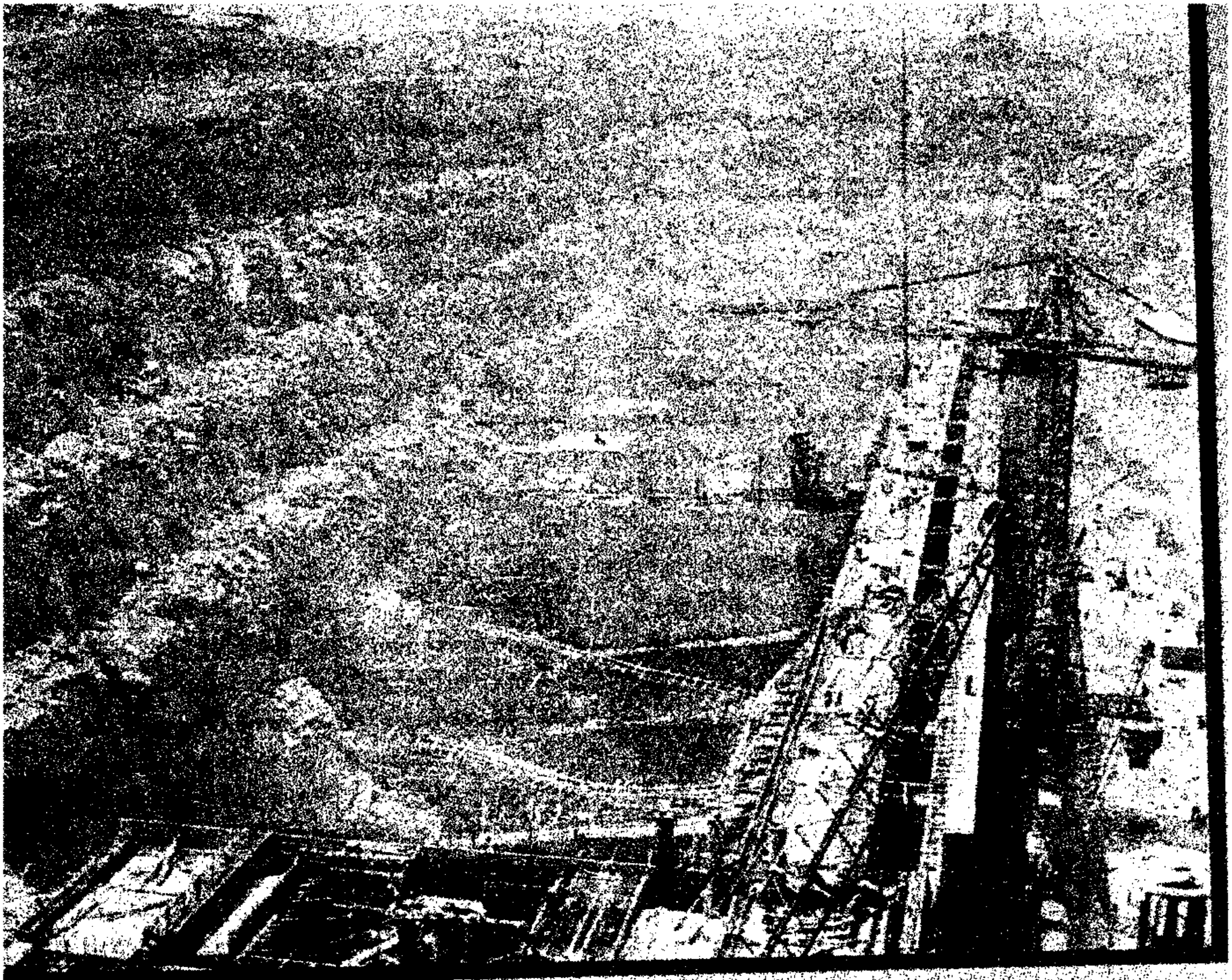
من أجل السد . . حدث التحول الشديد في « مجرى الثورة المصرية داخليا وخارجيا » ذلك المجري الذي أرادوا تعكيره بعد أن رحل الزعيم فخرج من يقول . . . :



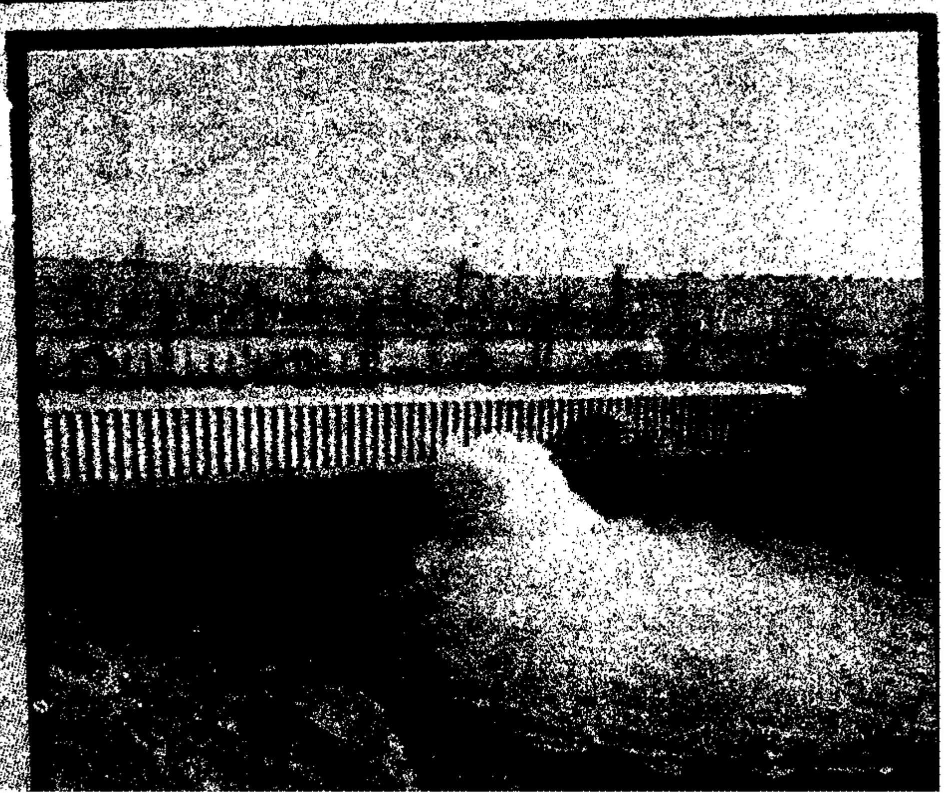
عبد الناصر ـ خروشوف ـ عارف ـ السلال ـ [illegible]
مجرى النهر







▲
- محطة الكهرباء خلف
بعد التحويل.



- محطة الكهرباء في
خزان أسوان.

« اهْدموا السد .. وحاكموا اللذين بنوه » .

ولم يكن ذلك غريباً . . فالسد العالي هو أحد رموز ثورة يوليو ذات التوجهات العربية .. وصدم الانحياز .. ودعم حركات التحرر الوطني .. والاعتماد على الذات .. لذا .. وجب « هدمه » !! ولنفس الأسباب .. كان ـ ومازال ـ السد العالي معركة مستمرة .. !

هذا فضلا عن كونه معركة مع النهر .. والصخر .. والجبل .

هو معركة منذ أن كان جسرا ..

السد والتاريخ

التاريخ: قبل الميلاد عندما حاول الفراعنة أن يضعوا مشروعا كان في عداد عجائب الدنيا ، في عهد أمنحتب الثالث ، استعمل الفراعنة بحيرة موريس لخزن مياه الفيضان وانقاذ البلاد من أخطارها .

ويقول هيرودوت . . .

« انهم أحاطوا البحيرة بجسر طوله سبعون ميلا ووصلوا بين البحيرة والنيل بترعتين .. أنشأوا على كل قنطرة تستخدم احداها لاختزان المياه ، والاخرى لصرفها ، ومن أجل هذا حاول الفراعنة دراسة النهر والالمام به وبأطواره ، ورصد مناسيبه وتسجيلها على مقاييس خاصة أقاموها لهذا الغرض في عام ٦٤١ قبل الميلاد .

وهو معركة منذ أن كان فكرة تشتعل أحيانا ، وتهدأ أحيانا .. ولكنها في كلتا الحالتين معركة تستمد ضراوتها من صعوبة العمل ذاته ، فليس سهلا ترويض نهر عمره يقرب من خمسين ألف عام ، ويزيد طوله عن ٤١٦٠ ميلا ، وتبلغ مساحة حوضه عُشر (١/١٠) القارة الافريقية كلها ، ويمر بسبعة بلدان هي كينيا .. والكونغو واوغندة والحبشة .. وتنجانيقا .. والسودان ومصر .

ومن هنا كان السد العالي حلما صعبا ، فشلت أحزاب ماقبل الثورة في تحقيقه واكتفت منه بمناورات حزبية في المناسبات فقط ، وخزان صغير هو خزان أسوان الذي حجز جزءا من مياه النهر .

ثم ..

أصبح السد معركة كبرى بعد أن تحولت الفكرة بعد الثورة الى مشروع يبحث عن « ممول » .

روى لي المهندس زكي قناوي وزير الري السابق وأحد بناة السد هذه الواقعة . . . « وقف عبد الناصر وأعلن تأميم قناة السويس وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتبي في خزان أسوان ، فوجدت الخبراء الفرنسيين يجمعون حقائبهم ويستعدون للرحيل .. فسألت : .. الى أين ؟

قال أحدهم .. سنرحل .. ولكننا سنعود بعد فترة قصيرة .. ونحن نرتدي ملابس الحرب ! » .

وبالفعل لم تمض شهور على تأميم قناة السويس حتى عاد الفرنسيون ضمن حملة العدوان الثلاثي : « فرنسا .. انجلترا .. واسرائيل .. »

كان العدوان ردا على تأميم قناة السويس .. وكان التأميم نتيجة انسحاب أمريكا من تمويل السد بعد رفض عبد الناصر شروط البنك الدولي .. والتي كان الصلح مع اسرائيل واحدا منها !!

رفض عبد الناصر الخضوع .. اتجه الى الاعتماد على الذات فأمم القناة ليأخذ من دخلها مايبني به السد العالي كجزء من بناء الاقتصاد المصري المستقل . وكانت الترجمة الرقمية حينذاك تعني . . .

* زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ١٨ مليون جنيه ، بعد تنفيذ المرحلة الاولى من السد .
* أراضي مستصلحة مساحتها مليون فدان .
* زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ٢٣ مليون جنيه .. وزيادة في الدخل القومي تصل الى ٣٥٥ مليونا وذلك عند استكمال محطة توليد الكهرباء .
* التوسع في الزراعة بمساحة مليونَيْ فدان .
* ضمان الزراعة في فترات المياه الشحيحة .
* الوقاية من خطر الفيضان .
* القفز بنصيب الفرد من الكهرباء الى ٤٠٠ كيلووات ساعة بدلا من ستين كيلووات قبل السد .

كذلك اتجه عبد الناصر شرقا ليطلب من الاتحاد السوفييتي الاسهام في تمويل السد العالي . وهنا نترك السطور لهذه الشهادات :

شهادة رقم (١) :

يرويها أيضا المهندس زكي قناوي :

عندما زار نيكسون عبد الناصر ذهب الى أسوان

ورأى السد العالي على الطبيعة ، واستمع على مدى ثلاث ساعات لشرح رئيس هيئة السد العالي . . يومها قال رئيس الولايات المتحدة الامريكية . . « نحن آسفون لاننا لم نأخذ هذه العملية » .

شهادة رقم (٢) :

من الاوراق القديمة الخاصة بالمرحوم المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الري السابق وأحد الذين عاصروا مراحل بناء السد العالي والذي كان يعمل مديرا لمكتب وزير السد العالي خلال فترة المفاوضات التي جرت قبل البدء في تنفيذ المشروع . . ثم سكرتيرا للجنة بناء السد العالي ثم وكيلا لوزارة السد في أثناء عملية التنفيذ .

أوراق هذا الرجل ـ ومضابط مجلس الشعب عام ١٩٧٨ التي سجلت رده على أحد الاعضاء المطالبين بهدم السد العالي ومحاكمة المسئولين عن تنفيذه ـ تشهد على قدرة المصريين المفاوضين . . وعلى رأسهم القيادة السياسية التي تركت الفرصة واسعة أمام الفنيين دون أي محاولة للتدخل في سير المفاوضات ، حتى عندما تعثرت المفاوضات عام ١٩٦٠ ، وذهب المهندس عبد العظيم أبو العطا الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأطلعه على نقاط توقف المفاوضات . . ورأي المفاوضين المصريين . . . فلم يكن من جمال عبد الناصر الا أن أمر بالسير في المباحثات على ضوء مايراه الفنيون . .

وتشير التقارير المرسلة من موسكو في تلك الفترة أنه خلال الخلاف بين عبد الناصر وخروشوف ، كانت برامج العمل في السد العالي لتوريد المهمات والالات وفتح الاعتمادات وابقاء الخبراء ، واجراء الدراسات والأبحاث كلها في واد والمعركة السياسية في واد آخر .

ورغم الخلاف . . وبمساعدة الدكتور مراد غالب سفير مصر في موسكو في تلك الفترة . . حصلت مصر على قرار برفع قيمة القرض بما يسمح بتوريد مائة وعشرين الف طن اضافية من المهمات الخاصة بكهرباء السد العالي ولولا ذلك لأظلمت مصر خلال حرب الاستنزاف .

الذين يبحثون عن أضرار السد

السد العالي ليس مشروعا ركاميا من صخر أصم . . انه جبل وضع أقدامه في منطقة لن يطأها انسان بعده .

وكنت واحدة من هذا الجيل . .

وقفت في قاع النهر . رأيت آلاف العمال ينقلون الجبل . وآلافا أخرى وهي تصنع للنيل مجراه الجديد ، زرت مدينة هي الآن في قاع بحيرة ناصر كانت تسمى يوما « بالنوبة القديمة » ، ومشيت في طريق شقه الرجال في صدر الجبل هو الآن قاع نهر النيل بعد تحويله من مجراه الاصلي . . حيث يهدر مسقط مائي يفيض ضوؤه على العيون . . والقلوب .

كنت وصحفيا أمريكيا وهدفا غير مشترك . .

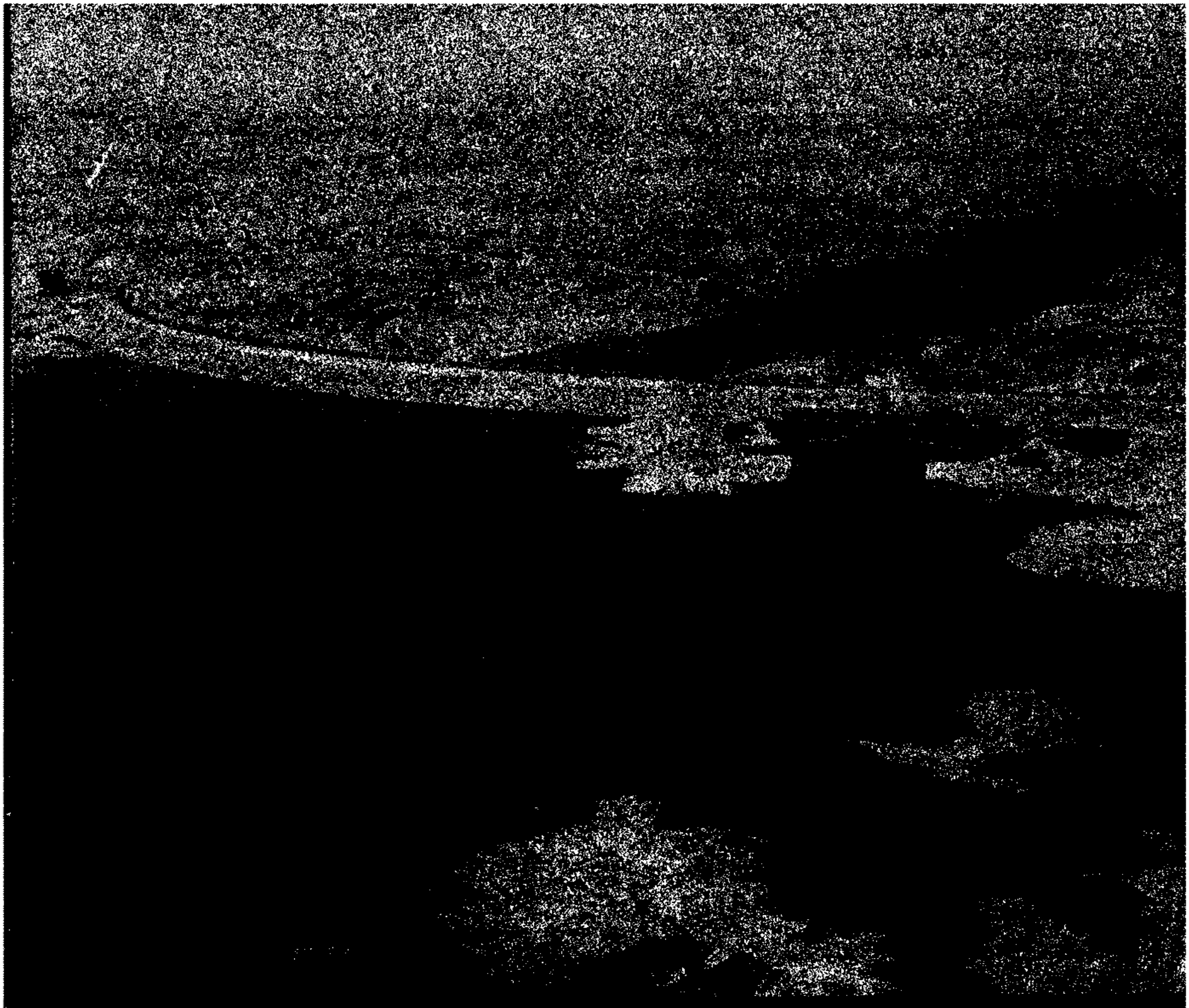
أنا . . أبحث عن المستقبل بين الصخور المتفجرة وحبات العرق . . وآلاف العمال الذين كانوا يبدون من أسفل كنقط سوداء متحركة تحيط بأعالي الجبل .

وهو . . ليبحث عن أضرار السد . . كان يريد أن يثبت أنه لافائدة من السد العالي . . فالطمي سوف يرتفع في قاع البحيرة وغياب الطمي سوف يفسد الارض الزراعية على طول الوادي وعرضه .

يومها . . كانت الابحاث والدراسات العلمية تقول . . نعم سوف يصبح الطمي مشكلة أمام السد . . ولكن بعد خمسمائة عام . . نعم ستخلو المياه من طمي النيل ولكن مصانع كيما سوف تفي بالغرض وتؤدي مهمة الطمي بالنسبة للارض الزراعية .

والغريب . . أنه رغم مضي واحد وعشرين عاما على هذا الحوار الا أن الموقف الامريكي كما هو . . لم يتغير . . « البحث عن أضرار السد » .

عندما وقع زلزال أسوان . . كان الامريكان أول من أسرع بالحضور الى القاهرة ، لاخوفا على السد . . ولكن بحثا عن « آثاره الجانبية » . . الى أسوان توجهت بعثة أمريكية مولتها بعض المكاتب الامريكية العلمية !! للبحث عن العلاقة بين الزلزال والسد . ثم أعلنت هيئة المعونة الامريكية عن منحة مقدارها ستة ملايين دولار لتمويل الدراسات الزلزالية للسد العالي .



▲ منظر من البحيرة
السد بعد الانتهاء
منه



[illegible]

البعثة مازالت موجودة حتى الآن ، وسوف تستمر حتى ديسمبر القادم .. و .. الى أن تنتهي الدراسات حتى نستطيع أن نقرأ معا تقاريرها المبدئية التي كانت تقدمها مرة كل ثلاثة شهور .

شهادة رقم (٣) :

الشهادة للمهندس زكي قناوي .. لا بصفته واحدا ممن ارتبطت أسماؤهم ببناء السد العالي في مراحله المختلفة .. ولكن كعضو اللجنة الفنية المشتركة التي تتولى هذه الدراسات . يقول شيخ السد ..

« يسرني أن أقول ان النتيجة النهائية التي ستقدم في ديسمبر القادم ، سوف تشير الى كفاية السد العالي وقدرته على تحمل الزلازل .. حتى الزلزال البالغ قوته سبع درجات بجهاز ريختر .. لن يستطيع أن يهز صخرة واحدة من جسم السد .

وقد اجتمعت البعثة الامريكية أربع مرات .. وكان بودها أن تقول ان السد هو السبب فيما حدث من زلازل لكنها لم تستطع ، فعلى مدى عام كانت اللجنة المشتركة والتي شكلت لهذه الدراسة بالتحديد .. تكتب تقاريرها كل ثلاثة أشهر وبعد الكشف الجيولوجي تبين أنه يتحمل هزات أرضية حتى سبع درجات .

قلت : ماسبب الزلزال .. هل كان السد وراء ذلك ؟

قال الخبير ذو الثمانين عاما .. ؟

لماذا يكون السد هو السبب واذا كان الامر كذلك فمن كان وراء زلزال عام ١٩٢٧ و ١٩٥٥ .. ؟ لقد حدثت زلازل عدة قبل أن يبنى السد ، كان أحدهما من العنف بما جعل الناس يقذفون أنفسهم في النيل .. ولم يكن السد قد أقيم بعد .

قلت : .. يقولون ان السد يتحرك .. فهل هذا صحيح ؟

قال زكي قناوي مبتسما : لقد سمعت ذلك على ما أذكر منذ أيام .. دعيني أقل .. : نعم انه يتحرك ، وكل مبنى يتحرك ، الحركة بالنسبة للسد العالي لاتهمنا فقد صممناه بطريقة تزيده الحركة صلابة ، لقد بني على شكل نصف دائرة وبالتالي لاتهمنا الحركة حتى سنتميترين كل عام لان ذلك يزيده صلابة .

ـ ويقولون أيضا .. ان جوانب النهر تتحرك ..

أقول : لماذا الان بالذات تثار مثل هذه الشائعات ولماذا هذا الخوف .. ان البحر الاحمر يتحرك سنتميترين كل عام ولم يتكلم أحد !

ثم ..

يعود بذاكرته الى الوراء .. الى خمسة وعشرين عاما مضت ..

« الحكومة لم تبدأ في عمل السد من فراغ ، لقد عملت في عهد عبد الناصر كل مايمكن من أبحاث لاستكمال جميع المواصفات اللازمة للسد ومعرفتها بما فيها « التخزين القرقى » أرسلنا المبعوثين صغارا وكبارا الى اغلب بلاد العالم بصرف النظر عن مبدئها السياسي .

أنا زرت عشرين بلدا في أوروبا .. وتقدم من الابحاث مايزيد عن ١٢٠ بديلا للمشروع الحالي من جهات ولجان متعددة .. منها لجنة كبرى مكونة من خبراء أمريكان وفرنسيين وألمان وسوفييت .

رأيت أشياء كثيرة في أمريكا .. ولم أر احتياطات مثل تلك التي عملت للسد العالي ، حقنا تحت السد بطبقات رملية بعمق ١٨٠ مترا ، وكنا نحقن كل خمسة أمتار ، ثم وجدنا أن هذا لايكفي فكان الحقن كل مترين وتلك عملية فنية تمنع تسرب المياه من جسم السد » .

وسألته : ماذا تعني « بالتخزين القرني » ؟

قال : أعني تخزين المياه لعدة سنوات تصل الى سبعة أعوام .

وقلت : اذن هل يعني ذلك أن مصر في منطقة الآمان بالنسبة للجفاف ؟

قال على الفور : لا .. مازال الخطر قائما .. نحن لانستطيع الآن أن نؤكد الامان ، وللعلم هذا الخطر منذ خمسة أعوام ، ولكن لم يشعر به أحد بفضل السد العالي ، لقد سحبنا من « بنك المياه » (يقصد بحيرة ناصر) ماقيمته اثنان وعشرون مليار متر مياه مكعب في العام الماضي .

في السنوات الخمس الماضية .. وصل جملة ماسحب من هذا البنك الى سبعين مليار متر وكان الرصيد تسعين مليار متر ويبقى من التخزين الحي



ـ مياه السد تكاد تغطي النخيل وتزحف نحو القرية

عشرون مليار متر . .

سألته : هل يوجد تخزين حي . . وآخر ميت ؟

قال : نعم . . ان سعة البحيرة ١٦٠ مليار متر منها ثلاثون مليار متر ميت . . أي طمي . . وحجر . . .

ثم يكمل :

كان عام ١٩٦٤ أول عام نحجز فيه مياها . في ذلك العام وقعت قصة غريبة . . كان ارتفاع السد يومها ١٢١ مترا ، وكنا في شهر يوليو والجميع في اجازة ولا يوجد خبيري وعدد قليل من العاملين ، كنت أتوقع فيضانا غير معتاد ، وانتابني خوف من أن تفيض المياه فوق السد وتهدم كل ما بنيناه ، فأمرت بتعلية السد مترين . . وأمرت بتحويل كل الجرارات والشاحنات الكبيرة الى هذا العمل . . ولحسن الحظ انتهينا من ذلك قبل أن يكتمل تخزين السد وبالفعل وصل منسوب ذلك العام الى ١٢٢ مترا . . أي بزيادة متر واحد عن الارتفاع الاصلي ، لكن هذا المتر الواحد كان يمكن أن يهدم كل ما نبنيه ، هذا المتر يعني ٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه لمدة أشهر !! »

ومن الفيضان . . الى الجفاف . .

من الماضي الى الحاضر يقفز زكي قناوي بشهادته فيقول :

« لولا السد لما زرعنا أرزا . . ولاذرة . .

ويكفي السد فضلا أننا نزرع الارز في أيام الجفاف على مدى خمس سنوات متتالية ، والفيضان لايأتي بما نحتاجه ، نحن نستهلك ٥٥ مليار متر مكعب مياه . . بينما وارداتنا لاتزيد عن ٣٣ مليارا فقط . . فأين لنا بهذا الفرق لو لم يكن السد العالي ؟

في عام ١٩٨٣ كان المنصرف ٣٦ مليار متر مكعب ماء . . وفي عام ١٩٨٤ كان ٣٣ مليارا فقط . .

قلت : وهذا العام ؟

قال : مازال الخطر قائما . . ومازلنا معرضين للجفاف ، أقول اننا لانزال في محنة وأن علينا الترقب

والعناية والانتظار .. هذا فضلا عن الاحتياطات اللازمة ..

قلت : هل تعني ترشيد استهلاك المياه ؟

أجاب : لا .. أرجو الغاء كلمة ترشيد ، فالحالة خطرة ، تفرض أن الفيضان جاء بستين مليار متر من الماء .. في هذه الحالة لابد ألا يزيد المنصرف عن خمسين مليارا وحتى يتم ذلك لابد من ..

● التقليل من زراعة الارز .

● التقليل من مياه الري .

● استعمال مياه الصرف في الري .

● منع زراعة قصب السكر فيما يسميه الزراعيون « العروة الجديدة » .

● التحكم في مياه الري والشرب .

● تبطين بعض الترع الكبرى .

● منع المفقود من الاسماعيلية والذي يصل الى مليار متر سنويا .

● تجفيف البحيرات الداخلية .

ثم ..

● تقليل التوسع الافقي في الزراعة والاكثار من التوسع الرأسي ، ذلك أن الاول يحتاج الى مياه .. بينما الثاني لايحتاج الى كميات كبيرة من المياه في الوقت الذي ينتج فيه محصول أكبر .

قلت : والصيادون الى أين يتجهون .. ؟

قال : اذا كان لدينا آلاف الصيادين .. فعندنا أيضا مشاريع البحر الاحمر .. وبحيرة ناصر حيث تتوافر أكبر ثروة سمكية كان يمكن أن تزيد لولا الجفاف الذي أدى الى انخفاض منسوب البحيرة والذي أثر بدوره على ما فيها من أسماك لذلك لابد من الاتجاه الى عمل مزارع سمكية في أحواض خاصة بالبحيرة بمجرد ارتفاع منسوب المياه مرة أخرى .

شهادة رقم (٤) :

مازال السد العالي معركة .. معركة سياسية تصدى لها المهندس عصام راضي وزير الري المصري في مجلس الشعب هذه الايام ...

ومعركة علمية يخوضها العلماء والباحثون ... والخبراء ...

حقل اليكتروني

لرصد الزلازل

أشرفت اللجنة الفنية للدراسات الزلزالية للسد العالي على الانتهاء من دراساتها الفنية وكتابة التقرير النهائي بنتائج هذه الدراسات .

سوف تتقدم اللجنة الى الجهات المصرية بتقريرها هذا في ديسمبر القادم .

وكانت اللجنة قد شكلت من خبراء دوليين .. من كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية .. واليابان ..

ومن المعروف أن هيئة المعونة الامريكية قد أسهمت في تطوير هذه الدراسات بمنحة قيمتها ستة ملايين دولار في صورة أجهزة ، بينما رصدت الحكومة المصرية ثمانية ملايين جنيه لانشاء أول شبكة رصد زلازل تضم اثنتي عشرة محطة تم توزيعها حول السد وداخله تتصل بالحقل الاليكتروني بالمركز الاقليمي للزلازل في أسوان .

آخر هذه المعارك أو أحدثها .. دراسة لتطوير مجرى النيل بلغت تكاليفها ٤ ملايين دولار قدمتها الحكومة الكندية كمنحة لمشروع ضخم قدرت تكاليف جزء منه ـ محطة كهرباء وقنطرة بحوالي ٢٠٠ مليون دولار ..

وعن معارك السد مع الطبيعة يشهد الدكتور محمود أبو زيد رئيس مركز بحوث المياه .

« ان السد العالي يعد الصمام الذي ضمن لمصر حجما سنويا ثابتا من المياه ومكننا من التحكم في مياه النيل ، ولذلك سيظل لسنوات عديدة هو مفتاح التنمية الزراعية لمصر .

ولقد مكن السد مصر حتى الآن من تحويل أراضي الحياض في مساحة مليون فدان الى ري دائم ، بالاضافة الى استصلاح نحو مليون فدان جديدة ، وبالاضافة الى مشروعات السد من محطة كهرباء تمد



لحظة الالتحام : آخر دفعة صخور يتم القاؤها في النهر ليلتحم .

مصر بـ ٦٠٪ من احتياجها السنوي بالكهرباء . . بدأت وزارة الري في وضع تفاصيل خطة لتطوير مجرى النيل مائيا . . وكهربيا . . وسياحيا . ولقد أعدت الخطوط الرئيسية لهذا المشروع بمساعدة فنيين كنديين ، ويشمل استغلال أقصى طاقة كهربية في جميع الاعمال الصناعية ، بالاضافة الى انشاء مجرى ملاحي من الدرجة الاولى يسمح بمرور البواخر الكبيرة بغاطس مائي طوله متران ونصف .

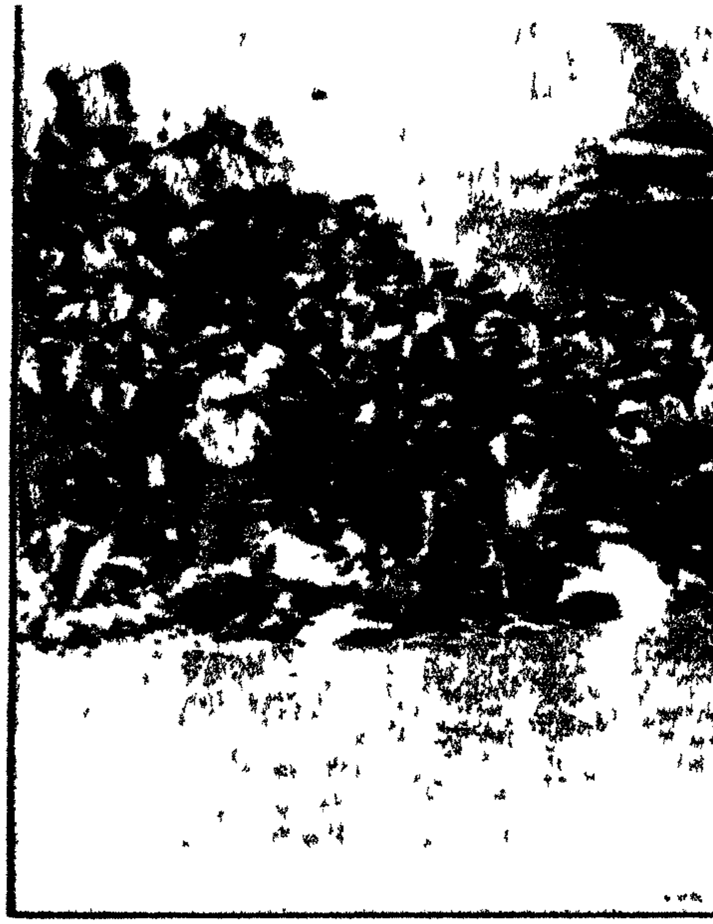
وقد أعلن التصميم النهائي في عطاء عالمي .

قلت : والجفاف كظاهرة عالمية . . أين السد العالي منه ؟

قال : ظهر الجفاف كظاهرة في أماكن كثيرة من العالم . وهو ظاهرة طبيعية شأنها شأن الفيضانات ، [illegible] الظاهرة الطبيعية [illegible] هذه الظاهرة من منطقة لأخرى ، أو من قارة لأخرى . . ولكن من المؤكد أن حدوث فيضانات في منطقة يقابلها جفاف في مكان آخر بالكرة الارضية ، فحجم المياه على سطح الارض ثابت رغم التغيرات الكثيرة التي تتدخل في الصور المختلفة لهذا الماء .

فاذا ما تناولنا ما حدث في أفريقيا في الاعوام القليلة الماضية وبالذات في حوض النيل نجد أن معطيات النيل ومعظمها من أمطار الهضبة الاستوائية ، كانت دون المتوسط خلال ست السنوات الماضية ، ومن المعروف أيضا من خلال أرصاد النيل في مدة مائة العام الماضية ان اختلاف هذه المعطيات يتبع دورة غير متماثلة تتوالى في مجموعات من السنوات العالية أو المنخفضة وفيضانات مختلفة ، وقد يكون طول كل دورة أربع سنوات أو خمسا ، الا أن توالي الانخفاض بالدرجة التي حدثت خلال ست السنوات الاخيرة لم [illegible] .

وبالطبع كان لوجود السد العالي الاثر الاساسي في حماية مصر من خطر الجفاف نظرا لوجود بحيرة ناصر التي أمدتنا بالفرق من حصتنا المقررة طوال هذه



قلت : ماذا عن السودان والسد العالي ؟

ـ من المعروف أن متوسط تصرف نهر النيل السنوي خلال مائة العام الماضية يبلغ ٨٤ مليار متر مكعب مقدرا عن أسوان ، وهي الأساس الذي صُمِّمَت عليه سعة خزان السد ، وأي فيضان أقل من هذا القدر يعد دون المتوسط .. هذه الكمية « ٨٤ مليار متر مكعب » تقسم بين مصر والسودان طبقا لاتفاقية مياه النيل عام ١٩٥٥ ، فاذا كان الفيضان دون المتوسط فان مصر تستكمل حصتها من المخزون في البحيرة ، وهذا ما حدث خلال خمسة الأعوام الماضية ، حتى أصبح حجم المخزون الآن في البحيرة عشرين مليار متر مكعب .

قلت : ماموقف السد عربيا في رأيك ؟

قال : لاشك أن الخبرة التي اكتسبها المصريون في أثناء اقامة السد تعتبر ذخيرة لكل من يعمل في هذا المجال ، ومنهم من يسهم في أعمال مشابهة في البلاد العربية وكثير من دول العالم .. أي أن السد مدرسة عربية للخبرات الفنية في مجال السدود .

قلت : بصفتكم رئيس مركز أبحاث علمية .. هل تمت دراسة الآثار الجانبية للسد العالي أو التنبؤ بها ؟

قال : مركز البحوث المائية يضم أحد عشر معهد بحثيا من بينها معهد خاص لدراسة الآثار الجانبية قبل السد وبعده وتناولت هذه الدراسات أمورا كثيرة منها .. أثر الطمي وترسبه في البحيرة ، تآكل جوانب النهر خلف السد ، نوعية مياه النيل وتأثرها داخل البحيرة وعلى طول المجرى الثروة السمكية ، وقد نوقشت هذه الدراسات في مؤتمرات دولية ، ومازال بعضها تحت البحث في معهد دراسة الآثار الجانبية للسد العالي والجامعات .. وأكاديمية البحث العلمي .

شهادة رقم (٥) :

مر الوزير فرأى أحدهم يرتدي جلبابا أبيض وعمامة ويجلس دون عمل فسأله :

أنت صاحب هذه الارض ؟

قال : نعم ... منذ الخزان الاول !!

سأله الوزير : ولماذا لم تزرعها حتى الآن ؟

أجاب الرجل : على الحكومة أن تزرعها .

و ... دار حوار بين النوبي والوزير كان الاول يعبر خلاله عن مجتمع كسول .. يستورد العمالة من « أسوان » لتزرع الارض .. ويهاجر رجاله الى القاهرة بينما تظل النساء لترعى الاسرة .

ولم تكن النوبة فريدة في هذا الكسل .. كانت أسوان مجتمعا طاردا تحول بعد السد الى شيء آخر . فقد ازداد عدد السكان .. وتغيرت نوعيتهم .. تحولت المنطقة الى مجتمع صناعي به معهد لتدريب الفنيين في السدود والتفجيرات .. به مصنع .. بل مصانع ونقابات ..

تعاملت النوبة مع الآلة والثلاجات .. والبواخر الكبيرة .. ووسائل النقل الحديثة .. انتقلت النوبة من مجتمع الكسل الى مجتمع نشط لايربطه بالقديم الا تلك الرسوم التي تشير من فوق الجدران الجديدة الى الاصل القديم .. لكنها فقط .. على سبيل الذكرى . □

لسان الدين ابن الخطيب والنقد

بقلم : الدكتور احسان عباس

للسان الدين ابن الخطيب مكانة لا تخفى في تاريخ الفكر الأندلسي ، فقد كان ذا مواهب متعددة وقدرات متنوعة ، واستطاع رغم ما اضطلع به من مسؤوليات سياسية كبيرة أن يترك تراثاً ضخماً في التاريخ والتصوف والطب والشعر والترسل والفكر السياسي وغير ذلك من الفنون . فهل كان للنقد في تراثه نصيب ؟

لم يمنح النقد الأدبي قسطاً وافراً من جهده ، شأنه في ذلك شأن معاصره وصديقه ابن خلدون ، ولكن من السهل أن نعدّ هذين الرجلين ممثلين لطبيعة الذوق الأدبي ـ في عصرهما ـ في الأندلس والمغرب ، ذلك الذوق الذي لخصه ابن خلدون حين حدثنا أن شيوخه كانوا يرون « أنّ نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب » . وهو حكم عجيب ، غير أنه لا ينبيء عن ضيق صدر بالفلسفة في ذاتها ، فقد كان كثير من أولئك الشيوخ ـ كما كان لسان الدين وابن خلدون ـ من طلاب الثقافة الفلسفية ، وإنما هو تعبير عن عدم الارتياح إلى وضع الفكر المفلسف في نطاق الشعر (كما فعل كل من المتنبي والمعري) ، وذلك شيء لم تنفرد به الأندلس والمغرب ، بل كان أنصاره في المشرق هم اصحاب الغلبة في تاريخ النقد الأدبي .

القريحة الشعرية :

فاذا كان للسان الدين وابن خلدون من آراء في النقد فذلك متصل ـ في الدرجة الأولى ـ بثقافتهما الأدبية ، وبكون كلّ منهما مارس نظم الشعر ، وفي هذه الناحية الثانية يتفوق ابن الخطيب على صديقه ابن خلدون الذي تعسّر عليه قول الشعر بعد فترة من الزمن ، وعلّل ذلك بأن محفوظه من المتون الفقهية والنحوية وغيرها قد علق قريحته عن الفيضان ، وخدش وجه الملكة الشعرية لديه . فأما ابن الخطيب

فقد استمرّ يحاول التوفيق بين شقّي ملكاته ، ومنها الشعر ، حتى آخر ايام حياته ، ولم يواجه تصعباً أو تعسراً في نظمه ، رغم أنه كان يحفظ متوناً أكثر مما يحفظ ابن خلدون ، مثلما أنه عانى نظم متون في الطب والتاريخ . فالمتون ليست وحدها سبباً في إجبال القريحة ، ولا بد من ان تجتمع اليها اسباب اخرى نفسية واجتماعية واقتصادية .

ولعلّ مما اسرع في تقصير فترة الانتاج الشعري لدى ابن خلدون غلبة الميل الفكري لديه على كل ميل آخر ، وهذا استدعى منه أن ينتحي في كتابته منحى عقلانياً خالصاً . وفي دور مبكر كان يؤمن بالفصل التام بين الأسلوب النثري والأسلوب الشعري « إذ الأساليب الشعرية تناسبها اللوذعية ، وخلط الجدّ بالهزل ، والاطناب في الأوصاف ، وضرب الامثال ، وكثرة التشبيهات والاستعارات ، حيث لا تدعو الى ذلك ضرورة في الخطاب » فأخذت الملكة التصويرية لديه بالضمور . أما لسان الدين فظلّ يمنح العنصر الجمالي التصويري في نثره اهتماماً خاصاً غير عابيء بموقف صديقه من الفصل العامد بين الشعر والنثر ، فبقي على مستوى الانشاء النثري شاعراً مصوّراً ، وبقيت ملكة التصوير لديه تتمتع بقوتها على مرّ الزمن ، وكان مما يرفد هذا الجو الشعري من حوله عوامل أخرى لم تتوفر لابن خلدون منها شمولية اطلاعه على التيار الشعري في عصره ، واهتمام بتدوين تراجم معاصريه وأشعارهم ، هذا بالاضافة إلى اطلاع على الشعر العربي في كل عصوره . وكان بحكم منصبه السياسي ممدّحاً يستقطب كثيراً من قصائد معاصريه ، كما كان يرى أنه مسؤول عن تربية الذوق الفني أو على الأقل يميل إلى إشباع رغبة ذاتية لديه في انتخاب الاشعار والموشحات ووضعها في مجموعات خاصة (مثل كتابه جيش التوشيح) ، فكل هذه العوامل شحذت لديه الجانب النقدي فظل اتجاهه « شعرياً » ـ إن صحّ القول ـ حين أصبح اتجاه صاحبه « فكرياً » .

الشعر ظاهرة انسانية :

ويلتقي ابن الخطيب مع نقاد سابقين ـ وخصوصا فريق النقاد المتفلسفين ـ في قوله إن الشعر بالمعنى المطلق ظاهرة انسانية لا يمكن ان تحصر ضمن شكل محدد ، فالشعر بهذا المعنى لا يوضع في إسار وزن معين أو قافية مرسومة ، لأنه أوسع حدوداً من ذلك ، وعلى هذا الأساس لا يمكن ان يكون وقفاً على أمة دون أمة أو على صنف من البشر دون غيره . وهو إذن يشمل « الصور الممثّلة ، واللّعب المخيّلة ، وما تأسس على المحاكاة والتخييل مبناه ، ككتاب كليلة ودمنة وما في معناه » . فما هذا الذي يعنيه لسان الدين بالصور الممثلة واللعب المخيلة ؟ إن كانت الصور لديه تعني الرسم ، واللعب تعني التماثيل والدمى ، فالشعر في نظره هو جماع الفنون ، وان كانت تلك الصور واللعب تعني ضروب « النشاط المسرحي » في عصره ، وكان أقوى ما يمثلها « خيال الظل » أو « لعبة اليهودي » حسب تعبير الأندلسيين ، فالشعر يتناول كل تصوير تعبيري قائم على المحاكاة والتخييل .

ولكن هنالك مفهوماً للشعر أقلّ شمولاً ، لأنه يقتصر على ما عناه العرب انفسهم حين استعملوا لفظة « شعر » وعنوا بها « كلّ كلام يحضره الوزن والقافية ، ويقوم الرويّ بجناحه مقام الخافية » ، فكيف تكون أحكامنا على هذا اللون المحدد من الشعر ؟ هب أن متذوقا اراد ان يختار لابنه أو لبعض الناس عدداً من القصائد ، فما هي المعايير التي يعتمد عليها في الاختيار ؟ هنا يطالعنا لسان الدين بفهم دقيق لطبيعة الشعر الذي يحكمه الوزن والقافية ، فهناك شعر مغرق في الشعرية « وهو ما جنح الى التخييل والتشبيه ، وأحلّ الاستعارة بالمحلّ النبيه » وهناك شعر مستحسن مرضيّ قصد عن التشبث بالاستعارة والتخييل ، وإنما عدّته العرب شعراً لخصائص أخرى فيه تميزه ، ولا يجوز ان ننزع عنه اسم الشعر وان وقع في المنزلة الثانية . وتمييزاً لهذين النوعين أحدهما عن الآخر يسمّي لسان الدين النوع الأول باسم « السحر » ويسمي النوع الثاني باسم « الشعر » (وليته اختار لفظة أخرى ليبقى لفظة « شعر » شاملة للنوعين معاً) .

إن اختيار لفظة « السحر » عودة الى أصول بدائية في تصوير أثر الكلمة التي تستطيع أن تحدث تأثيراً بالغاً (أو تغييراً للواقع) ، ثم ارتبط ذلك مع الزمن بالتعبير عن الاعجاب الغامر الذي لا يهد له المتلقي

تطبيلاً إزاء نصٍّ من النصوص ، وعن الحيرة التي تتملك ذلك المتلقي وهو يحسّ بنشوة طاغية أثارها ذلك الاعجاب ، وفي مرحلة فنية متأخرة تقترن لفظة « السحر » بالكشف عن « الرائع » أو « الرفيع » أو « المعجز » في الآداب والفنون . ولعل الكثيرين يذكرون موقف الوليد بن المغيرة حين سمع آيات من القرآن الكريم لأول مرة ، فقد رفض أولاً ان يطلق على ما سمعه اسم « السحر » فلما لم يجد لفظة أخرى تؤدي ما يحسّ به قال : والله إن لقوله لحلاوة وان أصله لعذق (ويروى لغدق) وان فرعه لجناة . . وان أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو « سحر » .

وفي استعمال كلمة « السحر » كان لسان الدين يستلهم ايضا الموروث النقدي الأندلسي ، حسبما بلغ إليه من تطور في القرن السابع ، وخصوصا لدى ابن سعيد المغربي الذي رأى ان ما يستحق اسم الشعر أحد نوعين : وهما المرقص والمطرب . والأول يتمتع بالجدة والغرابة ، فلا يعتمد على محض التشبيه بل على « غريب التشبيه » أو غريب الصور ، ويبلغ من تأثيره في المتلقي ان يعبر عن اعجابه بالرقص . والثاني أقل تأثيراً من الأول ، فهو يبعث في النفس هزة ارتياح ونشوة طرب ، ولذلك فهو « مطرب » لكنه لا يخرج المتلقي الى حال الرقص ، والتفاوت بين النوعين هو التفاوت في درجة الغوص على التشبيه والتمثيل ، فأما ما يجيء بعد هذين النوعين فقد يكون في رأي ابن سعيد من المقبول أو المسموع او المتروك .

ولا يتركنا لسان الدين نتأوّل السبب الذي من أجله اختار مصطلح « السحر » للدلالة على تميز احد نوعي الشعر لديه بل هو يبسط ذلك شارحاً . فالسحر حين يسلط على شيء ما ينقل هيئته من حال إلى حال ، وكذلك الشعر ، فتحت تأثيره تتم تحوّلات ما كانت لتتحقق بدونه : فهو الذي يشجع ويدعو الى الاقدام ، ويسهّر وينوّم ، ويحبب السخاء الى النفس ، ويضحك حتى يلهي ، « وهذه قوى سحرية ومعان بالاضافة الى السحر حَرية ، فمن الواجب أن يسمّى الصنف من الشعر الذي يغلب النفوس ويستفزها ، ويثني الأعطاف ويهزها باسم السحر » ، ويرى لسان الدين ان قوة الشعر في التأثير وفي إحداث التحولات تزداد اذا اقترن بالألحان ، وهذا ليس نابعاً وحسب من شيوع التغني بالموشحات الأندلسية التي لم تكن تصلح إلا للغناء ، بل هو صادر عن تجربة أثر الغناء بعامة في تعميق تأثير الشعر في النفوس .

أذواق مختلفة :

هل هذا المعيار الذي وضعه لسان الدين قابل للتطبيق على المستوى النظري ؟ كل شيء قد يبدو سهلاً ، ولكن كيف يمكن للناقد أن يفرز ما هو سحر مما هو شعر ؟ لقد أحسَّ لسانِ الدين بصعوبة ذلك وعبّر عما أحسّه بنوع من الاعتذار حين ذكر أن الفرق بين هذين النمطين « كثير الدقة واللطافة » وأحال الأمر على قاعدة النسبية ، وأن ما يراه أحدٌ سحراً لا يجده الآخر كذلك ، وأضاف يقول : « ان أشخاص المحبوبات تقع بينها وبين النفوس التي تكلف بها وتتعلق بسببها علاقاتٌ لا تُدْرَكُ ، ومناسباتٌ يعجز وعي المدارك عنها فتترك ، وكثيراً ما عُشِقَ الغُفْلُ من الجمال لهذا السبب ، وأخلاقُ نفوس البشر مثار العجب » .

ولا يلبث لسان الدين ـ بعد هذا الاعتذار ـ من أن يأخذ نفسه بتطبيق المعيار الذي وضعه ، فهو يميز السحر من الشعر في سته من الفنون وهي المدح (والفخر لاحق به) والرثاء والنسيب والوصف (على تشعّب مذاهبه) والملح والحكم والجد . وسرعان ما أخذت الصعوبات تواجهه متلاحقة ، فقد شاء أن يفتتح باب المدح بمختارات في مدح الرسول ، وفتش وأطال التفتيش فلم يجد قصيدةً واحدة أو قطعة من قصيدة يمكن أن تُدْرَجَ تحت عنوان السحر ، فلما أعياه الأمر اضطر إلى البحث عن العلة ، فاهتدى إلى أنّ امتناع وجود « قسم السحر » في مدح الرسول إنما يعود إلى أن الشعر يعتمد المحاكاة والتخييل ، ووقار جناب الرسول ﷺ يبهر النفس ويمنع من استرسالها في ذلك ، ولذلك كان أقصى ما يستطيعه الشاعر في ذلك المجال أن يعتمد على نصاعة اللفظ وقصد الحق وقرب المعنى وايثار الجدّ . ولما انتقل الى باب الفخر لم يجرؤ على أن يقسمه في صنفين : سحر وشعر ، وترك تمييز ذلك للقارىء ، لأنه احس ـ بزعمه ـ أن السحر والشعر يتنازعان هذا الباب بحيث لا يأمن من يميز بينهما من خلط أحدهما بالآخر . □

شعر الإضحاك عند العرب

بقلم : د. توفيق الفيل*

قالوا عن الشعر إنه ديوان العرب ، سجل حياتهم . فهل عبر الشعراء عن جوانب انسانية غير ما عرفناه من الوقائع والحروب والغزل ونحوه ؟ وهل كان لهم نوع من الكوميديا التي تثير الضحك ، وتعبر عن الجوانب الاخرى في الانسان ؟ ذلك ما يتحدث عنه هذا المقال . .

اتخذ العرب من الشعر قالبا فنيا يعبرون من خلاله عن أفكارهم ومشاعرهم ، ويبثون في ضروبه وبحوره ما يريدون أن ينقلوه للناس . وقد شاع بين الناس أن الشعر ديوان العرب . وعلى الرغم مما نجده في الشعر العربي من تسجيل لوقائع أجدادنا وأيامهم ، وما نقرؤه من حديث عن معاركهم وانتصاراتهم ، تبقى لدينا قناعة بأن الشعراء لم يكونوا [illegible] . لأن الشاعر اذا كان الشعر [illegible] بالغ [illegible] فعلوا ، فحسب انيهم مالم يقوموا به من أمور . واذا لحقت بهم الهزيمة عمل على التماس الأسباب التي يرجع اليها ذلك ، وجهد في دفع ما قد يظن بأن ذلك حدث عن تراخ من قومه ، أو عن وهن في نفوسهم . وأيا كان الرأي الذي نراه او يراه غيرنا من الباحثين ، فقد خلف اسلافنا تراثا غنيا عبروا فيه عن كل نواحي الحياة . . ما كان موجودا منها ، وما تاقت نفوسهم لوجوده . يكاد من يقرأ هذا التراث [illegible] الانسان في قوته وضعفه ، في صحوه وسكره . في [illegible]

(*) استاذ البلاغة والنقد الادبي المساعد ـ كلية الاداب ـ الكويت ـ دكتوراة عن القيم الفنية المستجدة في الشعر العباسي ـ له عدة بحوث منشورة في الادب والنقد .

في جده وهزله .. ولعل الجانب الأخير هو ما يعنينا في هذه الدراسة ـ ذلك لأن مظاهر الحياة والنفس حظيت بكثير من الدراسات ، والتي عليها الباحثون العديد من الأضواء .. لكن الجانب الهزلي من حياة العربي لم يأخذ ما يستحق من الدراسة ، على الرغم من كثرة النتاج الادبي الذي خلفه القدماء في هذا الجانب .

وعلى الرغم من أن ما خلفه العرب يجعلنا نقف على الشخصية السوية عندهم . فليس صحيحا أن العربي القديم عاش حياته كلها بين طعن القنا وخفق البنود ... واذا كان العرب لم يعرفوا « الملهاة » كما كانت عند شعراء اليونان من أمثال : اسخيلوس وغيره ممن وضعوا اصول هذا الفن . ليعالجوا من خلاله القضايا عن طريق الاضحاك . فان العرب قد عرفوا لونا من ألوان الشعر يهدهدون به النفوس ، ويثيرون به الضحك .. ولعل أول ما نصادف في هذا المجال .. ذلك الهجاء الذي لا ينحو فيه الشاعر منحى هجاء الحطيئة في الجاهلية وصدر الاسلام ، أو منحى شعراء النقائض الذين كانوا يجعلون شعرهم الى السباب والقذف اقرب منه الى الفن بما يرمي اليه من تهذيب النفوس ، وتأديبها وتنقيتها من العيوب التي علقت بها .

واذا كان الجاحظ قد اثار سخريتنا ، وضحكنا من أنماط البخلاء التي قدمها في كتابه الجليل ، والتي كشف عن طريقها كثيرا من المرض النفسي لدى بعض الناس ممن سيطر المال عليهم ، وحولهم الى عبيد له ، اذا كان الجاحظ قد فعل شيئا من ذلك .. فقد أدلى الشعراء بدلوهم في هذا المجال : فهذا شاعر يصف بخل صديق له نزل عليه ـ على الرغم منه ـ فأخذ يسأله عن السبب الذي رمى به اليه . وحاول الشاعر أن يلتمس فضيلة للسفر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . لكن المضيف تمم له الحديث بما يفيد أنه لن يقدم له شيئا من الطعام . يقول عبدالمحسن الصوري .

وأخ مسه نزولي بقرح
مثل ما مسني من الجوع قرح
قيل لي انه جواد
والفتى يعتريه بخل وشح
بت ضيفا له كما حكم الدهر
وفي حكمه على الحر قبح
قال لي اذ نزلت وهو من السكـ
ـرة والهم طافح ليس يصحو ..
لم تغربت ؟ قلت : قال رسول
الله والقول منه فصح ونجح
« سافروا تغنموا » فقال وقد قا
ل تمام الحديث « صوموا تصحوا » .

ولعل ما يعنينا فيما نحن بصدده ، ذلك التلطف في التعبير عن الشح الذي وقر في نفس هذا الرجل ، والحرص الشديد الذي دفعه الى عدم تقديم شيء يسد به هذا الصديق رمقه .. كما تجدر الاشارة الى هذا النوع من التضمين الذي يلجأ اليه الضيف ، في اظهار جوعه ورغبته في القرى ، والايماء الى الصديق بذلك . ويلجأ اليه المضيف في ادخال اليأس في قلب الرجل ، والاشارة الى انه لن يقدم اليه شيئا .

أما ابو نصر « كشاجم » فيقدم لنا نموذجا آخر من نماذج البخل ، وهو ذلك الصديق الذي دعاه فكان منه أنه لبى هذه الدعوة . وذهب اليه . وقدم الرجل الطعام لكنه كان في هذا يجاهد نفسه ، ويحملها على غير ما جبلت له ، واستقر في أعماقها من الشح الى الحد الذي جعله يرى في كل لقمة يتناولها الضيف قطعة من جسمه يأكلها ، ولهذا يمتلىء بالغيظ ، ويسب عبده .

لقد كان أبو نصر جائعا ، وهو مضطر الى أن يأكل ـ ولم يجد أمامه غير أن يختلس الطعام اختلاسا ويتغافل مضيفه متنبها لذلك ، وكان يحسن الرقابة ، فينظر الى الشاعر بغيظ ، ولا يجد صاحبنا حيلة سوى أن يعبث بالبقل ، ويصطنع اللعب . ولا شك أننا لا نريد أن نفسد على القارىء متعته من جمال التصوير ، وحسن التعبير والتلطف فيه ، وخصوصا حين يصور الشاعر هواجس النفس ورغباتها ، ولذا نحيله على هذه المقطوعة التي انشأها ابو نصر كشاجم والتي يقول فيها .

صديق لنا من أبرع الناس في البخل
وأفضلهم فيه ، وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه
فجئت كما يأتي لمثله مثلي

فلما جلسنا للطعام رأيته
يرى انه من بعض اعضائه أكلي
ويغتاظ أحيانا ، ويشتم عبده
واعلم ان الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستل الطعام مخافة
والحاظ عينيه رقيب على فعلي
أمد يدي سرا لأسرق لقمة
فيلحظني شذرا فاعبث بالبقل
الى أن جنت كفي لحيني جناية
وذلك ان الجوع اعمى عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجة
فجرت - كما جرت يدي - رجلها رجلي
وقدم من بعد الطعام حلاوة
فلم استطع فيها أمر ولا احلي
وقمت لو اني كنت بيت نية
ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

ويلفت النظر ما يقوم به كل من الرجلين من حركات تثير الضحك ، فالضيف يغافل ليسرق والمضيف ينظر شذرا ، ويحكم الرقابة ، ويرتد الضيف عما كان عزم عليه من سرقة اللقمة لكن الجوع يدفعه لحينه ، ويجر رجل الدجاجة ، واذا بالمضيف يجر رجله ، ويحول بينه وبين ما يريد ، ويصنع الضيف والمضيف مواقف وحركات كوميدية تثير الضحك ، وتصور خلجات النفس . ولون آخر من الوان الاضحاك يلجأ اليه ابو دلامة ، ويتوجه به الى الخليفة لينال عطاءه ، أو بالاحرى ليخدع به الخليفة ، وهو يتخذ السخرية من نفسه وزوجه وعياله ليثير ضحك الخليفة . يقول .

إن الخليط أجد البين فانتجعوا
وزودوك جنا لا يشس ماصنعوا
والله يعلم ان كانت لبينهم
يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتي يوما وامهم
ام الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة
هبت تلوم عيالي بعدما هجعوا
ونحن مشتبهو الالوان أوجهنا
سود قباح وفي اسمائنا شنع

اذا تشكت الى الجوع قلت لها
ما هاج جوعك الا الري والشبع
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى
لك الخلافة في أسبابها الرفع
مازلت اخلسها كسبي فتأكله
دوني ودون عيالي ثم تضطجع
شوهاء مشنأة في بطنها بجل
وفي المفاصل من أوصالها قدع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا
ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة
أأنت تتلو كتاب الله يالكع
اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة
كما لجيراننا مال ومزدرع
واخدع خليفتنا عنها بمسألة
إن الخليفة للسؤال ينخدع

ولنقف قليلا نتمعن النظر في هذه المرأة القبيحة التي صورها زوجها عظيمة البطن مسترخية ، معوجة العظام والمفاصل ، مشوهة الخلقة منفرة ، تأكل ما يأتي به زوجها من الطعام ولا تترك له ولا لعياله شيئا منه ، ثم تضطجع بعد أن تفرغ منه . وهي لا تكتفي بذلك بل تغضب حين يراجعها الزوج فيما بدر منها من تصرفات وترفع أنفها في استكبار ، وتتوجه اليه بالحديث محقرة له ، متهمة اياه بما لا تتهم به الكريمة زوجها .

واذا كان لنا أن نقف عند تعبير أبي دلامة ، وما يسهم به من رسم هذه الصورة العجيبة لأسرته ، تلك الاسرة التي تتشابه في قبح الوجوه ، وبشاعة الأسماء ، ثم تتفرد فيها الام بما سلفت الاشارة اليه من الاوصاف ، وينفرد الاب بالمهانة والهوان على امرأته بل نفسه ، وجدنا تلك الحركة المضحكة التي اصطنعتها (ام الدلامة) حين الرد على زوجها (واخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة) ولا شك أن هذه الحركة قد زادت من قبح أم الدلامة ، وانتزع الشاعر بذلك الضحكات من القلوب . ثم نجد من الالفاظ (شوهاء مشنأة) وغيرها من الالفاظ التي جلبها الشاعر من أجل تجسيد صورة القبيح عند زوجه .

ويقال إن أبا دلامه حمل احدى بناته فبالت عليه ، فقال :

بالت علي - لا حييت - ثوبي
فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم ام عيسى
ولا رباك لقمان الحكيم

ثم قال لأحد جلسائه أجز فقال :

صدقت ابا دلامة لم تلدها
مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها ام سوء
الى لبانها وأب لئيم

ولا يسلم ابو دلامة من نفسه ، بل يسخر منها ليثير الضحك ، ويتخلص من مأزق وجد نفسه فيه ، وذلك انه دخل على المهدي - فيما يروي أبو الفرج الاصفهاني - وعنده اسماعيل بن محمد ، وعيسى بن موسى ، والعباس بن محمد ، ومحمد بن ابراهيم الامام وجماعة من بني هاشم . فقال له المهدي ، انا اعطي الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لاقطعن لسانك - او قال : لاضربن عنقك - فنظر اليه القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ، فلم ير مفرا من هجاء نفسه ، فقال :

الا أبلغ اليك ابا دلامة
فليس من الكرام ولا كرامة
اذا لبس العمامة كان قردا
وخنزيرا اذا نزع العمامة
جمعت دمامة ، وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
فان تك قد اصبت نعيم دنيا
فلا تفرح فقد دنت القيامة

يقول أبو الفرج : « لقد ضحك القوم عند سماع هذه الابيات ، ولم يبق منهم احد إلا أجاز ابا دلامة » .

لقد كان ابو دلامة يمتاز بخفة الروح ، وحسن المنادمة ، وكان بتطفله ينتزع الضحكات ، وهو ينتهز اي فرصة تواتيه ليوظفها في هذا السبيل . فمما يروى عنه أن المهدي خرج يوما للصيد ومعه علي بن سليمان ، فسنح لهما قطيع من الظباء ، فأرسلت الكلاب ، واجريت الخيل ، ورمى الخليفة المهدي ظبيا فصرعه ، ورمى سليمان بن علي فأصاب أحد الكلاب فقتله ، فقال ابو دلامة :

قد رمى المهدي ظبيا
شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان
رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل
امرىء يأكل زاده

ولم يكن أبو دلامة علما مفردا على الاضحاك في شعرنا العربي القديم ، فنحن نجد من الشعراء من يقف أغلب شعره على الهزل والسخرية ، ويبتعد به عن أي مظهر من مظاهر الجد ، ويرى انه بذلك يجبر نقصا في الحياة ، ويصور جانبا من جوانبها ، فالحياة ليست جدا خالصا ، بل هي مزيج من الجد والهزل .

ويصور ذلك قول الشاعر :

وللجد مني ساعة لا أضيعها
وللهزل مني والخلاعة جانب

ولا يقلل مثل هذا الشعر من قيمة هذه الأمة ، بل على العكس من ذلك يكشف عن سلامتها النفسية ، ويظهر وجهها الحضاري والانساني ، ويبين المدى الذي وصلت اليه من التفتح والسماحة .

ولعلنا نجد في مثل الحسين بن الحجاج نموذجا للشاعر الذي يتخذ من الهزل والسخرية شعارا له . ويرى أن شعره في السخف والهزل ضرورة تكتمل بها الحياة الفنية . يقول :

وشعري سخفه لابد منه
فقد طبنا وزال الاحتشام
وهل دار تكون بلا كنيف
فيمكن عاقلا فيها المقام

ويقول . . .

تراني ساكنا حانوت عطر
فان انشدت ثار لك الكنيف

وعلى الرغم من سقوط ألفاظ ابن الحجاج ، وسخفه في شعره نجد من النقاد من يضعه في مرتبته بين الشعراء . بل يمتدحه على نحو ما نجد عند الثعالبي الذي يقول عن ابن الحجاج ، ومناظره في خروجه « ابن سكرة الهاشمي » : ان زمانا جاد بابن سكرة ، وابن الحجاج لسخي جدا ، وما اشبههما الا بجرير والفرزدق .

واذا كان ابن الحجاج قد سخر من تقاليد الفن الشعري ، ولم يعن بسمو الغرض أو جزالة الالفاظ ، او شرف المعنى ، وحوّل الشعر الى مادة للاضحاك والسخرية ، اذا كان هذا اسلوب ابن الحجاج فان ابن سكرة الهاشمي قد وجه جانبا من شعره للسخرية من قينة سوداء يقال لها « خمرة » وقد جعل منها ابن سكرة هدفا لملحه وطرائفه ، وعبث بها وضحك عليها في مثل قوله :

غشت خيرة يوم العرس حاجبها
بريقها وأتتني وهي مختضبة
فقلت للزوج لا تعررك حمرتها
فانها القفل موضوع على خربة

كما يقول فيها :

حسبي سواك وبثي من وصالك لي
شغلت عنك بمن اهواه فاشتغلي
لا تعذليني على ماكان من ملل
من ذا يراك فلا يصبو الى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحون معا
وصرت مفرغة الالحاظ والمقل
ان كنت أبصرت أشنا منك في بصري
فلا بلغت الذي أهواه من أملي

فهو يجسد ما كانت عليه هذه القينة من القبح ، أو بعبارة اخرى هو يرسم لها صورة قبيحة تنفر منها النفس . ففي ليلة عرسها لا ينسى أن يكشف عن الدمامة التي حاولت ان تخفيها بالخضاب ، والتي نصح الزوج بعدم النظر اليها لانها لا تنم عن حقيقة هذه القينة التي تشبه « الخربة » . كما نجده يعود اليها فيبين كم هي مملة ، ولا يجدها انسان او ينظر اليها دون ان تمتلىء نفسه بالملل . . فقد اصبحت هرمة ، لا تعرف من اللحون شيئا ، وغارت عيناها ولم يعد شيء اشنأ منها . ويلفت النظر تعبيره عن دماماتها ، وكما سخر ابن سكرة من خمرة ، واتخذ منها مادة لبث طرائفه فعل بغيرها . فهو يضحكنا من احد الشعراء فيجهد في رسم صورة قبيحة له ، ومضحكة في نفس الوقت ، فلهذا الشاعر قرنان وذنب ، وروائحه كريهة تجعل من يستمع الى حديثه يلجأ الى ثيابه فيسد أنفه بها ، وأخادعه تمط كما تمط ارنب عكفت عليها العقبان . يقول :

كل العجائب قد سمعت، ولا أرى
أني سمعت لشاعر قرنان
قرن يحك به السماء، ومثله
ذنب يزور الحوت في الأزمان
واذا تحدث أحدثت لهواته
فترى الانوف تلوذ بالأردان
وترى أخادعه تمط كأرنب
عكفت عليه مناسر العقبان

ولون آخر من ألوان السخرية والاضحاك نجده عند « أبي الشمقمق » فهذا الشاعر يتخذ من الفقر موضوعا يثير الضحك . انه يحول مأساته الى كوميديا ، وذلك من خلال المبالغة وخفة الروح اللتين يصور بهما هذه المأساة .

حقيقة تشف عبارة ابي الشمقمق عن الالم ، وتنم عن الحزن ، لكنها تمتلىء بالسخرية المرة . يقول مصورا الفضاء الذي يعيش فيه :

برزت من المنازل والقباب
فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء، وسقف بيتي
سماء الله أو قطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيتي
علي مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب
يكون من السحاب الى التراب

ومن الواضح أن بيت أبي الشمقمق كان ذلك الفضاء ، أي أنه لا بيت له يؤويه ، على الرغم من شاعريته ، وعلى الرغم مما يراه من سيادة من لا يستحق السيادة . والذي يقول عن مثله :

وراكب فوق طِرْفٍ
كأنه فوق طَرْفي
له قذال عريض
يجل عن كل وصف
يذوب شوقا اليه
نعلي ، وخُفي وكفي

وسيادة من لا يستحق السيادة ، وخمول أهل النباهة والعقل كانت من أبواب الفن التي وجد فيها الشعراء فرصة للتصوير والاضحاك . فهذا الذي يركب طرفا وهو لا يستحق الركوب لم يسلم من

سخرية أبي الشمقمق ، وانتهى به الأمر الى أنه غبي . هكذا تنبىء الكناية في قول الشاعر « له قذال عريض » وهو يستحق الصفع بالنعل والخف والكف . على أية حال كان الشعراء يرفضون أن يسود أمثال هذا الغبي الجاهل ، أو أن يظهر مثله في ثياب أهل الفضل والسيادة . وهم قد تصدوا لكل من كان هذا شأنه ، ومزقوا الاستار عن زيفه وجهله . وابو اسحاق الصابي يتحدث لنا عن واحد من هذه الفئة يلبس عمامة مروية ، على الرغم من أنه يحمل رأسا فارغا . يقول :

يامن تعمم فوق رأس فارغ
بعمامة مروية بيضاء
حسنت وقُبِّح كل شيء تحتها
فكأنها نور على ظلماء
لما بدا فيها أطلت تعجبي
من شر شيء في أجل اناء
لو انني مُكِّنتُ مما اشتهي
وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها
في رأس حر من ذوي العلياء

أما الشاعر : « عبدان الاصفهاني » فيجد ابن احد الحلاجين قد سما به دهره ، وارتفع به زمانه ، واصبحت تمد له المطايا ، ولم يعد القطن المندوف يعلق بوجهه وعينيه ، كما لم يعد صوت المحلاج هو ما يقطع عليه صمته ، فيتعجب من تلك الحال ، ويجسد القضية في قوله : إن ارتفاع مثل هذا الوضيع انما هو دليل على اتضاع آخر عالي الهمة ، نابه العقل ، يقول :

أقول وقد قالوا ابن مسلمة غدا
على مركب لا من حمير أبيه
ولا الصوت « محلاج » ولا السرج لوحة
ولا حبُّ قطن كالشعير بفيه
مقال الوليد البحتري فانه
قد انبأنا عن مثله وذويه
(متى أرت الدنيا نباهة خامل
فلا ترتقب الا خمول نبيه)

واذا كان هذا الشاعر يعتمد مقالة الوليد البحتري ، ويجعل ارتفاع من لا يستحق الرفعة يقتضي ان ينحط الرفيع عن درجته ، فاننا نجد شاعرا آخر يرى في مثل هذه الحالة انتكاسا للزمان . حتى ليصبح وكأنه يمشي على رأسه ، ويرفع رجليه الى الأعلى . .

لقد أصبح السفل في الأعلى واصبح الأعلون في السفل . يقول الشاعر :

أرى زمنا نوكه أسعد أهله
ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه ، والرأس تحته
فكبّ الأعالي بارتفاع الاسافل

ولقد كان الشعراء على صواب في بعض ما ذهبوا اليه من سخرية ، وما نحسه من المرارة في أفواههم ، فقد وجدوا في زمان وصل فيه الى سدة الحكم من قعدت به همته ، ولم تؤهله قدراته لغير التافه من الامور . . لقد اشغلوا بالصغائر ، فجعلوا من أنفسهم هدفا لسخرية الشعراء على نحو ما نجد في قول ابي الطيب الطاهري ، في أحد الحكام الذي شغل عن مصالح الناس بصيد البط :

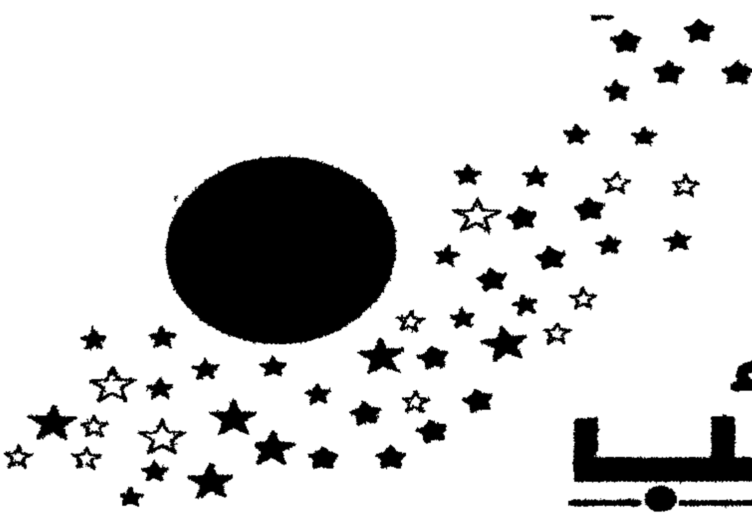
طال غزو الامير للبط حتى
ماله من عاداته اقفال
فهنيئا له . . هنيئا مريئا
كل قرن لقرنه قتال

ويدل هذا الشعر بما يشتمل عليه من التضمين على اتساع ثقافة هؤلاء الشعراء واستحضارهم لشعر سابقيهم ، واسقاط هذا الشعر في الموضع الذي يلائمه ، والذي يتفق مع الغاية منه .

وأخيرا يدل هذا الشعر على عمق في الخيال ، وحسن التلطف في ايراد المعنى . □

●

عرف المسلمون مهنة التمريض وان فيها الكثير من الثواب والتقرب الى الله ، وقد سموا الممرضات بالأواسي والآسيات ، وذهبوا في ذلك كثيرا حتى أن الامام احمد بن حنبل قال : بانه يجوز للمرأة أن تخدم الرجل المريض وأن ترى منه عورته .



عجائب الكون الثلاث

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل الحسن

إن الكون المترامي الأطراف الذي نعيش في جزء صغير جدا منه مليء بالنجوم والكواكب المنتشرة في هذا الفراغ الهائل ، فمجرتنا « طريق التبانة » وحدها تحتوي على ما يقرب من (٢٥٠) الف مليون نجم ، واتساعها يقدر بحوالي مائة الف سنة ضوئية فكيف ينتظم هذا الكون وما هو السر في ذلك ؟

هنالك عدد كبير جدا من المجرات المنتشرة في هذا الفضاء الهائل ، والتي قد يصل عددها الى (عشرة آلاف مليون مجرة) وبالتالي فانه يتعذر معرفة عدد النجوم والكواكب الموجودة في هذا الكون .

يمر كل واحد من هذه النجوم في مراحل مختلفة من التطور ، فيبدأ النجم بالتكون من سحب من الغبار تتكون أساسا من غازي الهيدروجين والهيليوم ، وهما أبسط الغازات المعروفة ، ويكون النجم في مرحلة التكون هذه باردا نسبيا وكثافته صغيرة جدا ، وتبدأ طاقة النجم الحرارية بالزيادة بتعاقب ومرور ملايين السنين ، وتبدأ أيضا داخل النجم تفاعلات نووية تزيد من درجة حرارته ، ويتحول الى نجم متوسط الكثافة والحرارة والسطوع ، وتعتبر هذه المرحلة في حياة النجم مرحلة متوسطة أو مرحلة الشباب والنضوج ان صح التعبير ، وتمر شمسنا في الوقت الحاضر في هذه المرحلة من التطور ، التي تستمر لعشرات الملايين من السنين ، وتستمر خلال هذه الفترة التفاعلات النووية ، التي تؤدي لانتاج ضغط حراري هائل داخل النجم ، وتؤدي كذلك لنقصان في كتلة النجم ، وتتحول الكتلة المفقودة لطاقة تنتشر في الكون . ان الطاقة الحرارية التي تصلنا من الشمس وتبعث الدفء في أرضنا تنتج من جراء ما تفقد الشمس من كتلتها ، اذ أنها تفقد ما يقرب من اربعة ملايين طن من كتلتها في كل ثانية ، وتتحول

هذه الكتلة المفقودة الى طاقة تنتشر في الكون ، ولا يصل الى كوكبنا الا جزء صغير جدا منها .

تفاحة نيوتن والجاذبية

ان قوة الجذب بين الأجسام المختلفة معروفة منذ القدم ، ولقد اسقطت هذه القوة تفاحة نيوتن الشهيرة ، وتعتبر هذه القوة أصغر وأضعف القوى الأربع المعروفة في الطبيعة ، ولا يكون تأثيرها محسوسا الا اذا كانت كتل الاجسام ضخمة كما هو الحال في النجوم والكواكب ، ولكن لا تؤثر هذه القوة على النجم عندما يكون في مرحلة الشباب ، لان الضغط الحراري الهائل والناتج عن احتراق وقوده النووي يعادل قوة السحب نحو الداخل ، ويبقى النجم في حالة اتزان خلال هذه المرحلة .

ومع مرور السنين يستنفد النجم وقوده النووي ، وتخمد بالتالي حدة التفاعلات النووية بداخله ، ولا يستطيع توليد الضغط الحراري الهائل واللازم لتوازن قوة الجذب او السحب نحو الداخل ، ويخضع النجم في هذه المرحلة التي تعرف بمرحلة النهاية والفناء الى قوة سحب نحو المركز ، تؤدي لانهيار وانكماش النجم على نفسه ، فيصغر حجمه وتزداد كثافته وتزداد أيضا سرعة التحرر ، أو سرعة الانفلات من مجاله الجذبي ، وتعرف هذه السرعة بأنها أقل سرعة لازمة لانطلاق جسم من على سطح النجم ، لكي يغادر المجال الجذبي للنجم نهائيا ولا يعود اليه .

ويعتمد المدى الذي ينكمش اليه النجم في مرحلة النهاية على كتلته ، وهنالك ثلاث حالات مختلفة :

الحالة الاولى : اذا كانت كتلة النجم تساوي كتلة الشمس أو تزيد عنها قليلا (يجب أن لا تزيد كتلة النجم عن سبعة أخماس كتلة الشمس) فان انكماش النجم على نفسه يؤدي لزيادة الكثافة بشكل كبير ، وانتاج ضغط داخلي في النجم ، وهذا الضغط ليس له علاقة بدرجة الحرارة ، ولكنه ينتج بفعل وجود الالكترونات الذرية ، يتعادل هذا الضغط اللاحراري عند مرحلة معينة من الانكماش مع قوة الجذب الداخلي ، ويصل النجم لحالة من الاستقرار بعد أن يكون قد صغر حجمه كثيرا جدا ، يسمى هذا النوع من النجوم بقزم أبيض وتكون كثافته كبيرة جدا ، وقد تصل الى مليون مرة أكبر من كثافة الماء ، ان هذا يعني أن ما يملأ علبة ثقاب عادية من مادة هذا النجم قد تصل كتلته لأكثر من ٢٥ طناً ، ويتوقع علماء الفلك وجود مئات الآلاف من هذه النجوم ، ولقد اكتشف منها بضع مئات حتى الآن .

الحالة الثانية : اذا كانت كتلة النجم أكبر من الحالة السابقة أي حوالى ضعف أو ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، ولكنها لا تزيد عن ذلك ، فان قوة الجذب التي تسبب الانكماش تكون اكبر كثيرا من الحالة السابقة ،ولا يستطيع الضغط الاليكتروني معادلتها أو ايقافها ، بل تحطم هذه القوة التركيب الاليكتروني للذرات ، ويتصور بعض العلماء أن هذه القوة تدمج الألكترونات الذرية مع البروتونات النووية ، وتحولهما معا الى نيوترونات ، وتصبح مادة النجم عبارة عن نيوترونات متراصة بعضها بجانب البعض ، ويترن النجم بعد أن تصبح كثافته عالية جدا ، وتساوي كثافة نواة الذرة ، ان كثافة مثل هذه النجوم اكبر بمائة بليون (مليون مليون) مرة من كثافة الماء ، والمذهل أن كتلة ما يملأ صندوقاً أو علبة الثقاب العادي من مادة النجم النيوتروني قد تصل الى (الفين وخمسمائة مليون طن) ، ولقد اكتشف حتى الآن ما يزيد عن ٣٠٠ نجم نيوتروني ، وتبين أن هذه النجوم ترسل نبضات قصيرة السعة ، وتختلف من نجم لآخر ، ولكنها غاية في الدقة ، وتصل دقتها الى واحد من مليون من الثانية ، ولذلك تعتبر كساعات كونية ، والسبب الحقيقي لهذه النبضات غير معروف ، ولكن يعتقد أنها تنتج بسبب الكثافة العالية والدوران السريع لهذه النجوم . ولقد اكتشف أول نجم نيوتروني عام ١٩٦٧ .

الثقوب السوداء

الحالة الثالثة : اذا كانت كتلة النجم تزيد عن ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، فان قوة الجذب نحو الداخل (عندما يفقد النجم وقوده النووي) هائلة ، ولا يمكن ايقافها ، وينكمش النجم الى حجم صغير جدا بالنسبة لحجمه الأصلي ، ولدرجة أن سرعة الانفلات أو التحرر من مجاله الجذبي (والتي تزيد مع نقصان نصف القطر) تصبح أكبر من سرعة الضوء ،

والتي تساوي ٣٠٠ الف كيلو متر / ثانية ونعتبر الحد الاقصى للسرعات ، ان هذا يعني أن الضوء لا يستطيع أن ينطلق أو يتحرر من هذا النجم بل يُحجز بداخله ، وهو نتيجة لذلك لا يمكن أن يُرى ، لأننا نرى الأجسام من خلال الأشعة التي تُصدرها ، او تنعكس أو تتشتت عنها ، فهو لذلك أسود ، ولا يمكن أن يُرى ، ويطلق على هذا النوع من النجوم اسم ثقب أو حفرة سوداء black hole، وسبب التسمية واضح ، اذ ان هذا النجم لم يعد جزءا من الكون ، بل اختفى أو انتهى ، وترك مكانه حفرة أو فجوة ، وهو اسود لأن الضوء لا يمكن أن يغادره وهو بالتالي لا يرى .

اذا تحول نجم كتلته عَشْرة أضعاف كتلة الشمس الى حفرة سوداء فان هذا النجم يصبح عبارة عن كرة ذات كثافة عالية جدا وغير مرئية ، ويقل نصف قطرها قليلاً عن ثلاثين كيلومترا ، علما بان نصف قطر الشمس يقرب من حوالي ٧٠٠ الف كيلومتر ، وهذا قد يوضح لنا المدى الذي تنضغط اليه المادة في الحفرة السوداء ، وللتوضيح أكثر نأخذ الكرة الأرضية كمثال علما بانها لا يمكن أن تتحول ـ من ناحية نظرية على الأقل ـ الى حفرة سوداء ، وذلك لأن كتلتها أصغر من كتلة الشمس ، ولكن اذا تخيلنا أنها تحولت الى حفرة سوداء (مثلا بفعل ضغط خارجي كبير جدا يؤثر على سطحها الخارجي) فان هذا الكوكب الضخم بما عليه من جبال وبحار ومدن وغير ذلك يتحول الى كرة صغيرة وأصغر من كرة تنس الطاولة (كرة البنج بونج) ، قد يبدو هذا الكلام ضرباً من الخيال ، وليس من العلم في شيء ، لأن العقل لا يستطيع أن يتصوره ، وهذا ما عناه البعض عندما قالوا إن الحفر السوداء تحول العلم الى خيال .

لا أحد يعرف شيئا عن تركيب المادة داخل الحفرة والفجوة السوداء ، لأن ما يدخلها مفقود ولا يمكن أن يعود اطلاقا ، ولكن نتيجة لانضغاط المادة بصورة كبيرة جدا ، وارتفاع الكثافة بصورة غير مألوفة ، فان تركيب المادة في هذا النجم الغريب يختلف بالتأكيد عن تركيب المادة المعروفة ، ويُعتقد أن الأشياء تفقد ماهيتها وأصلها في داخل الحفرة السوداء ، ولا يمكن التمييز والتفريق بينها ، وتصبح جميعا بعد دخولها سطح الأفق وكأنها شيء واحد لا فرق بين شجرة وكرسي وحيوان و . . . .

هل هي موجودة حقاً ؟

والسؤال الذي لا شك أنه يتبادر الى الذهن الآن هو : هل هذه النجوم الغريبة موجودة فعلا ؟ وكيف يمكن الكشف عنها والتعرف عليها اذا كانت لا ترى ولا يمكن أن يغادرها شيء ؟ إن الكشف عن الحفر السوداء ـ من الناحية النظرية ـ سهل وذلك من خلال مجالها الجذبي الكبير الذي يؤثر على جميع الأجسام المحيطة بها ، ولكن ذلك صعب من الناحية العلمية ، وخصوصا اذا كانت الفجوة السوداء عبارة عن نجم مفرد ، ويعود ذلك لبعدها الشاسع عن مجموعتنا الشمسية ، حيث يتوقع علماء الفلك أن تكون الفجوات السوداء ـ ان كانت حقيقة ـ على بعد ملايين السنين الضوئية من مجموعتنا الشمسية ، أما اذا كانت الحفرة السوداء جزءاً من نجم مزدوج Double star ، وهذا ما يتوقعه علماء الفلك ، فان الكشف عنها يصبح ممكنا ، وذلك بدراسة طيف النجم المرئي في أوقات مختلفة ، وباجراء بعض القياسات الفيزيائية التي يمكن من خلالها استنتاج كثير من صفات النجم ، مثل درجة الحرارة والتركيب والكتلة ونصف القطر وغير ذلك ، ويمكن معرفة ما اذا كان هنالك جزء غير مرئي تابع للنجم ، أي حفرة سوداء أم لا .

والاحتمال الآخر ـ اذا كانت الحفرة السوداء جزءاً من نجم مزدوج ـ أن يؤثر المجال الجذبي الكبير للحفرة السوداء بقوة هائلة على الغاز الذي يتكون منه الجزء الثاني من النجم ، ويجذبه نحو الحفرة السوداء ، وعند وصوله اليها ترتفع درجة حرارته بشكل كبير ، وتصدر منه أشعة سينية X—Ray ، ومن أشهر النجوم التي يُعتقد انها حفرة سوداء مجموعة نجوم تُدعى كوكبة الدجاجة ١ ـ Cygnus حيث قرر الباحثون أن احتمال كونها حُفرة سوداء هو ٩٠٪ ، ولكن الدليل غير قاطع على أنها كذلك .

وتبقى الحفر السوداء أغرب ما انتجته النظريات العلمية على الاطلاق ، ويتسابق علماء الفلك في مختلف أنحاء العالم لاثبات وجودها بصورة علمية وقاطعة ، ولكن بدون نتيجة حتى الآن . □



ولادة

قصة : انابيس نن

ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

ولدت انابيس نن في باريس سنة ١٩٠٣ ، وهي من أصل اسباني وقد أمضت طفولتها في أقطار اوروبية متعددة ، وفي الحادية عشرة من عمرها غادرت باريس لتعيش في الولايات المتحدة ، وبدأت تكتب بالانكليزية وهي في السادسة عشرة ، نشر كتابها الاول في الثلاثينيات . وتحظى كتبها الان بشعبية كبيرة سواء بين الطليعة أو الجمهور العريض . وقد ترجمت أعمالها الى ٢٦ لغة ، والكتاب الذي ترجم لها الى العربية هو « رواية المستقبل » الذي صدر عن وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٨٣ ومن أشهر أعمالها « اليوميات » وعدد من الروايات منها « القلب ذو الحجرات الاربع »و « اولاد القطرس » و « عيش في منزل الحب » و « الملصقات » .

وخلال سنواتها الاخيرة حاضرت في فترات متقطعة في جامعات الولايات المتحدة ، وفي ١٩٧٣ نالت الدكتوراة الفخرية من كلية فيلادلفيا للفن ، وفي ١٩٧٤ انتخبت عضوا في الجمعية الوطنية للفنون والآداب . وتوفيت سنة ١٩٧٧ . □□

قال الدكتور « الطفل ميت » .

انا ممدّدة على منضدة ليس لدى مكان اريح عليه ساقيّ ، على أن ابقيهما مرفوعتين،انحنت فوقي ممرضتان ـ وأمامي جلس الدكتور الذي له وجه امرأة وعينان ناتئتان بالغضب والخوف . ظللت ساعتين أبذل جهودا عنيفة ـ وكان للطفل في داخلي ستة أشهر من العمر ، ورغم ذلك فهو كبير جدا بالنسبة الى . كنت منهكة ، وعروقي تنتفخ في توتر ، جاهدت بكل كياني ، جاهدت كأنني اردت ان يخرج هذا الطفل من جسدي وينطلق في عالم آخر .

« اضغطي ، اضغطي بكل قوتك » .

أكنت اضغط بكل قوتي ؟ كل قوتي ؟

لا ، فجانب مني لم يشأ أن يضغط على الطفل ليخرج ، وعرف الدكتور ذلك ، وهذا هو سبب



غضبه الغامض . « كان يعرف » جانب مني متمدد بسلبية ، لايود أن يقذف أي شيء ولاحتى هذا الجزء الميت مني ، ليخرج الى البرد ، ليخرج مني كل ما اختار أن يحتفظ ، ويهدهد ، ويعانق ، ويحب ، كل ماحل فيّ ، وثابر ، وحمى ، كل ماأسر في العالم كله بحنانه المتقد ، هذا الجانب مني لايريد أن يدفع الطفل الى الخارج ، ولو مات في داخلي . ولو هدد حياتي لما استطعت أن أقطعه ، انزعه ، أنفصل عنه ، أتنازل عنه ، أنفتح وأتوسع وأتخلى عن هذا الجزء من الحياة الذي هو جزء من الماضي ، وهذا الجانب مني تمرد على طرح الطفل ، او اي شيء ، لئلا يخرج الى البرد ، فتلتقطه أيد غريبة ، ويدفن في أمكنة غريبة ، ويضيع ، ويضيع ، ويضيع .. وعرف الدكتور ذلك . كان قبل بضع ساعات يهتم بي ويخدمني ، وهو الآن غاضب ، وأنا غاضبة وغضبي الأسود هو على هذا ا الجانب مني الذي رفض أن يضغط ، أن ينفصل ، أن يفقد .

« اضغطي ، اضغطي ، اضغطي بكل قوتك »

ضغطت بغضب ، بيأس ، باهتياج ، أشعر أني سأموت من الضغط ، كمن يلفظ آخر أنفاسه ، ذلك أنني وددت أن أخرج كل ما في داخلي ، وأن تختنق روحي في الدماء المحيطة بي ، واعصابي وقلبي في

داخلها ، وأن ينفتح جسدي ويرتفع الدخان ، وأشعر بالحدة القصوى للموت .

مالت الممرضات عليّ وتحدثن مع بعضهن حين اخذت استراحة ، ثم ضغطت حتى سمعت عظامي تطقطق ، حتى انتفخت عروقي . اغمضت عيني فرأيت بصعوبة ومض الأحمر والأرجواني وأمواجه . وكان في اذني اضطراب قرع متكسر كأن الطبلة ستتمزق . اغلقت شفتي بإحكام شديد فصار الدم يقطر ، كانت ساقاي تشعران بثقل شديد ، كأنهما عمودان من الرخام وكعمودين هائلين من الرخام تعصران جسدي . فأخذت التمس أن تمسكهما احداهن . ووضعت الممرضة ركبتها على بطني وصاحت : « اضغطي ، اضغطي ، اضغطي » وتصبب عرقها علي .

وراح الدكتور يذهب ويجيء بغضب ، بنفاد صبر « سنمضي الليلة كلها هنا ، مضت الآن ثلاث ساعات . . . » .

كان الرأس ظاهرا ولكنني كنت مغميّ علي ، وكان كل شيء أزرق ، ثم أسود ، والآلات تومض امام عيني . والسكاكين مشحوذة في اذني . الجليد والصمت ثم سمعت اصواتا تتحدث التي او لا بسرعة بالغة لأفهم ، وانشقت الستارة ومازالت الاصوات تتعثر ببعضها وتسقط سريعا كالشلال ، ذي البروق ، وتخترق اذني . وكانت المنضدة تدور بلطف وتدور . والنسوة يتمددن في الهواء ، والرؤوس الرؤوس معلقة حيث علقت المصابيح الكهربائية البيضاء . وظل الدكتور يسير ، وتحركت المصابيح ، واقتربت الرؤوس ، اقتربت كثيرا ، واقبلت الكلمات شديدة البطء .

كن يضحكن وكانت احدى الممرضات تقول : « حين وضعت أول طفل لي تمزقت اربا اربا ، فخاطوني من جديد ثم وضعت طفلا آخر ، فخاطوني ، ثم وضعت طفلا آخر . . . »

وقالت ممرضة اخرى : « ولادتي مرت كمرور المغلف في صندوق البريد . ولكن بعد ذلك لم يشأ الكيس أن يخرج . لم يشأ الكيس ان يخرج . يخرج يخرج »

لماذا يكررن انفسهن ، والمصابيح تدور ، وخطوات الدكتور سريعة جدا ، سريعة جدا .

« لاتستطيع أن تجهد نفسها أكثر ، الطبيعة لاتساعدها في ستة أشهر ، يجب أن تحقن مرة أخرى . . . »

احسست بالابرة تنخرز ، كانت المصابيح ساكنة ، والجليد والزرقة اللذان كانا يحيطان بي‹اخترقا عروقي ، وقلبي خفق بشدة . وكانت الممرضات يتكلمن : « الآن طفل السيدة ل الذي كان سوف يظن أنها صغيرة جدا في الاسبوع الماضي سيراها امرأة ضخمة على هذا الشكل » امرأة ضخمة على هذا الشكل . . وظلت الكلمات تدور ، كأنها في اسطوانة كن يتكلمن ، كن يتكلمن ، كن يتكلمن .

أرجوكم امسكوا بساقي ، ارجوكم امسكوا بساقي ، ارجوكم امسكوا ساقي ، ارجوكم امسكوا بساقي ، انا مستعدة من جديد . وبالتفاتة رأسي الى الوراء استطيع أن أرى الساعة . جاهدت أربع ساعات ، أفضل أن أموت . لماذا اعيش واجاهد بيأس ؟ لم استطع أن اتذكر لماذا علي أن اعيش . لم استطع أن اتذكر أي شيء . كان الدم والالم هما كل شيء . علي أن اضغط ، علي أن اضغط ، تلك هي النقطة السوداء الثابتة في الابدية . عند نهاية نفق طويل مظلم وصوت يقول : « اضغطي ، اضغطي ، اضغطي » وركبة على بطني ومرمر ساقي يعصرني والرأس كبير وانا علي أن اضغط .

أنا اضغط أم أموت ؟ الضوء في الاعلى ، والكرة الضخمة التي تتوهج بالضوء الابيض تشربني . تشربني بتمهل وتنشرني في المكان . ولو لم اغمض عيني لشربتني كلي . اتسرب الى الاعلى ، في خيوط جليدية ، شديدة الخفة ، ومع ذلك فالنار في الداخل ، والاعصاب تدور ، وليس من بقية لهذا النفق الطويل الذي يجرني ، ام انني اضغط نفسي لاخرجها من النفق ، ام ان الطفل يخرج مني ، ام ان الضوء يشربني ؟ انا اموت ؟ الجليد في العروق ، طقطقة العظام ، الضغط في الظلام ، بمسلة صغيرة في عيني كحد السكين ، الاحساس بسكين يقطع الجسد ، الجسد في مكان مايتمزق كأنما يحترق باللهب ، في مكان مايتمزق جسدي والدم ينفسخ .

وأنا اضغط في الظلام ، في الظلام المطبق . اضغط حتى تنتفخ عيناي وارى الدكتور يمسك بأداة طويلة يغرزها فيّ بسرعة فيجعلني من الالم اصرخ . صيحة حيوان طويلة . ويقول للممرضة : هذه ستجعلها تضغط ، ولكنها لاتجعلني كذلك انها تشلني بالالم . ويود أن يعيد الكرة . فانهض جالسة واصيح فيه بعضب شديد لاتحاول ذلك مرة اخرى ، لاتحاول وتدفئني حرارة غضبي ، ويذوب كل الجليد والوجع في الغضب . وبالغريزة شعرت أن مافعله ليس ضروريا ، وانه ماقام بذلك الا لانه مغتاظ ولان عقارب الساعة ماتزال تدور ، والفجر آت ، والطفل لم يأت ، وانا افقد قوتي والحقنة لاتحدث النوبة .

انظر الى الدكتور يسرع في السير ذهابا وايابا ، أو ينحني لينظر الى الرأس الذي يطهر حاسرا . ويبدو مرتبكا ، كأنه امام لغز وحشي ، ويربكه هذا الصراع . ويود أن يتضارب مع ادواته ، على حين اني اصارع مع الطبيعة ، ومع نفسي ، ومع طفلي والمعني الذي وضعته فيه ، مع رغبتي في أن اعطي وان احتفظ ، في ان أبقي وأن افقد ، وان احيا وأن اموت ، لاأداة تعينني . عيناه غاضبتان . يود أن يأخذ سكينا ، وعليه أن يراقب وينتظر .

وطوال الوقت اريد أن اتذكر لماذا يجب أن اعيش ، كل اوجاع ومامن ذكرى ، وكف المصباح عن شربي ، وارهقني أن اتحرك ولو نحو الضوء ، أو أن استدير لانظر الى الساعة ، وفي داخل جسدي ، نيران ، احتراقات ، والجسد يتوجع . والطفل ليس طفلا ، انه شيطان يخنقني ، والشيطان يضطجع جامدا عند باب رحمي ، يسد الحياة ، ولا استطيع التخلص منه .

وبدأت الممرضات يتحدثن من جديد . قلت : دعوني وحدي ، وبسرعة بالغة وضعت كلتا يدي على بطني ، وبأناملي قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت على بطني بشكل دائري هنا هناك بسرعة بعينين مفتوحتين في صفاء كبير . الدكتور يقترب وعلى وجهه انشداه . الممرضات صامتات .. قرع .. قرع ... قرع ... قرع ... قرع ... قرع .. قرع .. انا مستعدة ، الممرضة تضغط ركبتها على بطني والدم في عيني ، نفق ، اضغط ، في هذا النفق ، واعض شفتي واضغط . هناك نار وجسد يتمزق ومامن هواء ، الخروج من النفق ، كل دمائي تراق . اضغط ، اضغط ، اضغط ، انه آت . انه آت ، انه آت . احس بالانزلاق ، ذهب الثقل . أسمع اصواتا ، أفتح عيني ، اسمعهم يقولون : « انها طفلة صغيرة ، الافضل ألا نريها اياها » تعود كل قوتي ، أنهض في حلقي ، فيصيح الدكتور « لاتنهضي » .

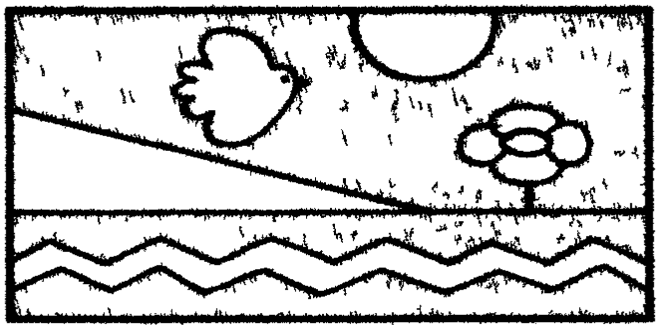
« أرني طفلتي » .

تقول الممرضة : « لاترها اياها فستتكدر » تحاول الممرضة أن تعيدني الى الاستلقاء . قلبي يخفق بشكل مرتفع فأكاد لااسمع نفسي وأنا أكرر : « أرني الطفلة » . فيمسك بها الدكتور ويظهرها لي ، انها تبدو قاتمة وصغيرة ، كرجل مصغر جدا . ولكنها طفلة انثى ، لها اهداب طويلة على عينيها المغمضتين ، وقد خلقت خلقا سويا وتتلألأ بكاملها بمياه الرحم . □


طاغور

قال طاغور :

ان الله حين اراد أن يخلق حواء من آدم لم يخلقها من عظام رجليه حتى لايدوسها ، ولا من عظام رأسه حتى لا تسوده ، وانما خلقها من أحد اضلاعه لتكون مساوية له قريبة الى قلبه .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

الفزع من « القات » في العاصمة البريطانية

ما كنا لنتعرض للحديث عن القات ـ وهو موضوع حساس للغاية ـ لولا قصة تسربه الى العاصمة البريطانية في مطلع هذه السنة (١٩٨٥) . والقصة معروفة للجميع ولا ريب .

ولسنا بحاجة الى أكثر من الاشارة الى أن التاجر المستورد لورق القات انما هو عربي يمني يعيش في لندن ، وأن أكثر عملائه إنما هم من الجاليات العربية والجالية اليمنية بصفة خاصة وأن الشحنة الاسبوعية التي يستوردها بالطائرة ضمن صناديق كرتون .. يبلغ وزنها الاجمالي ٥٠ كيلو . لا تلبث أن تنفد كلها قبل وصول الشحنة التالية بأيام هذا بالرغم من أن الربطة الواحدة (٢٠٠ غرام) أو ما يكفي لتخزينة واحدة ، كما يقولون ، تباع في لندن بخمسة جنيهات استرلينية .

الا أن ما يلفت النظر في هذه القصة هو القلق والفزع الذي عم الاوساط الصحية والحكومية في لندن .. فقد انطلقت الصحف .. الصنداي تايمز خاصة . ونشرت من المعلومات الاضافية عن القات ما قد لا يجده المرء في أكبر المراجع .

وتحدثت بأضراره ومخاطره .. وحذرت الحكومة البريطانية من مغبة السكوت على استيراده وانتشاره .. هذا على الرغم من أن الصحيفة تؤكد أن شراء القات ما زال وقفا على الجاليات العربية حتى الآن .. وكان للضجة أثرها فقد علق ناطق رسمي بلسان وزارة الداخلية على هذا الموضوع بقوله : « لم نر شيئا من القات حتى الآن .. ولكننا لن نتردد في اتخاذ الاجراءات الحادة المناسبة في الوقت المناسب »

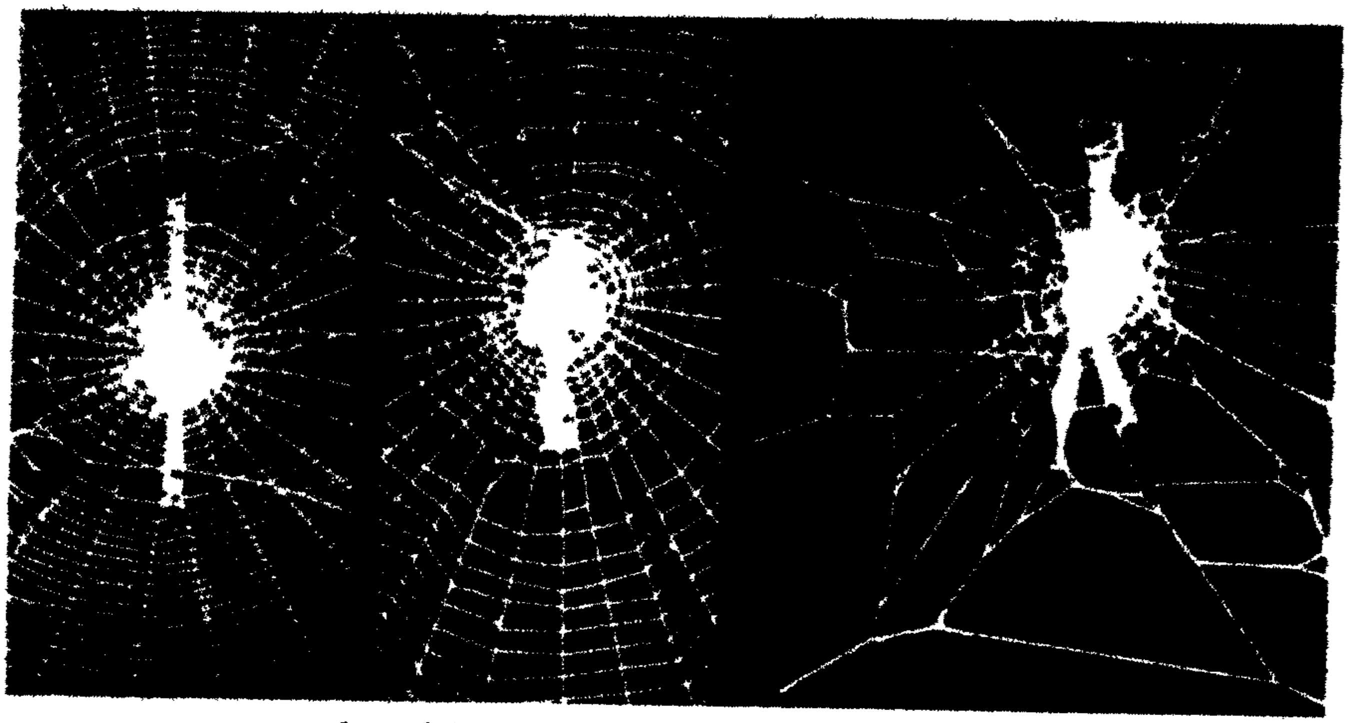
وانبرى الاطباء والمختصون يتحدثون عن القات والاذى الذي يلحقه بالمدمنين عليه .

فذكر أحدهم أن القات منبه وأن أثره يشبه كثيرا أثر الامفيتامين وهو منبه اصطناعي قد يؤدي الى الموت . اذا تناوله المرء بكميات كبيرة . ويشير هذا الطبيب الى اليمني الذي صرعه القات والذي عالجه في مستشفى ليفربول .

وتحدث طبيب آخر عن المضاعفات النفسانية التي يحدثها الادمان على القات . والتي تشمل فيما تشمل روح العدوان والريبة والجزع وأكد هذا الطبيب أن القات ادماني بالمفهوم السيكولوجي ، ان لم يكن بالمفهوم الفيسيولوجي أيضا .. وانه قد يسبب الذهان ـ والذهان آفة عقلية كالجنون ـ للمدمنين عليه .. هذا الى جانب الاوهام والاضاليل التي تجعلهم يشعرون وكأنهم مضطهدون ..

وأشار طبيب ثالث الى ما يسببه الادمان على القات من أمراض الاسنان وتشمع الكبد والعقم الجنسي .. ناهيك بارتفاع ضغط الدم والصداع النصفي ونزيف المخ ، أما الآفات التي يسببها القات للجهاز الهضمي فلعلها أكثر شيوعا من كل ما ذكرنا وهي في منأى عن كل شك ويُذكّر هذا الطبيب بأن هذه الاضرار كلها قد ورد ذكرها في تقرير لهيئة الأمم صدر سنة ١٩٨٠ ...

والجدير بالذكر أن القات محظور في أكثر البلدان



● تفتك المخدرات بالجهاز العصبي المركزي . انظر كيف اخفق العنكبوت في نسج بيته فحلت الفوضى على الانسجام وذلك بسبب المخدر الخفيف الذي أعطوه اياه بمقادير ضئيلة .

فقد حظرته المملكة السعودية منذ نحو ثلاثين عاما . . وفرضت عقوبة السجن لمدة ٢ ـ ١٥ سنة ، على المخالفين ، وقد حظرته اليمن الشعبية الجنوبية في أواخر السبعينيات ولكن هذا الحظر غير شامل . . والقات مباح هناك في أيام الخميس والجمعة . . وحظرته الصومال أيضا سنة ١٩٨٣ . .

أخبار هامة للمدخنين :

يحسب البعض أن الحديث عن أضرار التدخين حديث عشوائي لا يستند إلى حقائق علمية ثابتة ولا يعدو كونه دعاية يقصد منها تنفير الناس من عادة التدخين . ولعل في الآلة المدخنة التي تراها في الصورة دليلا على خطأ اولئك البعض . . فهذه أجهزة وآلات صممها وابتكرها العلماء ، لاجراء التجارب العلمية الدقيقة . و قد كان لها النصيب الأوفر في الكشف عن أضرار التدخين ، وما يحتويه من قطران ونيكوتين وغير ذلك .



الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

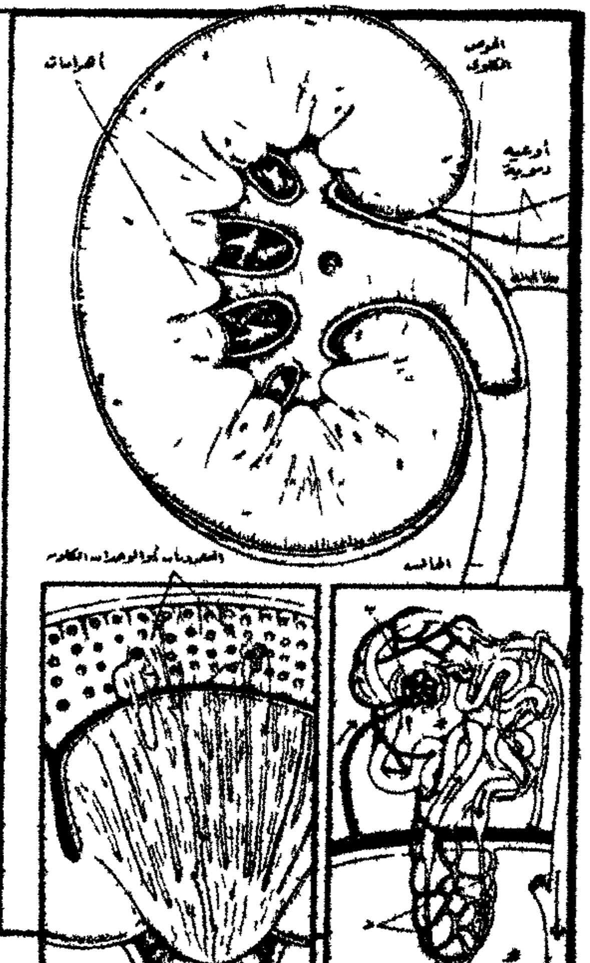
الكلى وكيف تعمل ؟

■ هل تعلم أن الكليتين تحتويان على انابيب صغيرة يبلغ طولها ٦٠ كيلومترا ؟ وهل تعلم أنهما تستطيعان وترشحان مايبلغ حجمه ١٨٠٠ لتر من الدم - دم الانسان - يوميا ، ولاتزيد حصيلة هذا التنظيف والترشيح مجموعها على ١,٥ لتر فقط ؟

مهما ادق مصفاة الدنيا .. وان كانت الكلى تقوم بأعمال اخرى غير التصفية هذا والكليتان لايزيد طولهما على ٤ بوصات ، ووزنهما ٥ اوقيات ، وهما تقومان بتصفيه الدم عدة مرات بالضبط (٣٦ مرة) كل ٢٤ ساعة وتقومان بهذه التصفية لتعزلا النفايات وخصوصا

العصروسات في الكلى ، او الوحدات الكلوية هي التي تقوم تنظيف الدم وتوحد هذه العصروسات فيما يسمى بأهرامات الكلى وهي تقوم بوظيفتها كما يلي

تنقل الاوعية (أ) الدم من والى الكبيبات (ب) ، حيث يجري سحب الماء وجزئيات اخرى من الدم الى كبسولة بومان (جـ) ثم يمر عبر انابيب دقيقة متصلة بمعقدة هنلي (د) وتعود اكثر المادة السائلة الى مجرى الدم ثانية ويذهب المتبقي الى قناة التجميع (هـ) ثم يجري الفراره



البول عن الدم . . وتبقيها على مايحتويه الدم من المواد الغذائية والماء الضروري .

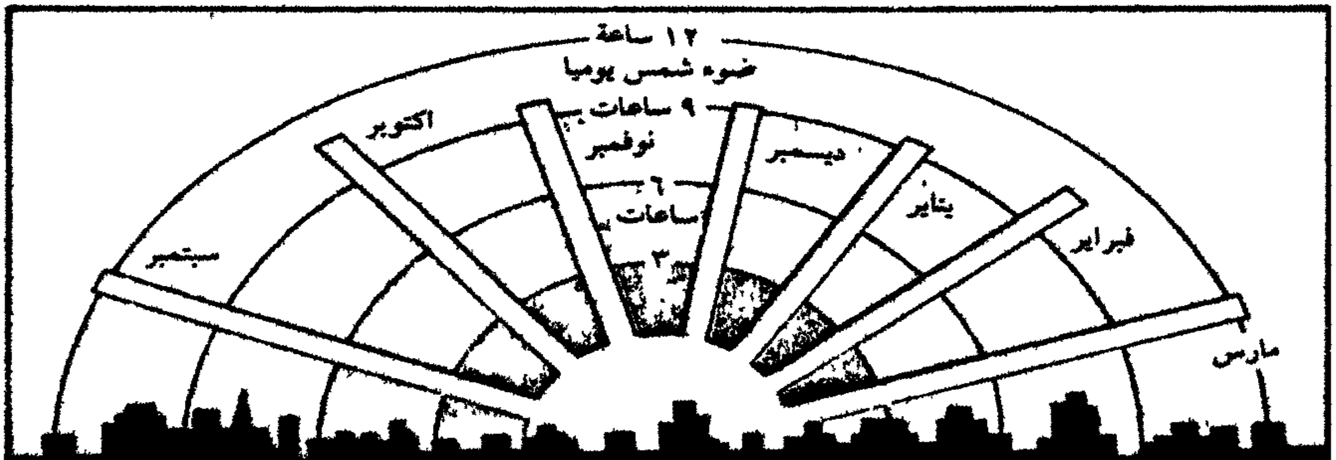
وسر الكليتين إنما هو في النفرونات ـ او الوحدات الكلوية ، او الاجزاء الصغيرة الدقيقة التي تتكون منها الكليتان وهي تعد بالملايين ، وقد رصت بعضها على بعض رصا لتكون أداة تصفية . . كالمسلمات التي توجد في المرشحات . . او الأنابيب التي لابد منها في المصافي .

ويدخل الدم أول مايدخل الكبينات وهي رزم من الأوعية أو الشرايين الدقيقة ، وهذه الكبينات (Glameruli) عديدة . . وهي بداية النفرون . . ولايكاد يدخلها الدم حتى يرتفع الضغط فيها ، فتدفع الماء والأملاح ومحتويات الدم الأخرى الصغيرة الى محفظة تعرف بمحفظة بومان . . ثم تنتقل حصيلة الترشيح الأول من هذه المحفظة الى شبكات الأنابيب الدقيقة المتشعبة والملتوية . . حيث ينتهي الترشيح الثاني الى استخراج الجلوكوز والأحماض الأمينية والأيونات والأملاح ، تستخرجها تلك الأنابيب الدقيقة ثم تعيدها الى مجرى الدم . .

وتتجمع المواد بعد ذلك في أنابيب تنقلها الى داخل الحوض الكلوي Renal Pelvis والحالب Ureter لتأخذ سبيلها الى المثانة . .

غير أن الكلى تقوم بوظائف أخرى غير تصفية الدم من شوائبه . . فهي تعمل على تنظيم بيئة الجسم الداخلية ، فتضبط حجم السوائل وتركيب الدم وضغطه . . وتصنع الكلى أيضا خمائر (رنين) التي تتحكم بضغط الدم ، بحيث تقوم النفرونات بأعمال التصفية على نحو منتظم وثابت . . بصرف النظر عن مقدار الماء الداخل اليها أو الخارج منها . . وهذا من شأنه أن يحافظ على حجم الدم . . ويبقى على ملوحته وحموضته ضمن الحدود المناسبة .

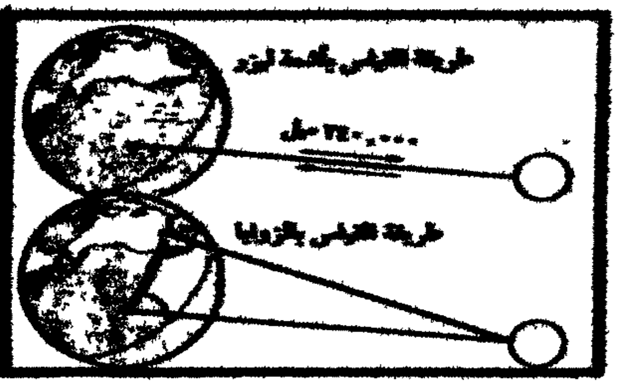
بقي أن نذكر أن نفرونات الكلى كثيرة جدا . . ويستطيع الجسم أن يكتفي بثلثها ان لم نقل بعشرها للابقاء على الحياة . . من هنا كان في الامكان استئصال احدى الكليتين ، اذا تلفت ، وترك الجسم بكلية واحدة ، تستطيع القيام بوظيفتها ووظيفة الكلية المستأصلة على أكمل وجه ممكن .



يبين الرسم كيف يتغير مزاج الانسان تبعا لمدى تعرضه لضوء الشمس ، اذ يغلب عليه الاكتئاب حين لا يتعرض لضوء الشمس أكثر من ٣ ساعات من ضوء الشمس يوميا ، ويخف اكتئابه حين يحظى بست ساعات من ضوء الشمس في اليوم . . ثم بتسع ساعات . . واخيرا بالثني عشرة ساعة من ضوء الشمس يوميا وذلك حسبيا يتضح من نصف الدوائر .



مرصد جبل هليكالا في هواي



قياس الأبعاد الفلكية .. أدق وأخطر من قياس أبعاد الغرفة

توصل العلماء الى استخراج أشعة جديدة من أشعة ليزر تمكنهم من قياس المسافة بين الارض والقمر، بأبعادها المتغيرة دوما. وهم يؤكدون أن القياس الجديد للمسافة المذكورة يتفوق على القياس القديم من حيث الضبط والدقة بعشرة أضعاف، ويضمن تجنب الخطأ بما يزيد على ٣ بوصات على المسافة الشاسعة كلها. وقد كانت نتيجة القياس الذي اجرى مؤخرا هي ٢٣٠,٠٠٠ ميل.

ومما يذكر أن التلسكوب الارضي الذي ساهم في اجراء ذلك القياس هو تلسكوب مرصد جبل هيكالا في هاواي .. وهو تلسكوب ضخم قوامه ٨٠ عدسة وفي استطاعته تلقي أشعة ليزر المرتدة من مرايا القمر، وهي ذات نبضات قصيرة وقوية للغاية. أضف الى ذلك مراصد أخرى متخصصة في تكساس وفي فرنسا كانت هي الاخرى تدلي بدلوها في هذا الصدد.

أما المرايا القمرية التي تنعكس عليها أشعة ليزر المنطلقة من هذه المراصد فهي التي وضعها على سطح القمر الرواد الامريكيون (سنة ١٩٦٩) ورواد آخرون سوفييت وفرنسيون.

والجدير بالذكر أن أشعة ليزر الجديدة لاتحتاج لقطع بوصتين اثنتين فقط الى أكثر من ٢٠٠ جزء من تريليون جزء من الثانية .. تنطلق من مرصد هاواي بضوء أخضر، وهو الضوء الذي يمكنها من اجتياز الهواء دون عقبات. وتبلغ نبضات هذه الاشعة من القوة ما يزيد على بليون شمعة (Watt) بحيث تترك اثرا في الجو .. في المسار الذي تنطلق فيه. ثم انها من القوة بحيث تشكل خطرا على بصر الانسان، وقواد الطائرات بصفة خاصة. لذلك حرصت السلطات المعنية على عدم اطلاقها الا حين يرتفع القمر فوق الأفق بمعدل (٢٠) درجة. لكن القراءات المترتبة على انعكاس هذه الاشعة لاتتم على الفور.

بقي أن نذكر أن الفائدة من استعمال هذه الاشعة لاتقف عند قياس المسافة بين الارض والقمر، فهي تساعد على جمع معلومات جديدة عن دورة الارض حول نفسها.

وعلى معرفة المزيد من القلقلة البسيطة التي تتعرض لها الارض في دورتها حول نفسها. وتساعد أيضا على فهم أعمق لما يجري في باطن الأرض من زلازل وما يشهده سطحها من ظواهر غريبة كظاهرة ثورة تيار النينو الاخيرة.

مكتشفون ومخترعون



اسحق نيوتن
١٦٤٢ - ١٧٢٧

يحتل نيوتن قمة شامخة بين علماء القرن السابع عشر ، إن لم نقل علماء التاريخ جميعا ، ودون استثناء . ويعجب المرء كيف جمع نيوتن بين مواهب فذة مختلفة ندر أن اجتمعت لعالم واحد في آن معا . . فقد تمتع بموهبة عالم الفيزياء النظري ، تلك الموهبة التي تجلت في دراسته جاذبية الأرض ، واهتدائه الى قوانينها . . وتمتع أيضا بموهبة عالم الرياضيات المجردة . . وقد برزت في اكتشافه علما كاملا من علوم الرياضيات ، وهو علم (الكالكولاس) calculus أو حساب التفاضل والتكامل كما يسميه الكثيرون في العربية . وجمع نيوتن الى ذلك كله موهبة المخترع والصانع العملي الماهر ، وقد ابتكر وصنع بيده تلسكوب المرآة العاكسة . وذلك الى جانب مواهبه الاخرى التي مكنته من دراسة الحركة ووضع قوانينها ، ودراسة الضوء واكتشاف الكثير من خصائصه كالانحراف الذي يتمثل في أشعته المتكسرة واجتماع ألوان الطيف في ضوء الشمس الذي يبدو لنا أبيض .

ومن طريف ما يذكر أن نيوتن العالم الفذ المواهب ، المتعدد الكفايات . . لم يكن من المتفوقين في المدرسة . ويرى البعض في المعركة التي وقعت بينه وبين أحد زملائه الطلاب ، والتي خرج منها نيوتن منتصرا ، يرون في هذه المعركة بداية ظهور مواهبه الدفينة ويجمع الكثيرون على أن ظهور مواهبه تأخر حتى أصبح من طلاب الجامعة ، وجامعة كمبردج بالتحديد . فقد تحسس أحد أساتذته ملامح النبوغ والعبقرية فيه ، وقد حجبها عن الآخرين مزاجه الانفعالي المتمرد المتطرس ، فتولى أموره ، وأصبح مدرسه الخاص ، وأتاح له بذلك التقدم السريع ، ومفاجأة علماء تلك الايام بعبقرية متألقة نادرة المثال . . وتخرج نيوتن في الجامعة سنة ١٦٦٥ . . واتفق أن شهدت تلك السنة بالذات انتشار وباء الطاعون في لندن وكمبردج وغيرهما فحال ذلك دون مباشرة نيوتن حياته العملية ، واضطر للجوء الى الريف ، الى مزرعة العائلة حيث قضى سنتي (١٦٦٥ و ١٦٦٦) في عزلة تامة تفرغ فيها للتأمل والتفكير العلمي . وتعتبر تلك الاجازة القسرية فترة ذهبية في حياة نيوتن العلمية . وقد اكتشف في أثنائها ، فيما اكتشف ، قوانين الجاذبية وصاغها ، ثم باشر في وضع كتابه الشهير (البرنسيبيا) الرياضية . . ذلك الكتاب تردد كثيرا في نشره لا بدافع الخوف من الكنيسة ، وانما بدافع الخوف من أن يكون كتابا تافها بلا قيمة .

وعاد نيوتن الى جامعة كمبردج بعد انقضاء الطاعون ، وشغل منصب استاذ زميل فيها طوال ٢٨ عاما ، واشتهر اسحق نيوتن وذاع صيته في تلك الفترة حتى توافد كثير من علماء العصر على كمبردج لزيارة العالم العظيم .

وانقطع نيوتن عن عمله في الجامعة مرتين : الاولى بسبب انتخابه عضوا في البرلمان ، وقد استغرقت سنة كاملة ، والثانية بسبب مرض خطير ألم به . وقد استغرقت سنتين . غير أن نيوتن تخلى عن منصبه في جامعة كمبردج سنة ١٦٩٥ وذلك بسبب تعيينه في دار سك النقود الحكومية ، وواصل عمله الاداري الجديد بهمة ونشاط حتى عين رئيسا للدار المذكورة . واستمر نيوتن في رئاسته هذه نحوا من ٣٢ سنة ، ولم ينقطع عنها الا سنة ١٧٢٧ حين وافته المنية عن عمر يناهز ٨٥ عاما .



كتابات غير معروفة لسميرة عزام

بقلم : وليد أبو بكر

اذا كان الشعر الفلسطيني قد كتب تاريخ فلسطين قبل النكبة ، على لسان شعرائه الذين عاشوا الصراع كله (ابراهيم طوقان ، ابو سلمى ، مطلق عبدالخالق ، عبدالرحيم محمود) فان هذا الشعر قد تخلى عن مهمته بعد النكبة مباشرة ، ليتحول ـ في غالبيته ـ الى بكاء غير مجد ، وترك مكانه للقصة كي تؤرخ ، لا للاحداث وإنما لمحصلة هذه الأحداث ، وما أوقعته من تغيير في سلوك الانسان ، ومواقفه تجاه كل ما يحيط به من آلام .

لاشك أن سميرة عزام هي رائدة القصة الفلسطينية الحديثة ، في هذا المجال على وجه الخصوص ، كما انها واحدة من اهم الأصوات القصصية العربية ، في الفترة التي نشطت [illegible] حتى الآن .

ومع ذلك ، فان حظ أدب سميرة عزام من الاهتمام لم يكن كبيرا ، ليس على مستوى دراسته وحسب ، وانما على مستوى جمعه أيضا . واذا كانت الكاتبة قد أصدرت في حياتها أربع مجموعات قصصية ، كما صدرت لها مجموعة واحدة بعد رحيلها ، فان ذلك لا يمثل كل انتاجها ، فهناك ما كتبته للاذاعة ، وهناك بعض خواطرها ، وما كتبته قبل النكبة في جريدة [illegible] للساحل) [illegible] في الصحف ، والتي ساهمت في اضاءة الطريق أمام عدد من كتاب القصة وكاتباتها ، وكلها أمور تستحق العناية .

الكتابة والمعنى :

أما على مستوى الانتاج القصصي ، فمن الصعب القول أنه قد عرف بالكامل ، ولعل ما يمكن أن يشير الى ذلك ، وجود واحدة من أهم قصصها ، وقد تكون آخر قصصها ، لم تدخل في واحدة من المجموعات الخمس ، هذا بالاضافة الى مقطع من روايتها (سيناء بلا حدود) الذي لم يلتفت اليه أحدٌ ممن كتبوا عن أدبها ، على قلتهم ، رغم سهولة الوصول الى هذين الأثرين ، ورغم ما يمكن أن يقدماه من اضافات ، تفيد في فهم أدب سميرة عزام ، وتطور فكرها وأسلوبها القصصي . بل لعل ما حدث للرواية ، يمكن أن يكون مؤشرا مفيدا الى الحالة النفسية التي كانت الكاتبة تنطلق منها في التعبير ، فسميرة عزام تمنت أن يمهلها الموت حتى تنشر هذه الرواية ، لأنها بذلت فيها جهداً حتى رضيت عنها ـ بما يشير الى أنها قد أتمت كتابتها ـ ومع ذلك ، وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، مزقت الرواية في انفعال شديد وهي تقول : ان كل ما كتبته قد فقد معناه .

ويشير الجزء الصغير المنشور من الرواية الى ظاهرة الرفض الشعبي العربي للخنوع ، والى مشاركة الشارع العربي لما يحدث في وطنه من أحداث ، في الوقت الذي يبدو فيه بطل الرواية مراقبا فحسب ، وهو يتطلع الى مظاهرة تقطع وسط المنطقة التجارية في بيروت ، معبرة عن مطالب نضالية . لكن المظاهرة تجرفه معها فلا تترك له مجالا لعدم الاهتمام .

ولأن فن الرواية يُعطي الانسان الحق في أن يتنبأ .

فانه يمكن القول أن الرواية كانت تتجه الى جعل الانسان العربي ، العادي ، واللامبالي ، يحس بما يدور حوله ، ويشارك في صنعه ، مما يوحي بخطوات ايجابية نحو المستقبل ، تصل حدود سيناء بحدود فلسطين المحتلة ، بفعل النهوض الشعبي العربي ، الذي كان واضحا في الستينيات ، وكان يزرع الأمل في تحول حقيقي .

القلب والنكسة

ولأن أدب الكاتب الجاد يعبر عن مواقفه الحقيقية ، فان القول أن سميرة عزام قد أرادت أن تزرع الأمل في قلب الانسان العربي ـ من خلال روايتها ـ لايكون غريبا ، فقد كان الأمل العربي متعشماً ، لكن النكسة جاءت مثل صفعة قاسية في جبينه ، فانهارت أشياء كثيرة ، وانهار ما هو أكبر في قلب سميرة عزام ، القلب الذي كانت تقول عنه في أواخر أيامها : (انه أضعف من أن يحتملني ، فأنا لا أترفق به ، دائما أحمله أكثر من مستطاعه) .

وكانت سميرة عزام صادقة في حدسها ، فقلبها لم يحتمل نكسة يونيو ، وفي سعيها لفهم ما حدث ، أو استيعابه ، توقف القلب في الطريق .

وكانت تجربة سميرة عزام مركبة : فعلى المستوى الشخصي ، طوحت بها الآفاق في بلدان كثيرة : من بيروت ، الى بغداد ، الى بيروت فقبرص فبغداد ثانية . . وبيروت أخيرا ، حتى فاجأها الموت في الطريق الى عمان .

لقد كان الوضع الناجم عن التشرد هو المادة الخصبة التي استقت منها سميرة عزام مادة قصصها ، كان هذا الوضع مذلا للانسان الفلسطيني الذي انقطعت صلته بمصدر رزقه في وطنه ، فصار يمد يده الى وكالة غوث اللاجئين ، دون أن ينسى تجربة الاعتماد على النفس ، في مجالات عمل لم يمارسها ، وفي الحيز الذي كانت تسمح به الدول (المضيفة) كما أن الانفصال بالهجرة قد هز المجتمع الفلسطيني حتى جذوره ، فتغيرت قيم كثيرة فيه ، وولدت من هذا التغير المفاجيء مآسٍ كثيرة .

أية هوية أخرى ؟

لقد خافت سميرة عزام أن يفقد الفلسطيني هويته وسط هذه الظروف القاسية ، وكانت الهوية بالنسبة لها تشكل قضية هامة ، حتى في المنفى ، لأنها وحدها القادرة على أن تبقي قضيته حية . وحين عبرت عن هذا الموقف ـ قصصيا ـ جاءت قصتها (الفلسطيني) مليئة بالسخرية المرة من كل من حاول التخفي في هوية جديدة ، هربا من هذه الظروف . لقد صرخت في وجهه : أية هوية أخرى ليست سوى تزييف ، والفلسطيني يبقى فلسطينيا حتى لو تنكر ،

وقد ظل هم الهوية بارزا في أدب سميرة عزام ، حتى في قصصها التي لا تتحدث عن الفلسطيني ،

فأصبح هنا الهم تعبيرا عن الانسان ذاته ، وسط ظروف تحاول أن تقهر هذه الذات .

الرجل والأرض :

تعتبر قصة (الحاج محمد باع حجته) تلخيصا للتجربة الفلسطينية المرة ، على مستوى الفرد ، وعلى مستوى المجموع ، وعلى مستوى القضية ، حين تصور (الانفصال) الذي حدث بين الانسان وتاريخه ، وما خلفه هذا الانفصال من مرارة وبؤس ، كاد يجعل الانسان معرضا للخروج عن قيمه .

تتحدث القصة عن الحاج محمد ، وجيه القرية ، الذي عاش حياته كما يعيش الفلاح الفلسطيني الشريف والمكافح : ينعم بما تقدمه له أرض يجهد فيها ، ولا يبخل بما تجود به على الآخرين ، ويشكر ربه على النعمة صلاة وصياما وحجا . وهو شخصية شديدة التكامل في الحياة العامة وفي العمل ، ويبقى هكذا حين تتغير الظروف ، ويجد واجبا جديدا في مساندة الشباب وهم يدافعون عن القرية ، حتى يسقط ابنه الوحيد فيها (بين ثلاث بنات) ، وتتدخل المدنة ، وترسم شريطا يقسم القرية عندما كان غائبا عنها في الديار المقدسة ، ولأنه يرفض الابتعاد عن أرضه ، ويرفض التخلي عن وعده باقامه شاهد على قبر ولده ، فانه يعود ، ويقابل الشريط الحدودي بالصمت ، ويسمح بضياع موسم العنب ، ثم يستجيب لرجاء أهل قريته ، ويعد بجني المحصول القادم مما تبقى له من أرض ، لكن الناس يفاجأون بانه كلف الأطفال بجمع الزجاجات الفارغة ، فتكثر حوله الهمسات التي تقول أنه تخلى عن صناعة (الدبس) الذي اشتهر به ، ليقطر الخمر ، وتزداد هذه الهمسات حين يغلق باب بيته عليه ، بعد أن يهمل مصنع الدبس ، ويكاد الشك أن يصبح يقينا ، لولا أن زجاجات الحاج محمد وصلت الى الناس ، هدايا مملوءة بالخل .

وهذه القصة ، تعتبر - فنيا - قمة ما وصل اليه أدب سميرة عزام القصصي ، فبالاضافة الى قوة السبك التي تتميز بها ، استطاعت الكاتبة أن تتميز (بالتكنيك القصصي ، الذي يتعدى محاولة السرد والوصف ، ليتلاعب باهتمام القارىء وعواطفه ، عبر ذبذبات المشاعر التي تتراوح بين العطف والكراهية . إن الأحداث هي التي تتكلم هنا ، وتشرح وتصف ، وهي أبطال القصة الحقيقيون) .

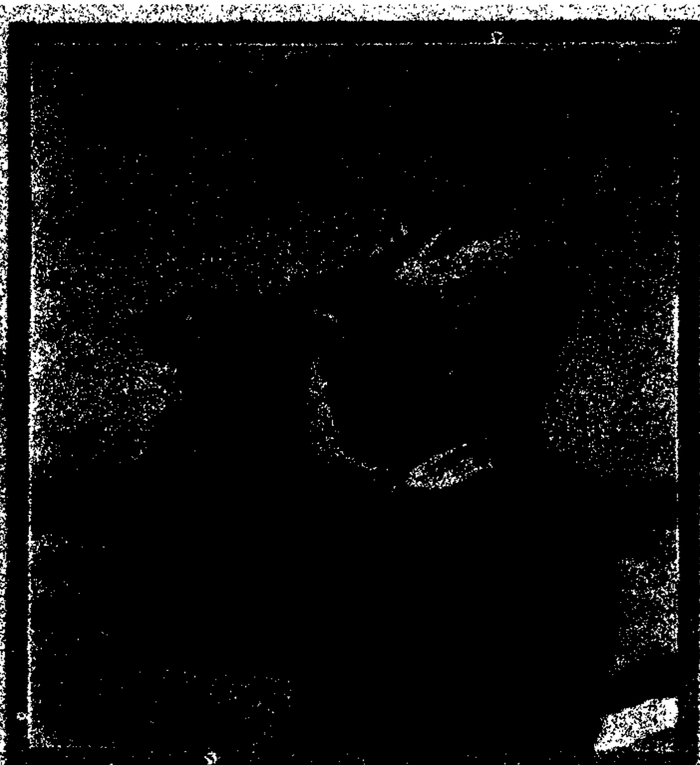
وقد لجأت الكاتبة الى الرواية عن طريق السرد ، والاسترجاع ، في تداخل شديد الاحكام ، يكاد لا يشعر القارىء بالنقلة التي تتم عن طريق صورة تؤدي الى صورة ، بشكل طبيعي لا افتعال فيه .

والقصة اضافة الى ذلك ، تحمل أهم السمات التي يتميز بها أدب الكاتبة القصصي ، والتي يمكن تلمسها في قصصها الأخرى ، وان كانت قد تجمعت هنا بشكل يثير الاعجاب : فهي تطرح فكرة الارتباط بالمكان ارتباطا وجوديا ، كما تصور الظروف الشديدة القسوة التي تعمل على تشويه الانسان - وخصوصا قيمه - رغم مقاومته .

كما تتحدث عن الصراع بين القديم والجديد بشكل أكثر وعيا مما فعلت في قصصها السابقة ، لأن الاتجاه هنا يسير في صالح الجديد ، بينما كان الجديد يعامل بلون من الادانة في قصص أخرى ، وخصوصا اذا كان هذا الجديد متمثلا في الآلة التي تنافس الانسان ، ففي قصة (الغريمة) تصبح آلة الغسيل الكهربائية مدانة ، لأنها تنافس امرأة تتعيش من غسيل الثياب بيديها . كما تطرح القصة قيمة جديدة للعمل من ناحية أثره في بناء شخصية الانسان ، ومساهمته في ربطه بالمكان الذي يعمل فيه ، وهي قيمة لم تظهر بوضوح في قصص أخرى كثيرة ، مثل قصة (حكايتها) التي لم يكن للعمل أثر في بطلتها .

وتقدم الكاتبة كل ملامح مضامينها وسط جو من الاحباط الشديد الذي يحيط بالحاج محمد ، وهو احباط يخلقه نقص الامكانيات في مواجهة القوى المعادية ، وهو شبيه بالاحباط الذي تخلل معظم قصص الكاتبة .

ان هذه القصة تلخيص ناجح لفن سميرة عزام القصصي بشكله ومضمونه ، وحتى بموضوعاته الأساسية ، خصوصا وأنها تصور الواقع الجديد الذي يعيش فيه الفلسطيني بعد النكبة ، بعيدا عن أرضه ، وهو قريب منها ، وما يسببه له هذا الواقع من احباط يصل حد اليأس ، وما قد يزرعه فيه من أمل ، يصل الى حد الفعل في بعض الأوقات . □



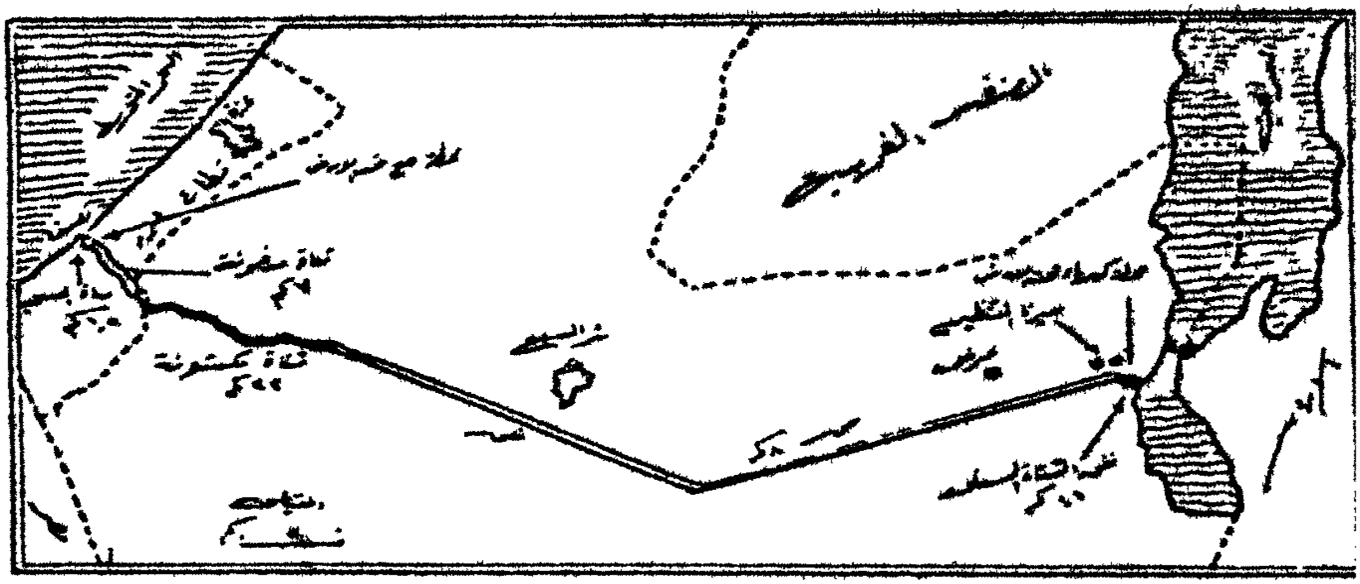
[illegible]

قناة البحرين خطر إسرائيلي قادم

استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : أوسكار متري

أصدر وزير الطاقة الإسرائيلي موشي شاحل قراراً بإطلاق العمل
بمشروع قناة البحرين الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت
بتاريخ ١٢/٦/١٩٨٥م
وأعلنت معظم المصادر الإسرائيلية بدء العمل بالمشروع [illegible]
منذ شهر شباط - فبراير من عام ١٩٨٢ [illegible]
[illegible]



التصميم العام للمشروع .. عن مجلة صامد الاقتصادي

لا هدير ولا صخب ، وموج - أو على الأصح ما اعتقدت أنه موج - .. هادىء مستكين يتلاحق بهمس ، وقلما يعلو أو يطفو فوق بعضه ، يتلاعب بخفة مع النسمات ويتأرجح بتؤدة بين الضفاف باتزان .

تقترب اكثر ، لا يوجد هنا صخب البحار وشقاوة الموجات وسراعها وصراعها المعروف . هنا لا يوجد جبال موج .. ولا زبد يعانق صخور الشاطىء .

مستكين ، ومستسلم لما فيه وحواليه ، خط نهر الاردن يظهر كلسان شق لونه المتطامن ، فادخل لونا يميل الى الازرق الفاتح في مساحة يختلط فيها الازرق الغامق بالأزرق الفاتح ، مسور بجبال على حديه الشرقي والغربي .. ، مساحته الغالبة طولية تبلغ ١٠٥ كلم^{2} ، طوله ٧٦كلم ، ومتوسط عرضه ١٥كلم .

أطلقوا عليه اسم البحر « الميت » لكثرة ملوحته التي تتراوح ما بين ٣٠ الى ٣٣٪ وهي أعلى نسبة ملوحة في البحار والمحيطات ، حيث ان نسبة ملوحة مياه المحيطات تتراوح ما بين ٤ الى ٦ في المائة .

الأحياء لا تعيش فيه ، مع انه غني بعشرات المعادن .

يكمل مساحة الانهدام الطولي الذي يمتد من بحيرة طبريا في الشمال . نصف هذا الانهدام يتألف من سهول الاغوار التي يخترقها نهر الاردن بعد أن يلتقي بنهر اليرموك والنصف الآخر مجرى هو البحر الميت أو البحر المغلق

أخفض نقطة عن سطح البحر في العالم ، تصل الى حوالي ٤٠٠م ، فتلتهب المنطقة بوهج الشمس وحرارتها في الصيف ، ويسود الاعتدال في الشتاء .

الهدوء المريب :

يضايقك الهدوء ، وترتاب فيه وتمد النظر في شتى الاتجاهات ، مدينة اريحا تظهر من وراء سياج الاشجار والمستعمرات - تبعد حوالي ١٠ كيلومترات ، وجبال سوداء وعمال زراعة يعملون في الحقول والبساتين ، وأصحاب جِمال ينتظرون سياحا قلما يأتون في ذلك الشهر - ديسمبر - كانون الأول . وعمال بناء يبنون استراحة حكومية على الشاطىء .

قرية السويمة على مرمى حجر من البحر ، قرية كغيرها من قرى الأغوار تعيش على زراعة الخضراوات والحمضيات والموز ، تحتل ركنا شرقي رأس البحر الشمالي .

هي أيضا فيها جيِّد العمل الصامت العادي والروتيني المعيشي . تُستفزّ من الهدوء .. والعمل العادي والروتيني ، وخصوصا وانك محبأ بتفصيلات

صخب المعلومات عما يسمى بقناة البحرين التي ستغير الكثير من واقع ومواقع الحياة في المنطقة .

تنفجر المفارقة في داخلك وتتحول الى اسئلة . هنا سكينة وهدوء وعمل عادي ، وتطامن « هش » وهناك على الجانب الغربي مشروع عمل ربما يقضي على الكثير من موارد الرزق والحياة على الجانب الشرقي .

تسأل عدنان ابو الوفا خريج ادارة فنادق من مدريد سنة ١٩٧٦ ، ومدير الاستراحة الحكومية التي تبقى على الشاطىء فيجيبك :

« اذا حصل وتم المشروع الاسرائيلي ، فان ما بنيته سيغرق ، وسيغرق معه الكثير من المزارع والمصانع .

● اذن ما العمل ياعدنان ؟

ـ ينقل بصره الى مياه البحر . . ثم الجبال المحتلة . . ثم منشآت العدو على الجانب الآخر . ثم يقول : انظر جيدا . . تلك الجبال البعيدة هي جبال القدس ـ تبعد القدس ٣٠ كيلومترا عن البحر الميت ، انظر النقط البيضاء تلك هي مباني العيزرية على جبال القدس

● اكرر . . ما العمل يا عدنان ؟

ـ يذهب بصره من جديد الى نفس الأماكن .

فأفهم ان السابق لا يختلف كثيرا عن اللاحق ، ودون وجود القوة التي تردع فلابد مما ليس منه بد !

● نسأل المهندس الشاب عمر الحلاق الذي استصلح ارضه الطولية المحاذية لشاطىء البحر ، وحشد فيها تشكيلة من الأشجار المثمرة : التين والعنب والبرتقال والزيتون والموز والرمان والخضراوات . وسقاها بالتنقيط ، وبنى فيها « فيلا » حديثة . مصب نهر الاردن لايبعد عن أرضه الا حوالي ١٣٠٠ متر . حفيف موج البحر الخافت يتحاور مع أسلاك ارضه ويتحاور .

ـ قال المهندس : ان ما بنيناه وتعبنا عليه سنوات يمكن ان يغرق اذا ما تم انجاز مشروع قناة البحرين .

واضاف والده محمد علي الحلاق الذي يرتدي الملابس الفلسطينية التقليدية : على الرغم من [illegible] علينا أن نبقى ونواجه التحديات :

● والمستقبل يا والدي ؟

ـ صحيح انه غير مطمئن . . لكن علينا أن نبقى بالرغم من كل الاحتمالات .

● صرفتم على المزرعة والدار الكثير . .

ـ الحياة مخاسرة ، علينا أن نعمل كأننا نعيش ابدا .

● وموت الغد . . ألا يدخل في الحسبان يا والدي ؟

ـ يجيب الشيخ السبعيني : الأعمار بيد الله يا ولدي .

● ويعلق المهندس « أواديس » . . مهندس سلطة مياه نهر الاردن في المنطقة :

ـ إن مصانع البوتاس والملح وغيرها ، وهي من اكبر المصانع والاستثمارات في المملكة الاردنية يمكن ان تغرق اذا ما مضى الاسرائيليون في اتمام مشروع قناة البحرين ، بل ربما تتأثر مياهنا الجوفية من زيادة حقن المياه في البحر .

● واكد السيد عبدالجواد صالح عضو لجنة تنفيذية سابق في منظمة التحرير الفلسطينية ، ورئيس بلدية سابق لمدينة البيرة :

ـ ان خطورة القناة ليس في كونها خطرا على المنشآت والمصانع والمزارع الاردنية ، او تصادر حقا للفلسطينيين والاردنيين فحسب ، بل في اضافتها طاقة كهربائية كبيرة للعدو ، وانها ستمثل حاجزا بين فلسطين ومصر ، هذا عدا كونها تضيف مشروعات حيوية مهمة في صحراء النقب ، مما يزيد من عدد السكان الاسرائيليين ويساعد في تنمية القوة الذرية الاسرائيلية .

وقائع قريبة :

عزيزي القارىء هذه بعض ملامح من أخطار ما يسمى بقناة البحرين التي يخطط لها ان تربط بين البحر الأبيض المتوسط عند نقطة القطيف بين غزة وخان يونس على البحر الابيض المتوسط لتصل الى البحر الميت عند نقطة قريبة من قلعة مسعدة او ماسدا التي يتخذها الصهاينة رمزا للمقاومة اليهودية وعدم التسليم .

فما هي قصة هذه القناة ؟ وما هي [illegible] التي [illegible] بالواقع منها ؟

نبدأ بالوقائع الحديثة والقريبة :

ـ بتاريخ ١٩٨٠/٨/٢٤ اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرارا سياسيا بالاجماع يقضي بالعمل على

تنفيذ مشروع قناة البحرين .

ـ ويوم الخميس ٢٨/٥/١٩٨١ ازاح مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي يومها الستار عن نصب تذكاري بمناسبة بدء العمل بمشروع شق القناة بين البحرين ، وقد اقيم احتفال بهذه المناسبة بالقرب من قلعة مسعدة او مسادا .

ـ ذكرت صحيفة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ٢٢/٣/١٩٨٥م الخبر التالي : « انه الى الشمال من مصب « زوهر » على شاطىء البحر بدأت بتاريخ ٢١/٣/١٩٨٤ اعمال حفر نفق الابحاث التابع لمشروع قناة البحرين الذي يصل طوله ـ اي النفق ـ الى ١٤٠٠ متر وهيكله مربع ، حيث تم حفر الامتار الأولى في النفق ، وقالت الصحيفة انه قد تم خلال الشهرين الماضيين شق وتسوية طريق الى المكان الذي بدأت فيه اعمال حفر النفق لتمكين المعدات الثقيلة التي ستقوم باعمال الحفر من الوصول الى الشمال من مصب « زوهر » والبدء بعملها وفي هذا المكان سيكون المدخل الشرقي للنفق الأرضي ، في حين انه وعند مدخله الغربي ستقام محطة توليد ارضية ، كما قامت شركة تطوير المحاجر بأعمال الحفر المتعلقة بهذا النفق في نفس اليوم » .

ـ وبتاريخ ١٢/٦/١٩٨٥ اصدر موشي شاحل وزير الطاقة الاسرائيلي أوامره لايقاف العمل في نفق التجارب لقناة البحرين بشكل نهائي وفوري حسب تصريحه الذي نقلته عنه الصحافة في اليوم التالي بسبب اعذار شتى منها عدم وجود تمويل كاف للمضي قدما في المشروع .

لمحة من تاريخ :

فكرة اقامة قناة لتوليد طاقة كهربائية من مساقط المياه المتأتية من فرق انخفاض البحر الميت عن مستوى سطح البحر المتوسط فكرة قديمة ، بل إن فكرة ربط البحرين المتوسط والميت بخليج العقبة والبحر الاحمر ثم المحيط الهندي راودت اذهان الانجليز في القرن التاسع عشر وذلك لربط ممتلكاتها .. بدرة تاج الامبراطورية الانكليزية : الهند ، لأجل اختصار الطريق البحري .. قبل انشاء قناة السويس ، وبعد ان تم انشاء قناة السويس فان الانكليز صرفوا النظر عن المشروع السابق .

الا ان ثيودور هرتزل القائد والمنظر الصهيوني المعروف التقط جزءا من الفكرة فسجلها في كتابه « التنويلاند » الصادر سنة ١٩٠٢ حيث ذكر ضرورة انشاء قناة بين البحرين الابيض المتوسط والبحر الميت ، يصل عرضها الى عشرة امتار لزيادة كمية الكهرباء واقامة مصانع عديدة .

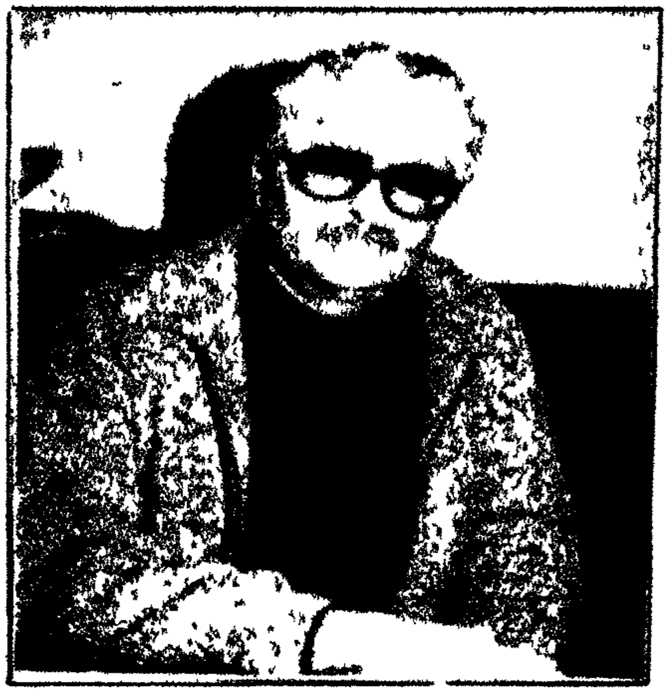
وصف فني للمشروع :

طُرحت عدة مشروعات لوصل مياه البحر المتوسط بمياه البحر الميت منها : الشمالي الذي يصل بين حيفا على البحر المتوسط وبيسان القريبة من مجرى نهر الاردن ، او الأوسط بين رحوبوت على البحر المتوسط وتل قمران على الجزء الشمالي الغربي من البحر الميت ، ويمر بين القدس وبيت لحم .

أما التفصيلات المتعلقة بالمشروع الجنوبي الذي تم اعتماده فان الكثير من المصادر تجمع على ان مواصفات المشروع تتكون من :

ـ بداية المشروع تمتد من تل القطيفة على شاطىء البحر المتوسط بين منطقتي دير البلح وخان يونس في قطاع غزة المحتل . وينتهي في منطقة مسادا بالقرب من البحر الميت مارا بالنقب الشمالي جنوبي بئر السبع .

يبدأ الخط بسحب مياه البحر الابيض المتوسط بواسطة جهاز « ادخال للمياه » يركب اسفل الجرف المتعرج في تل القطيفة ، ويتوغل هذا الجهاز ٦٠٠ متر داخل البحر بواسطة عائم بحري حاجب للامواج حيث تركب مضخات كبيرة تضخ ٥٠ مترا مكعبا من المياه في الثانية عبر انبوب ضغط يبلغ طوله ٧ كلم الى منطقة التلال شرقي قطاع غزة ، ومنها ترفع المياه بواسطة مضخات خاصة الى ارتفاع مائة متر فوق سطح البحر بالقرب من مستعمرة ينريم التي تبعد عن خطوط الهدنة بالقرب من حدود قطاع غزة حوالي ٣ كلم . وبعدها تصب المياه بفعل الجاذبية والثقل في قناة مفتوحة ذات جدران من الاسمنت ويبلغ طولها ١١ كلم وعرضها ما بين ١٠ الى ٢٠ مترا ، وفي منطقة الخلصة في النقب يبلغ عرض القناة ٢٠ مترا وستكون



عبد الجواد صالح

بحيرة كبيرة يمكن استخدام مياهها لاغراض التبريد في المحطة النووية وكمواقع سياحية جديدة . ثم ستتدفق المياه بعد ذلك عبر نفق يقع على عمق ٤٠٠ متر ويبلغ طوله ٨٦ كلم وقطره خمسة امتار . ويقطع النقب الشمالي جنوبي بئر السبع ، وتسير المياه هنا في قناة مغلقة عبر الكتلة الصحرية في جبال عراد حتى تصل الى بركتي تجميع للمياه شمالي غربي مسادا على المرتفعات التي تطل على البحر الميت . وستقام في اسفل بركتي التخزين محطة الطاقة الهيدروكهربائية داخل الصخور مقابل لسان البحر الميت . ثم تتساقط المياه من ارتفاع ٤٠٠ متر على حافة الجرف في انبوب ضغط لتشغيل اربعة طوربينات للمحطة . وبعدها تتدفق المياه على البحر الميت الذي ينخفض منسوبه بمقدار ٤٠٠ متر تحت سطح البحر تقريبا .

ويتضمن المشروع ايضا كما ذكر سمير جبور وبولا البطل ورندة حيدر في كتاب « قناة البحرين المتوسط والميت » وكما ذكر د . محمد سلامة النحال في كتابه الذي يحمل نفس الاسم السابق « قناة البحرين المتوسط والميت » .

« اقامة سبع بحيرات على مرتفعات مستعمرة يشير فوق شواطيء البحر الميت وعلى مستوى سطح البحر المتوسط ، وسوف تتدفق المياه منها وتسقط في البحر الميت من ارتفاع ٤٠٠ متر ، وسوف يقام حول هذه البحيرات الفنادق ونوادي الاصطياف ودور السكن الحديثة ، وبواسطة مياه هذه البحيرات يتم توليد الطاقة الكهربائية عن طريق محطة تقام تحت الأرض .

ويستغرق انجاز العمل حوالي عشر سنوات اذا ما تم المضي قدما في انجاز المشروع ، ويبلغ الطول الاجمالي للقناة حوالي ١١٤ كيلومترا ويتراوح عمقها في بعض المناطق ما بين ٤٠ الى ٥٠ مترا ، وسيتم رفع مستوى البحر الميت في السنوات الأولى من انجاز المشروع الى حوالي ٣٩٠ مترا بعد ان وصل انخفاضه الان الى حوالي ٤١٠ أمتار

ويتضمن المشروع انشاء محطات لاستغلال الطاقة الشمسية ، وطبقا للمصادر الاسرائيلية فان الطاقة الكهربائية التي سينتجها المشروع تتألف من ٦٠٠ ميغاواط من المحطة الهيدروكهربائية ، و١٨٠٠ ميغاواط من محطتين للقوى النووية و١٥٠٠ ميغاواط من محطات الطاقة الشمسية (هذا اذا امكن تنفيذ تلك المحطات الأخيرة فنيا) .

فوائد ومضار :

هذا ويمكن اضافة عدة فوائد اخرى للكيان الصهيوني من جراء تنفيذ القناة . . منها :

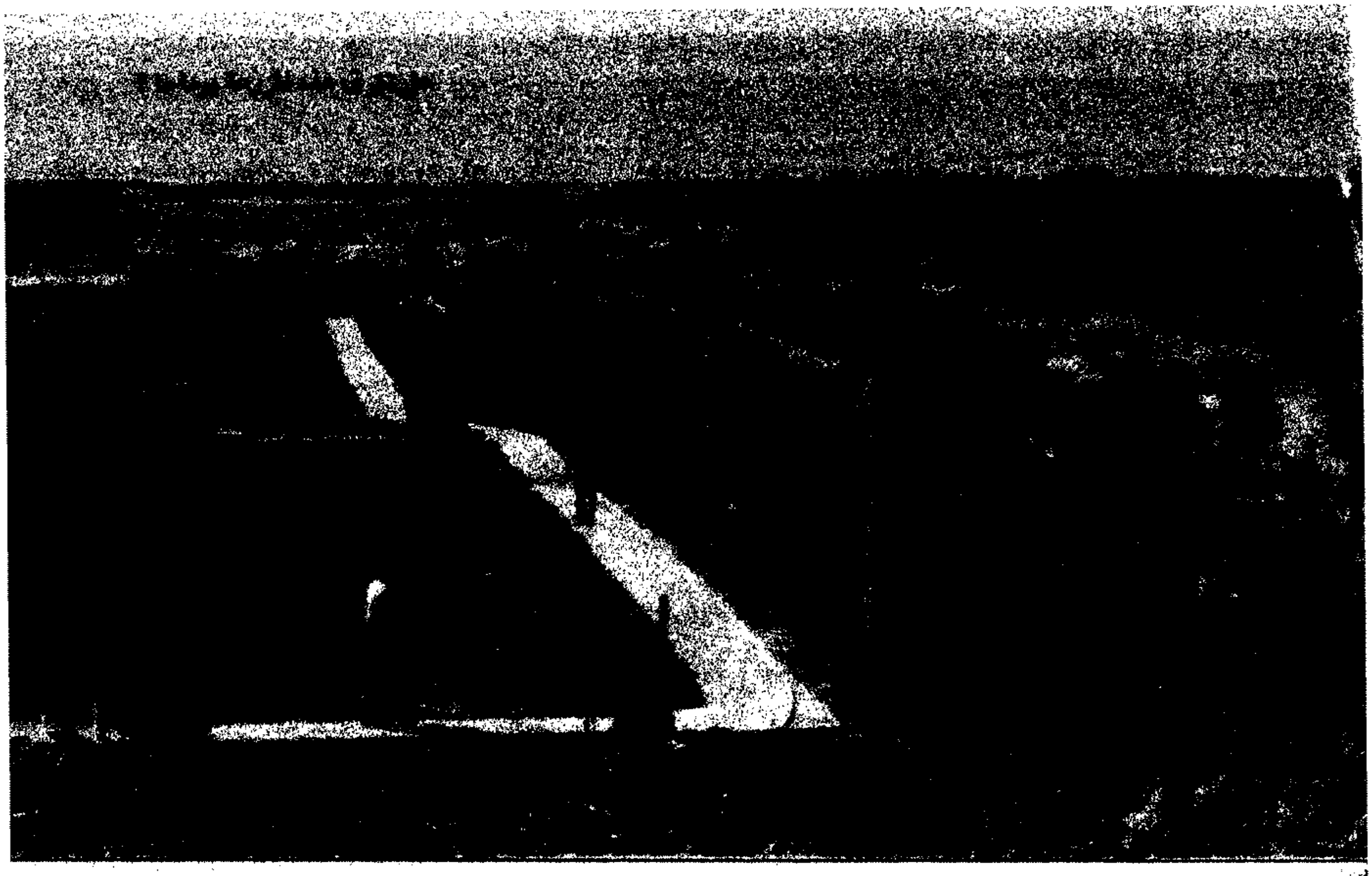
ـ استغلال الصخور الزيتية القائمة في البحر الميت لانتاج ما يقرب من ٢٠ الف برميل من الزيت الخام يوميا .

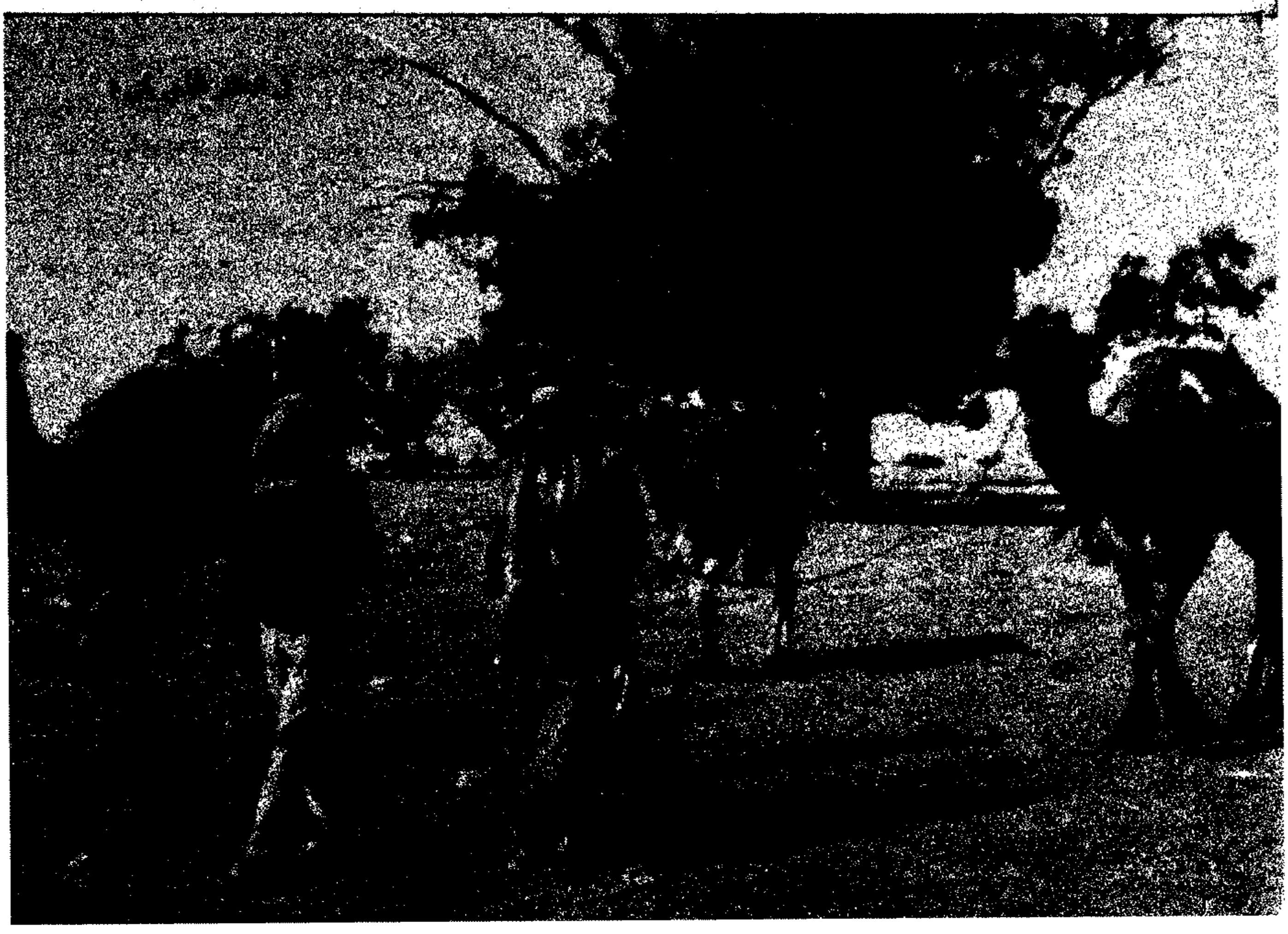
ـ تحلية مياه البحر لاغراض الشرب والزراعة والصناعة .

ـ اقامة مستوطنات زراعية (حوالي ١٠٠ مستوطنة) على امتداد النقب الشمالي وزيادة عدد السكان في المنطقة مما يهدد القطرين المصري والاردني ويثبت الاحتلال خصوصا في الاراضي التي تم احتلالها بعد عام ١٩٦٧م . كما جاء في مجلة صامد الاقتصادي العدد ٥٢ نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٨٤م . اما أضرار المشروع على الجانب الاسرائيلي فيمكن ايجازها بالتالي : ـ

ـ لن يغطي المشروع تكاليفه التي ستصل الى حوالي مليار وخمسمائة الف من الدولارات الا بعد مضي







حوالي ثلاثين عاما من بداية تشغيله وانتاجه .

- ستلحق الاضرار بمصانع البوتاس الاسرائيلية القائمة وستخسر حوالي ٢٠ مليون دولار في السنة نتيجة هذه الاضرار .

- ستتغير تركيبة المياه والمعادن في مياه البحر الميت ، بحيث تتحول المياه الى خليط من الجبس الأبيض حسب ما جاء في بعض المصادر الاسرائيلية .

أما الجانب الاردني فان اخطارا كثيرة ستلحق بأراضيه ومنشآته الصناعية والسياحية ومزارعه وسكانه بعد انجاز المشروع - منها :-

- اغراق الأراضي نتيجة رفع مستوى سطح البحر الميت .

- غمر المنشآت والمرافق السياحية .

- غمر بعض منشآت مصانع البوتاس .

- التأثير سلبيا على استغلال بعض المعادن مثل : صخور البوتاس ، والملح والقار ، والبترول والغاز .

- غمر بعض الاراضي الزراعية مما سيؤدي الى هجرة السكان .

- احتمال حدوث زلازل وبراكين نتيجة ازدياد الضغط على قعر البحر الميت .

- احداث تغييرات بيولوجية نتيجة تدفق المياه من مصادر جديدة .

- تحريك الحد الفاصل بين المياه الجوفية العذبة والمالحة .

والسؤال هنا : اذا كانت القناة تحقق هذه الفوائد للجانب الاسرائيلي وتلحق هذه الاضرار الكبيرة والكثيرة للجانب العربي . . فلماذا اصدر موشي شاحل وزير الطاقة الاسرائيلي اوامره بايقاف العمل بالمشروع ؟

أسباب اقتصادية وسياسية :

ان اجتهاداتنا في هذا الموضوع تتركز على جانبين :

١ - جانب اقتصادي ٢ - وآخر سياسي .

بالنسبة للجانب الاقتصادي فاننا ذكرنا ان تكاليف المشروع ستصل الى حدود مليار وخمسمائة الف دولار ، وان تغطية التكاليف لن تتحقق الا بعد ثلاثين سنة تقريبا . فاذا اضفنا الى ذلك بان هناك عجزا كبيرا في ميزان المدفوعات الاسرائيلي وصل الى حوالي ٣,٥ مليار دولار في نهاية عام ١٩٨٤ وبلغت الديون الخارجية حوالي ٢٣ مليار دولار في نهاية عام ١٩٨٤ ، ووصلت بطالة الايدي العاملة في الربع الاخير من عام ١٩٨٤ الى حوالي ٩٨ الف عاطل عن العمل ، أي ما يعادل ٦,٩ من قوة العمل المدنية ، وقد قدر مكتب العمل الاسرائيلي أن عدد العاطلين عن العمل سيصل في نهاية عام ١٩٨٥ الى حوالي ١٧٠ الف عاطل في الكيان الصهيوني . كما جاء في صحيفتي يديعوت احرونوت وهآرتس الصهيونيتين (تاريخ ١٩٨٥/١/٢٩) .

فاذا اضفنا الى هذا العامل المهم ، عاملاً آخر يتمثل في اقامة العدو الصهيوني لمشروعين حيويين هما :-

- مشروع صناعة طائرة اللافي الذي تبلغ تكاليفه حوالي مليار وخمسمائة مليون دولار .

- بناء مفاعلات نووية لانتاج الطاقة الكهربائية تصل تكاليفها الى نفس تكاليف المشروع السابق .

هذه المشروعات الثلاثة العملاقة تتطلب مبالغ كبيرة تعجز ميزانية العدو المرهقة بالديون عن القيام بها كلها دفعة واحدة .

وقد ذكر جدعون بات وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي السابق « بأن مشروع قناة البحار ، ومشروع طائرة اللافي واقامة المفاعلات النووية للطاقة تتطلب مصادر تمويل ضخمة ، وانه يؤيد تخفيض حجم اعمال المشاريع الكبيرة بسبب الكلفة المالية العالية المطلوبة لتنفيذها » . كما جاء في مجلة الأرض العدد ٢٠ من السنة العاشرة ١٩٨٣/٧/٧ نقلا عن صحيفة دافار الاسرائيلية الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٥/١١ . فاذا اضفنا الى ذلك اسعار البترول التي اخذت تميل الى الانخفاض مما يشجع على الاعتماد عليها ، بدلا من السعي وراء مشروع ضخم التكاليف ، وقد ذكرت صحيفة على هميشمار الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٢/١٧ « ان مشروع قناة البحار جدير بالحفظ ضمن (حجرة التجميد) في الظروف التي تسود الآن سوق الوقود العالمي بعد خفض الاسعار الى ٢٨ دولارا للبرميل الواحد من النفط ، ويتوقع محللون في البنك الدولي وفي منظمة مستهلكي الطاقة هبوطا آخر في اسعار الوقود » .

مفاوضات ما يسمى بالحكم الذاتي حيث ان القناة ستمر من قطاع غزة » .

أما اليشع كالي اخصائي تخطيط في شركة المياه الاسرائيلية ـ تاهال فكان اكثر وضوحا . . فقال : « لو اخذنا البعد السياسي بالحسبان لرأينا ضرورة تفضيل مشروع آخر على مشروع البحار ولأقمنا « مشروع سلام » يتلخص في الاستفادة المشتركة « للدولتين » يعني الاردن والكيان الصهيوني من الطاقة الناتجة من المشروع كما جاء في مجلة الارض الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٨/٧ نقلا عن صحيفة دافار الصهيونية الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/١/١٦ .

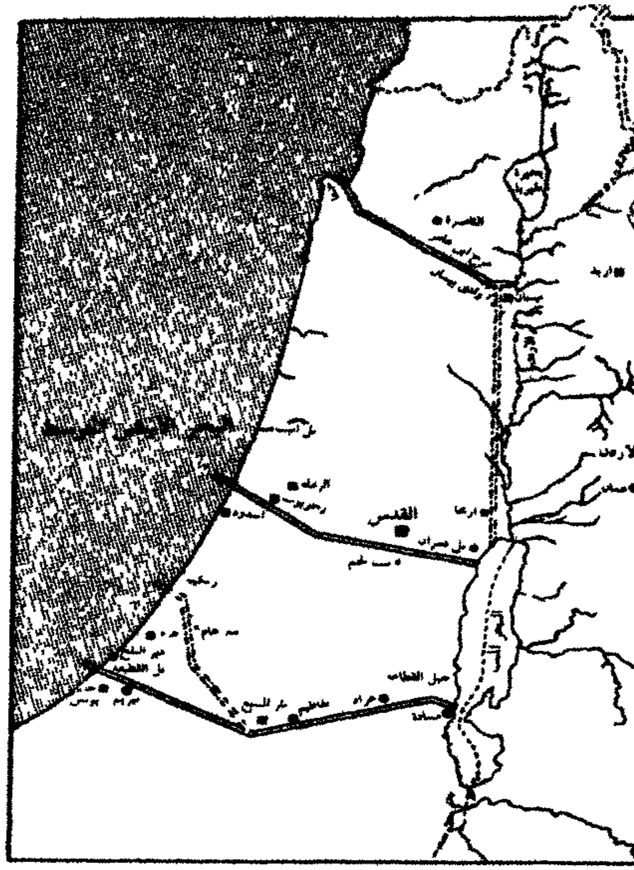
عنق التاريخ :

هذه بعض العوامل الاقتصادية والسياسية التي ساهمت في اتخاذ قرار وقف العمل بمشروع قناة البحرين ، اعني ان هذا المشروع قد تم تجميده لا إلغاؤه ، وانه يمكن الرجوع اليه والاستمرار فيه ، متى ما توفرت الظروف الاقتصادية والسياسية المناسبة .

فهل تبقى الجغرافيا ساكنة هادئة تنتظر قرار التاريخ على الجانب الغربي من البحر الميت ؟ وهل « قدر » الجانب الشرقي من البحر هو الاستكانة وانتظار فعل الجانب الاخر الذي سيغير من طبيعة الجغرافيا ويمسك التاريخ من عنقه ؟

وبعد : الموج او ما اعتقدت انه موج يمشي الهوينا في البحر الميت ، لا ضوضاء ولا هدير ، مستسلم وهادىء ومستكين . . لازبد ولاصراع او تسارع مع ان الصراع عليه وحواليه كبير وخطير .

وهكذا وانت تولي ظهرك لهذا البحر . . تنفجر في ذهنك المفارقة : بحر هادىء الا أن المخاطر تحف بمصيره ، وورش العمل التي تنتظر اشارة البدء في جانبه الغربي ستغير الجغرافيا لتوجه « رسن » التاريخ الى الوجهة التي تريد ، وعندها قد يختلف الموج . . ويغير من طبيعته . . وربما يصبح اكثر شراسة وزخماً وتصارعا ، وأقل رحمة ورأفة . ويصبح موز وبرتقال وخضراوات الأغوار اكثر ملوحة ودموية وشوكا . . او ربما . . يوأد في مهده !! □



خريطة الخطوط الثلاثة لمشروع قناة البحرين

هذا والجدير بالذكر أن كتلة المعراخ التي تحكم في « اسرائيل » الان كانت تحاول الانتقاص من قيمة هذه المشروعات في اثناء حكم كتلة الليكود ، وتقلل من الفوائد الاقتصادية لهذه المشروعات وتنعتها بانهامشروعات اعلامية وسياسية هدفها الكسب الانتخابي وليس تحقيق الجدوى الاقتصادية . وبما ان هذه الكتلة اصبحت على رأس الحكومة الان ، فانها اوقفت مشروع قناة البحرين .

اما الجانب السياسي لقرار وقف العمل بقناة البحرين الان فانه يستند على خيار مشروعات « السلام » التي أخذت تروج في المنطقة ومنها مشروع « السلام » مع الاردن .

ذكرت صحيفة هتسوفيه الاسرائيلية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/١ مايلي :

« ان هذا المشروع ـ قناة البحرين ـ سيؤثر على آفاق السلام مع الاردن ، كذلك فانه سيؤثر على





مصنع
للفوسفات . . .
يمكن ان يغرق بعد
انجاز مشروع
قناة البحرين

احتفالات على البحر
الميت . عندما كان
الخطر بعيدا .

وجهاً لوجه



الطيب صالح و صلاح حزين

* نحن نقرأ الادب الاجنبى لنكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه .
* ماركيز نهل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة .
* أنا لاأحب تعقيد العمل دون سبب ، كما أننى لاأتعمد البساطة .
* الرواية العربية تمكنت من طرح الأسئلة الكبيرة واستكشاف آفاق الحياة العربية .
* البلدة الوهمية التى أكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذي ابتدعته .
* احدى مُتعي هي التعبير عن أفكار معقدة من خلال شخصيات بسيطة

في منتصف الستينات ، عندما كان عدد الروائيين العرب يعد على الأصابع برز اسم الطيب صالح كروائي متميز . يومها كانت روايته « موسم الهجرة الى الشمال » موضع اهتمام الأوساط الأدبية في جميع أنحاء الوطن العربي ، فقد كان هناك الكثير مما يدهش في هذا العمل الأدبي الفذ القادم من قلب افريقيا العربية .

ورغم أن « موسم الهجرة الى الشمال » لم تكن العمل الأدبي الاول للطيب صالح الا أنها كانت السبب في لفت الانظار اليه ، وانتظار أعماله التالية . فقد كانت الرواية تطويرا نوعيا لفكرة لقاء الشرق بالغرب التي تناولها من قبله روائيون آخرون ، لكنها جاءت هنا لتطرح أبعادا جديدة لهذا اللقاء الرهيب . ومن ناحية اخرى فقد اثارت بين الأوساط الادبية قضايا تتعلق بموضوع الرواية وفنيتها وتقنيتها ومحتواها والمستوى الذي وصلت اليه الرواية العربية . وأخيرا فقد تنبه النقاد العرب الى حقيقة أن هذا العمل قادم الينا من قلب افريقيا وليس من مراكز الابداع الأدبي التقليدية في مصر والشام والعراق .

المداحون وشكسبير



● في رواياتك يختلط السحر والأعمال الخارقة برتابة الحياة الريفية التي تركت أثرا واضحا عليك فهل لك أن تحدثنا عن أوشاب البداية والتكوين الأولى ؟

ـ منذ البداية استفدت كثيرا من الشعر العربي ومن مؤثرات خاصة في البيئة السودانية نفسها . فقد قرأت القرآن الكريم في الكُتّاب الذي يسمى عندنا « الخلوة » وهذه مسألة مهمة جدا ، فمثل هذه الدراسة تعطي المتلقي حساسية فائقة للغة والجرس . وانا أحب كثيرا من السور في القرآن لان لها جرسا خاصا مثل سورة الرحمن ومريم والانسان . كما استفدت كثيرا من خصوصيات المنطقة التي نشأت فيها في شمال السودان ، وهي منطقة اجتمعت فيها مؤثرات الحضارة الفرعونية القديمة بالمؤثرات العربية . وخصوصا تأثير أناس يقال لهم المداحون الذين كانوا ينشدون بأصواتهم الجميلة على أنغام الطار شعرا في مدح الرسول ﷺ بلغة فصحى رغم عدم تمكنهم من اللغة . ثم ان منطقتنا هي امتداد لقبائل الكبابيش وهم من عرب جهينة الذين يعتبرون أكبر تجمع بدوي في العالم العربي وهم يتحدثون لغة قريبة من لغة أهل الجزيرة العربية . يأتي بعد ذلك الاهتمام بالشعر العربي القديم ثم الادب الحديث واعلامه ، وانتقلت بعد ذلك للآداب العالمية . وقد تأثرت كثيرا بأعمال اثنين من عمالقة الأدب الانكليزي هما شكسبير وجوزيف كونراد الذي اعتبره الاستاذ الاكبر لفن الرواية في هذا القرن . وقد أثر في كثير من الكتاب الانجليز أنفسهم ، ومنهم غراهام غرين الذي لايزال النقاد يراقبون أثر كونراد في أعماله . لكن من الصعب الوقوع على أثر مباشر لهؤلاء الكتاب في أعمالي .

الرحلة والرحلة المعاكسة

● لكن من يقرأ روايتك «موسم الهجرة الى الشمال»ورواية«قلب الظلام» لجوزيف كونراد يقع على أكثر من وجه للشبه مثل فكرة الرحلة من أوروبا الى افريقيا ، وهي معكوسة في روايته ، ثم الصراع الذي يأخذ شكلا عرقيا ، والموت في النهر في النهاية ، بل وقضايا فنية مثل الراوية بدوره الثانوي يحكي قصة شخصية فذة . . الخ

بالطبع رواية « قلب الظلام » من أعظم الروايات في هذا القرن ، وربما يكون هناك وجه للتشابه

وخصوصا من حيث رحلة مصطفى سعيد من افريقيا الى اوروبا التي ربما تكون رحلة معاكسة لرحلة « كورتز » في قلب الظلام ، لكن هناك اختلافا بين كل من الشخصيتين . فكورتز أوروبي فاورستي وهو نتاج واقع ثقافي محدد يختلف عن حال مصطفى سعيد . وحين كتبت موسم الهجرة « كنت تحت تأثير فرويد ، وكنت قرأت كتابا لاحد تلامذته اسمه ماننغر بعنوان «الانسان ضد نفسه» فأثر بي جدا . لذا فان في هذه الرواية بعض مؤشرات علم النفس لكن الكاتب عندما يجلس ليكتب فانه يكون هو نفسه في نهاية الامر .

وبالمناسبة فان فكرة الرحلة في الادب العربي فكرة أساسية . ومنذ القصيدة الجاهلية ظلت الرحلة كفكرة مسيطرة على مجمل الأعمال الادبية العربية . فالشاعر الجاهلي يبدأ بوصف الناقة التي يرتحل عليها ، ثم تبدأ عملية الرجوع او مايسمى فلاش باك . ويحضرني الان كلام قلته سابقا واعتقد أنه صحيح . فنحن نقرأ الأدب الاجنبي او الفكر الاجنبي لانستفيد من شيء غير موجود لدينا بل لنكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه . والنقد العربي في احدى مراحله أبخس من القصيدة الجاهلية بحجة أنها غير عضوية مع أنها في تقديري متقدمة مرحليا عن كل الشعر الانجليزي مثلا،والثغرات الموجودة بين بيت الشعر والاخر مليئة بالمعاني وليست خالية كما يقال. وفي نهاية الامر فان الكاتب العربي يغرف من أدب عظيم . ومايسمى بتأثير الكتاب العرب هو تلاقح بين أدب خصب هو الأدب العربي وبين ايضاحات لديه لم يكن منتبها لها أصلا .

العنصرية المضادة



● ثمة من يقول بأن مصطفى سعيد في « موسم الهجرة» يمثل مايمكن تسميته « بالعنصرية المضادة » فقد كان يتعامل مع البيض بقسوة تعكس قرونا من الاضطهاد اتخذ احيانا شكلا انتقاميا عنيفا ؟

ـ بعض النقاد العرب يبحثون عادة عن عمل اجنبي ويضعون مقابله عملا عربيا يشبهه . وأنا يشرفني أن اكون متأثرا بكونراد ، لكنني لا أعتقد أن من المفيد أن نحضر رواية « قلب الظلام » لنبدأ عملية البحث عن مواقع التأثير هنا وهناك .

واحيانا أقرأ اشياء عجيبة مثل تأثري بكولن ويلسون أو د . هـ . لورنس أو كامو . لكن التراث الانساني واحد فيما اعتقد . وأرى أن كاتبا مثل جابرييل ماركيز قد نهل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة التي احدثت أثرا كبيرا في الشكل في أوروبا عند ترجمتها الى الانكليزية . تماما مثلما حدث عندما تسرب الشعر العربي من الأندلس الى أوروبا عن طريق شعراء التروبادور . ليس هنالك ما هو « قح » هذه الايام . المهم هو سمات العمل الخاصة . ولابد لكل عمل أن يبرر نفسه من خلال نفسه .

اما عن فكرة العنصرية المضادة ففي رأيي أن سلوك الشخصية لاتمليه قواعد اجتماعية أو سياسية وأنا في هذا قريب جدا من فرانز فانون في (معذبو الارض) الذي يقول ان الاستعمار هو نوع من الاغتصاب حتى بمعناه الجنسي . وحتى التعبيرات التي تستخدمها أمة تستعمر أمة اخرى تحمل معنى الاخصاء لذا فان اثبات الفحولة عند مصطفى سعيد هو اثبات للشخصية وليس اذلالا للاخرين عمدا والانتقام منهم .

الحوار مع النفس

● تكرر الشخصيات في جميع رواياتك وتتحرك في مكان مفترض ومجتمع مفترض في الشمال الأوسط للسودان فهل تلك محاولة لترسيخ صورة مكان ما باشخاصه وناسه وحركته أم هو تكنيك خاص أخترته لرواياتك ؟

ـ من حيث التكنيك الروائي فان الكاتب يجد نفسه باستمرار في حوار مع نفسه ومع فنه . ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في شعر المتنبي مثلا الذي اعتقد انه كان مشغولا بالقصيدة ، وكل رحلاته الى القاهرة وحلب والكوفة . . الخ .

وربما كان هذا ايضا ماقصده شكسبير بقوله « المسرحية هي المسألة » . وهذه كلها اشكال مختلفة

لحوار الكاتب مع فنه . واحدى متعي هي التعبير عن افكار معقدة ، من خلال شخصيات بسيطة . ويمكن القول أن البلدة الوهمية التي اكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذي ابتدعته ، تتحرك فوقه الشخصيات . وفي رواياتي الاخيرة ،«بندر شاه» ضو البيت«ومريود» تكررت الشخصيات لافي المكان فحسب بل في الزمان ايضا ، فقد تكررت عبر قرون نفس الشخصيات ولكن بأسماء اخرى ، وحتى الان فانني لاأشعر بالرغبة في خلق مسرح آخر فأنا احس بأنه لاتزال هناك مادة لم استنفدها بعد ، بل ان كل مافعلته هو انني نبشت السطح ولم أغص في أغوار تلك الشخصيات .

*** ألا تعتقد أن هذا يؤدي الى بروز قضية فنية أساسها التطور الافقي للشخصيات بدل تطورها في العمق ؟ اذ تبقى الشخصيات بنفس سماتها واسمائها ووظائفها ومواقعها ؟**

اني لاأقصد خلق أحداث تدهش القارىء بقدر تقديم احداث تؤدي الى نوع من التنامي الوجداني للشخصيات ، فان في ذهني أفكاراً اتابعها من خلال هذه الشخصيات . فشخصية مريم في « مريود » هي بشكل ما امتداد لنعمة في « عرس الزين » وحسنة في « موسم الهجرة الى الشمال » ولكن من خلال أوضاع مختلفة تماما . واعتقد بأن القارىء لو سار معي ببعض الاهتمام فسيجد أن هذه الشخصيات تشبه بعضها ظاهريا لكنها تختلف في الوقت نفسه،أما أن تنمو الشخصية بمعنى أن تتقلب بها الاحوال وتتعرض لمقادير مختلفة فقد جربت هذا ايضا في « موسم الهجرة الى الشمال » وذلك لضرورات موضوعية وفنية . وعموما فان لنمو الشخصية عندي منطقا آخر . وانني كثيرا ما أتساءل الى أي حد نحن ننمو ؟ فالعمر يتقدم بنا وننتقل من مكان الى آخر لكن لحظات النمو نادرة . فهي ليست مايبدو على وجوهنا من غضون . ان هذه اللحظات بمعناها العميق نادرة جدا . لذا ، فان الكشف الحقيقي في العمل الفني ربما يأخذ شكلا عاديا جدا ويحدث بطريقة عضوية جدا . ولااعتقد أن الكاتب بحاجة الى رسم دراما كبيرة لخلق هذا التأثير .

العربي والافريقي

*** من حيث الصنعة الفنية ، لو استعرنا تعبير الناقد الانكليزي بيرسي لابوك ، فان رواياتك تنتمي الى تقليد الرواية الاوروبية من حيث قوة المعمار الفني وتماسك احداثها والاقتصاد في لغتها ، ومن حيث الاجواء فانهاشديدة المحلية مما يجعل أعمالك تنتمي الى الرواية الافريقية التي تحمل هذه السمات وليس الرواية العربية فما رأيك ؟**

ـ ربما كان وجه الشبه بيني وبين كاتب افريقي مثل « تشينوا أتشيبي » هو انني مثله درست اللغة الانكليزية وامتلكتها تماما . وهذه اللغة كما هو معروف ليست لغة خطابة واستطراد ، وقد يكون تأثير هذه اللغة على كاتب عربي مختلفا عن تأثير اللغة الفرنسية مثلا . وربما تؤدي الى احساس مختلف عما يحدثه كاتب ليست لديه معرفة بلغة اخرى . وأنا اتوقع مزيدا من التنوع عندما يبدأ بالكتابة أولئك الذين امتلكوا ناصية اللغة الروسية او الصينية مثلا . وكل هذه الامور تثري اللغة العربية بلا شك . ورغم كل ذلك فانني اعتقد ان هناك حيوية مافي الادب العربي ، ويشرفني أن أكون جزءا من انتاج ادبي اعتقد انه حي وغزير . وعلى أي حال فأنا اعتقد أن بعض الكتاب الأفارقة مثل اتشيبي وسوينكا ونغوغي كتبوا بدوافع وطنية بالدرجة الاولى ، كما أن « نغوغي » مثلا بدأ يكتب اخيرا بلغة محلية مما يؤكد ماذهبت اليه .



*** تتميز رواياتك عموما بالبساطة الشديدة التي تجعلها اقرب الى الحكاية ربما باستثناء «موسم الهجرة الى الشمال»ففيها قدر كبير من الصنعة الفنية . لكنك ذكرت اكثر من مرة كم هي مضنية لحظة الكتابة بالنسبة لك فكيف تفسر الجمع بين المعاناة الكبيرة قبل وأثناء الكتابة ، والبساطة الشديدة في الانتاج الفني ؟**

ـ لاأدري كيف اجيب عن هذا السؤال لكن

يحضرني قول الناقد الانكليزي هازلت الذي يقول بأن « البساطة هي نتاج عملية معقدة » أنا لا اعتقد أن هناك شيئا اسمه البساطة . وفي موسم الهجرة الى الشمال أقول « ان الشجرة تنمو ببساطة لكن كم هو معقد أن تكون الشجرة شجرة » . وأنا لا احب أن اعقد العمل دون سبب رغم بعض الاتهامات لي بتعقد أعمال مثل مريود وضو البيت . كما أنني لا اتعمد البساطة ، ايضا فيما يسمى بالشكل والمضمون هما في واقع الامر شيء واحد .

الأسئلة الكبيرة

● هناك مايشبه الاجماع بأن الرواية العربية منذ السبعينيات قطعت شوطا كبيرا وحققت انجازات مهمة . ماهو تقييمك الخاص لهذه الانجازات ؟

ـ دون الدخول في تفاصيل لاداعي لها ، اعتقد أن الرواية العربية اصبحت اضافة كبيرة للادب العربي . وقد تحقق ذلك بمجهودات اناس كثيرين لايحصون عدا عن نجيب محفوظ الذي قام بدور ريادي في مجال الكتابة الروائية الى مايتنجه كتاب جدد آخرون في تونس والمغرب والعراق وغيرها . ولاشك أن الرواية العربية قد تمكنت من طرح الاسئلة الكبيرة وقامت بمحاولات نبيلة لاستجلاء واستكشاف آفاق الحياة العربية والوجدان العربي ، وربما اكثر من أي فرع من فروع الكتابة ربما كانت هناك بعض المحاولات الفاشلة ولكن لو قارنا بين الجانب الابداعي عموما ومنه الروائي وبين الاضافات في مجال الفكر مثلا فاننا نجد أن الرواية قد اضافت اكثر .

● في السنوات الاخيرة بدأ الأدب في امريكا اللاتينية يتحول الى ظاهرة عالمية في الوقت الذي بهت فيه الابداع الروائي الاوروبي . فهل أنت مع القول بنمو شجرة الادب في امريكا اللاتينية بينما تحولت الرواية الاوروبية الى شجرة ميتة ؟

ـ في اعتقادي أن الادب في انكلترا وفرنسا تحول الى عملية يحكمها قانون العرض والطلب وآلية عملية الطباعة والنشر والاعلان . بالطبع هناك بعض الالتماعات التي لاتزال على قيد الحياة مثل غراهام غرين في انكلترا ، لكني اعتقد أن الادب في أمريكا اللاتينية له سمات الادب العربي ، ورغم انني لم أقرا عن ماركيز انه تأثر بالادب العربي الا أنني متأكد من أنه متأثر به . واعتقد أن رواية مثل « مائة عام من العزلة » كان يمكن أن يكتبها روائي عربي . فيما فعله ماركيز هو انه حطم قواعد الكتابة العقلانية بالمنطق الاوروبي الغربي فسلوك شخصياته لايخضع لتلك القواعد بل يأخذ شكلا لامعقولا . وفي اعتقادي أن هذا بالضبط مافعلته « الف ليلة وليلة » حيث الجن والعفاريت والأعمال الخارقة وما الى ذلك .

لقد فعلت هذا عندما كتبت « عرس الزين » قبل ظهور مائة عام من العزلة . وحينها قال بعض النقاد العرب ان هذا العمل مليء بالخرافات وخصوصا شخصيتي الزين والحنين ، ولم يدرك هؤلاء ان للعمل الفني منطقا آخر وايقاعا مختلفا .؛ ولكن عندما قرأ هؤلاء اعمال ماركيز ومن قبله جورج أمادو احترموا تلك الاعمال التي كانوا قد اعترضوا عليها سابقا . لكنني اعتقد أن مثل هذه التناقضات بدأت تقل اخيرا بين نقادنا .

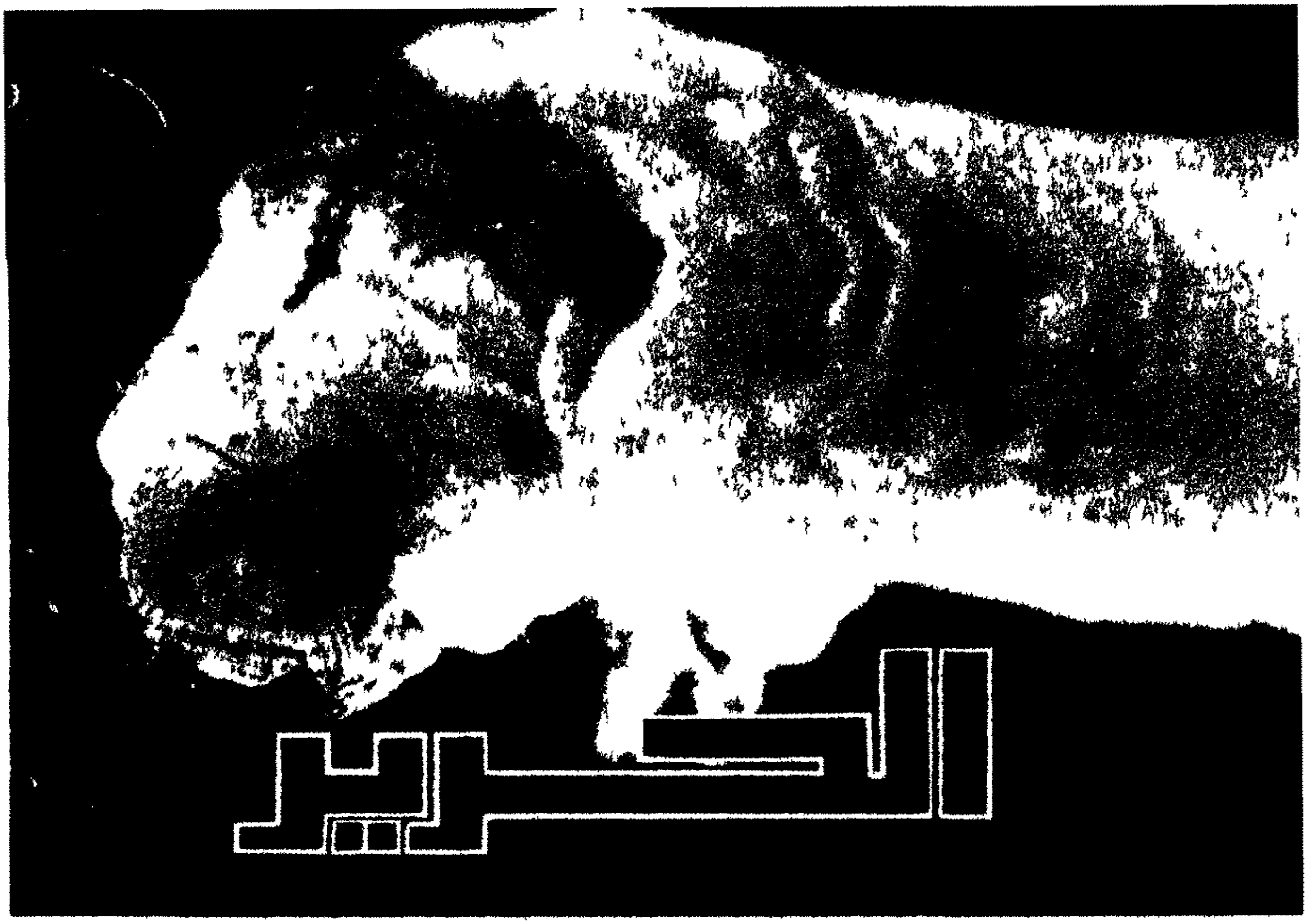
وفي اعتقادي أن على النقاد الاوروبيين الغربيين احترام اختلافنا وغربتنا عنهم مثلما احترموا اختلاف الادب الامريكي اللاتيني الذي لاشك انه ادب عظيم ، واخص بالذكر جورج امادو الذي اعتقد أنه اعظم من ماركيز وقد سبقه كثيرا في ادخال مؤثرات كثيرة ، وخصوصا المؤثرات الافريقية .

● وماذا عن بورخيس الارجنتيني الذي يكتب باسلوب أوروبي وذهنية أوربية وبتقنية اوروبية عالية ؟

ـ في اعتقادي أن الاحتفاء الكبير به في أوروبا يرجع الى أنه يمثل العنصر الابيض في امريكا اللاتينية ، وأنا استخدم هذا التعبير بحذر لكن هذا رأيي .

● بعد مريود التي نشرت هام ١٩٧٦ لم نقرأ لك شيئا فهل من أعمال جديدة ؟

ـ هذا صحيح . ولكنني الآن بصدد عمل كبير أعمل فيه ببطء ، واتوقع أن يأخذ مني وقتا طويلا . اذا مد الله في عمري . □



الحرير
ملكة الأنسجة

اعداد : ريم الكيلاني

عرفت البشرية منذ نشأتها عديدا من أنواع الألبسة والأغطية والفراش ، وجهدت في صنع الحديث منها ، غير أن هناك نسيجا فذا يأتينا عن طريق ديدان وشرانق ، يكتب له التألق والتميز على سائر الأنسجة ، هو الحرير .

هذا الموضوع يأخذنا إلى تاريخ هذا النسيج وانتاجه ، وأساليب تنميته ، والامم التي اشتهرت به

وهي خطوات لن نعدم فيها روعة الطبيعة ، ومهارة الصنعة

نسيج رائع الجمال ، ناعم الملمس ، تصنعه ديدان وشرانق ضئيلة الحجم

نسيج متألق براق نقي سر صناعته كامنا وراء سور الصين العظيم لمئات السنين

ناعم كنسمة هواء رطيبة متألق كالثريا

شال من الحرير تمت حياكته وتطريزه بتصميم رائع ، وضعه الفنان الصيني « زنك وينشونك » ، فيه لمسات غربية ، تنطق بالجديد .

منذ أكثر من ٤٠٠ عام كان هذا الثوب البالغ الحساسية والنعومة لا يلبس الا في أعمال السحر والشعوذة لكن سره بقي محفوظا عند الامبراطور الصيني كل تلك السنين .

نسيج الرفاهية

بمرور الزمن أصبحت فراشة القز ملكة الأنسجة بلا منازع ، حيث تبدع حريرا . آية في الجمال والروعة .

ويعود تاريخ منتجات الحرير من أقمشة وسجاد وملابس لأكثر من ٤٠٠٠ عام ، حيث كان اللحاف الحريري في الصين الصداق المؤخر للسيدة الصينية .

كما تبدو المرأة أكثر جمالا وجاذبية حين ترتدي الكميونو الحريري (عباءة يابانية للسيدات) فهو يحمل في طياته عبير الملوك ، ودائما يشارك الحرير في العروض التي تتم في اثناء اللقاءات القبلية بين رؤساء العشائر .

ولكن ، ما الذي يجعل صناعة الحرير أمرا يستحق الاهتمام ؟

ان طبقة البروتين التي تغطي الحرير تعطيه لمعانا لؤلؤيا يجعل منه مادة غاية في النضارة .

وفراشة القز ، التي تقوم بانتاج الحرير ، هي في الواقع شرنقة ، وتنتمي الشرانق الى طائفتين هما : الدود التجاري والزحليات أو الدود البري ، والاثنان يتبعان فصيلة الحشرات القشرية الاجنحة .

دودة القز الكاملة النمو والتي تتغذى على نباتات الطماطم تنتج حريرا لا يضاهي روعة الحرير الذي تنتجه الشرانق التي تعيش في المنازل وتتغذى على أشجار التوت .

فكثير من يرقات الفراش وبعض ديدان الحشرات الأخرى تغزل مساكن لها من الحرير ، قبل أن تتحول الى عذارى ، ومن أهم هذه الأنواع دودة لها أجنحة بيضاء يطلق عليها العلماء اسم « بومبكس » أو دودة الحرير ، وهما أقرب الى الفراشة في طور اليرقة منها الى الدودة ، هذه الفراشات لا تأكل شيئا خلال أيام حياتها القصيرة ، بل تبيض من ٣٠٠ الى ٤٠٠ بيضة ، تخرج منها بعد الفقس اليرقات التي تسمى خطأ دودة الحرير .

ولقد كان الحرير سرا من أسرار الصين زمنا طويلا ، ولكن أخيرا أدخلت دودة القز الى أقطار البحر المتوسط ، وزرعت هناك أشجار التوت لتتغذى عليها ، كذلك تمت صناعة الحرير في انجلترا ، حيث تغزل اليرقات الحرير للملابس الملوك ، أما الهند فتحتكر فراشة الموجا التي تنتج الحرير الذهبي المتألق في وادي آسام الرطب .

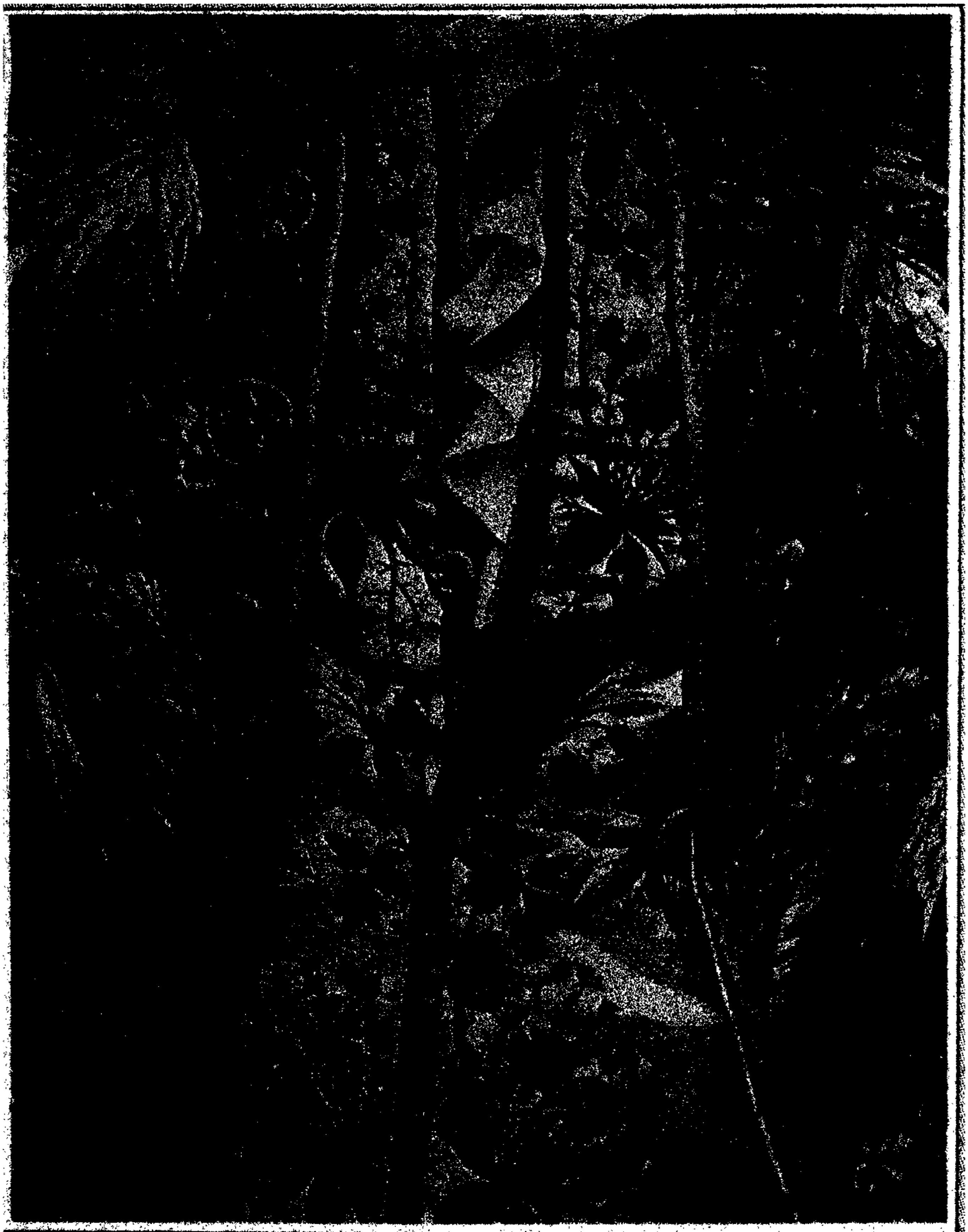
وليس الحرير الا لعاب الفراشة الذي يتجمد عند ملامسة الهواء له ، ويخرج من فم اليرقة بمعدل ست بوصات في الدقيقة ، وقد ينتج منه خيط واحد طوله ألف قدم ، وتلفه الفراشة المرة بعد المرة حول جسمها لتصنع منه مخبأ لها يسمى الشرنقة التي بداخلها ، تهدأ اليرقة المتعبة كي تتحول الى عذراء ، وحينئذ ، تجمع الشرانق وتغمس في الماء الساخن لتموت الحشرات داخلها ، ثم تفك الخيوط الطويلة باليد ، وقد يحتاج الأمر الى ٢٥ ألف شرنقة للحصول على رطل واحد من الحرير ، وتترك بعض الشرانق جانبا بدون قتل ما بداخلها ، ومن هذه الشرانق تخرج الفراشات لتضع بيضا آخر يفقس ويعطي يرقات أكثر تنتج شرانق أخرى وهكذا .

ومن الحشرات المفيدة العاملة أيضا نوع من « المن أو بق النبات » ويوجد في الهند ويسمى « صانعة الصمغ » وهي تنتج الصمغ المعروف « باللاك » الذي يدخل في تركيب مواد التلميع ، وتأكل هذه الحشرة أوراق أشجار كثيرة ، ولكنها تفضل نوعا خاصا من أشجار التين ، تثقب قشر الشجر اللين وتلصق نفسها بالعصارة اللزجة التي تفرزها الشجرة ، وتصبح بمثابة الغطاء الواقي للحشرة ، يحميها من الشمس والمطر ، الى أن تضع بيضها تحته ، ثم تموت وتبقى أجسام هذه الحشرات الجافة ممتزجة بالاصماغ التي تباع تحت اسم « اللاك » .

وحين تدعى الأنثى للتزاوج ، فان من ٣٠٠ الى ٥٠٠ بيضة تلقى بعد ساعات قليلة من اللقاء ، لتموت بعدها خلال يومين أو ثلاثة ، بينما ينمو البيض نموا منظما في جو بارد ، ويفقس في مدة تتراوح بين ستة أسابيع الى اثني عشر شهرا .



[illegible]



[illegible]

ولعلك لا تدرك انه لعمل رباط عنق واحد قد تستهلك ١١٠ من الشرانق ، بينما تقوم ٣٦٠ شرنقة بانتاج ما يصنع قميصا من الحرير ، أما العباءة الحريرية فهي انتاج ثلاثة آلاف شرنقة تستهلك ١٣٥ ألف باوند من أوراق أشجار التوت .

قدسية فراش الحرير

ان معظم الحرير المصنع الذي يستعمل اليوم ويجلب من فرنسا وايطاليا ، كانت نشأته أيضا في الصين التي تسهم بأكثر من نصف انتاج العالم من الحرير ، أي ما يعادل ٤٨٠,٠٠٠ شرنقة ، واليابان أكبر مستهلك للحرير ، وبعد أن كانت الرائدة في انتاجه تراجعت الى الخلف ، واحتلت الصين المرتبة الأولى في انتاج الحرير .

ان جودة فراشة القز يحدد بالنوع والكمية التي تنتجها من الحرير ، وعلى الرغم من أن عمليات التهجين قد تطورت مع تقدم الزمن ، فان عملية التلقيح التي تتم بين الأجناس اليابانية والصينية تتم في جو من التدليل والرفاهية ، باعتبارها مخلوقات قصيرة العمر ، وتستعين الصين في تربية فراشة القز بالاساليب الآتية :

١ ـ نباح الكلب ، وصياح الديك ، وأحيانا رائحة العفن ، فهذه المحسوسات ينشط عليها تكاثر الفراش ، ومن ثم يزيد انتاجه من الحرير .

٢ ـ ترقد الشرنقة على فراش ناعم جاف ، وتعمل بانسجام تام حينما تتاح لها أنغام الموسيقا الهادئة .

٣ ـ حين تتخطى الشرنقة مرحلتها ، أي تتحول الى فراشة متكاملة النمو ، فانهم يجعلونها طعاما للسمك ، وذلك لمنع تغير نوع الحرير وجودته .

٤ ـ يجب أن تتوافر للفراشة الأم نظافتها ، فلا تشم رائحة كريهة ، كما يجب أن تمنع عن أكل البقول أو حتى لمسها .

٥ ـ تتلذذ الشرانق بمداعبة زغب الدجاج لتطوير عملية الغزل .

وهذه التقاليد والأساليب بالنسبة للصين نادرا ما تحول أو تعدل ، بل انها لا تزال باقية حتى اليوم ، ولفراش الحرير قدسية يلتزمها النساء والرجال ، والنساء اللاتي يربين فراش القز لا يدخن أو يضعن المساحيق على وجوههن ، ولا يأكلن الثوم ، بل يجب أن يتحلن في أرجلهن أحذية نظيفة .

ويسعين لتقديم الصلوات لآلهة الحرير مرة كل عام ، وتلك الحساسية وشدة الحذر لا تقتصر على الصينيين فحسب ، بل تجد الرجال في جنوب غرب نيجيريا (يوروبا) لا يدنون أو يعاشرون نساءهم اللاتي ينقين أو ينسجن الحرير ، أما الرجال الذين يبقون في المزارع فهم لا يقصون شعورهم أو يحلقون لحاهم ، كما يتبعون نظاما غذائيا خاصا ، وتحضّر زوجات هؤلاء المزارعين طعام العشاء الا أنهن يفترقن عنهم بقية الليل .

وفي مدينة زوزاوا وطوكيو لا بد لمن يزور مزارع فراش القز أن يرتدي طقما أبيض منشى باليابان ، مع قبعة وقناع شبكي شفاف للوجه ، والا واجهته رائحة غاز الفورمالدهيد المطهر الذي يعمي العين ، كما سيضطر الزائر الى تركيب أظافر صناعية .

كذلك تقاس درجة الحرارة ونسبة الرطوبة خمس مرات يوميا ، وبينما يتم كل ذلك يدويا في الصين ، الا أن اليابان تفضل استعمال الآلة حتى في هذا المجال .

وللنساء دور

وفي الصين يكون انتاج الحرير في مرحلته الأولى معتمدا اعتمادا كليا على النساء ، ففي مصنع دانج دونج في الصين ، تجلس النساء أمام آلة الغزل ليغزلن الشرانق ، ويخلصن خيوط الحرير من المادة الصمغية العالقة بها ، بوساطة الماء الساخن العكر ، فترى أصابعهن تتحرك بخفة وسرعة لتجمع الخيوط والألياف من ست شرانق ، وتمدها بالقوت مع كل دورة للآلة . وعدد الشرانق المستعملة يعتمد على مدى سمك وكثافة الخيوط المنتجة ، ولكنه عادة ما يتراوح بين ٥ الى ثمانية خيوط تكفي الحاجة .

وقد تجد في الهند في منطقة نواباتنا ، فتاة لا تتعدى العاشرة من عمرها ، بصحبة عشرين فتاة أخرى يقبعن بجانب خيوط الحرير ، ويقمن بغزلها ولفها حول سيقانهن في غرفة شديدة الظلمة ، ذات أرضية موحلة ، وتسحب الفتيات الخيوط من خمس شرانق بوساطة ساقها اليسرى ، تجمعها معا أو تبرمها أو

تجدلها معا لتصنع منها خيوطاً متينة ، وتفضل الفتيات العمل في هذا المجال لأن سيقانهن أقل شعرا من سيقان الرجال .

كما تشترك في الهند الأسرة بكاملها في صناعة الحرير ، فقد تجد فتى صغيرا يقبع أمام نول ينسج سجادة ، ووالده بجانبه يهمس بترنيمة عذبة ، وهو يرسم نموذجا فعليا لتصميم ما ، كما قد تجد الزوجة تنقي الحرير والجدة تحوكه ، وطفلا يجدل الخيوط ، وآخر يعاون والده في العمل على النول ، ليتنجوا معا « ساريا » فاخر الصنع .

وقد تروى حكاية الحرير في بعض القصص والأساطير التاريخية ، مثل نقل « ماركو بولو » للحرير من الصين الى فينيسيا بايطاليا . والصين ، موطن الحرير ، البلد الفنان في صناعته ، الرائد في حياكته . ان روعة خيوط الحرير الصينية جعلت منها مقياسا للتميز وتحديد الثمن .

وقد افتتحت المحكمة الملكية في الصين مصانع نسيج الحرير لأغراض تجارية ، ولتقديم الهدايا للدول الأجنبية ، وبذلك فهى تضمن توسع نفوذها خارج حدود بلادها .

وتحتفظ الصين بسر تربية فراشة الحرير منذ مئات السنين ، ويقتل تعذيبا من يبوح بهذا السر ، وهذا القرار أصدرته لائحة القانون الملكي حينذاك . .

ومع انهيار الامبراطورية الصينية ، اتسعت دائرة مربي وحافظي وصانعي الحرير ، وبات سر لمعان النسيج الحريرى وتألقه ونعومته معروفا لدى الجميع . .

ومع بداية القرن الرابع عشر ، كان يصنع الحرير الايطالي في فلورنسا وفينيسيا وجنوا ، كما شجعت العائلات النبيلة تلك الصناعة ، وتعتبر منطقة « كومو » مرتعا خصبا لصناعة الحرير ، فهى تنتج سنويا ١٥ مليون ربطة عنق ، و ٦٠ مليون متر من أجمل أنواع الأقمشة الحريرية نعومة وتألقا . .

باريس والحرير

وقد حققت مدينة « ليون » فى القرن السادس عشر ، وبمعاونة فرانسيس الأول انتعاشا فى صناعة الحرير ، وخصوصا بعد أن حدثت عملية استيراد الحرير في محاولة من الملك لانتاجه داخليا ، وقد تقدم فرانسيس الأول بمغريات عديدة للعمال ، ومنحهم حرية كاملة في مجال عملهم .

ولقد كانت صناعة الحرير تستدعي حرفيين متخصصين ، حاولت ايطاليا ايجادهم بكل السبل ، وقد وضع وزير المالية لحكومة لويس الرابع عشر معدلا ثابتا للانتاج ، ويمكن بوساطته - الى جانب الاكتفاء الذاتى - التصدير للدول المجاورة ، كما تم وضع نموذج للرسم وللحياكة يتغير بنهاية كل عام .

وبانتهاء القرن الثامن عشر ، كان هناك ما يساوى ١٨,٠٠٠ نول ينسج الحرير . وباندلاع الثورة الفرنسية ، ووقوع فرنسا في أزمة كبيرة باعدت بينها وبين الترف ، حلّ القطن مكان الحرير ، وتوقفت الأنوال عن العمل . . وانهارت صناعة الحرير .

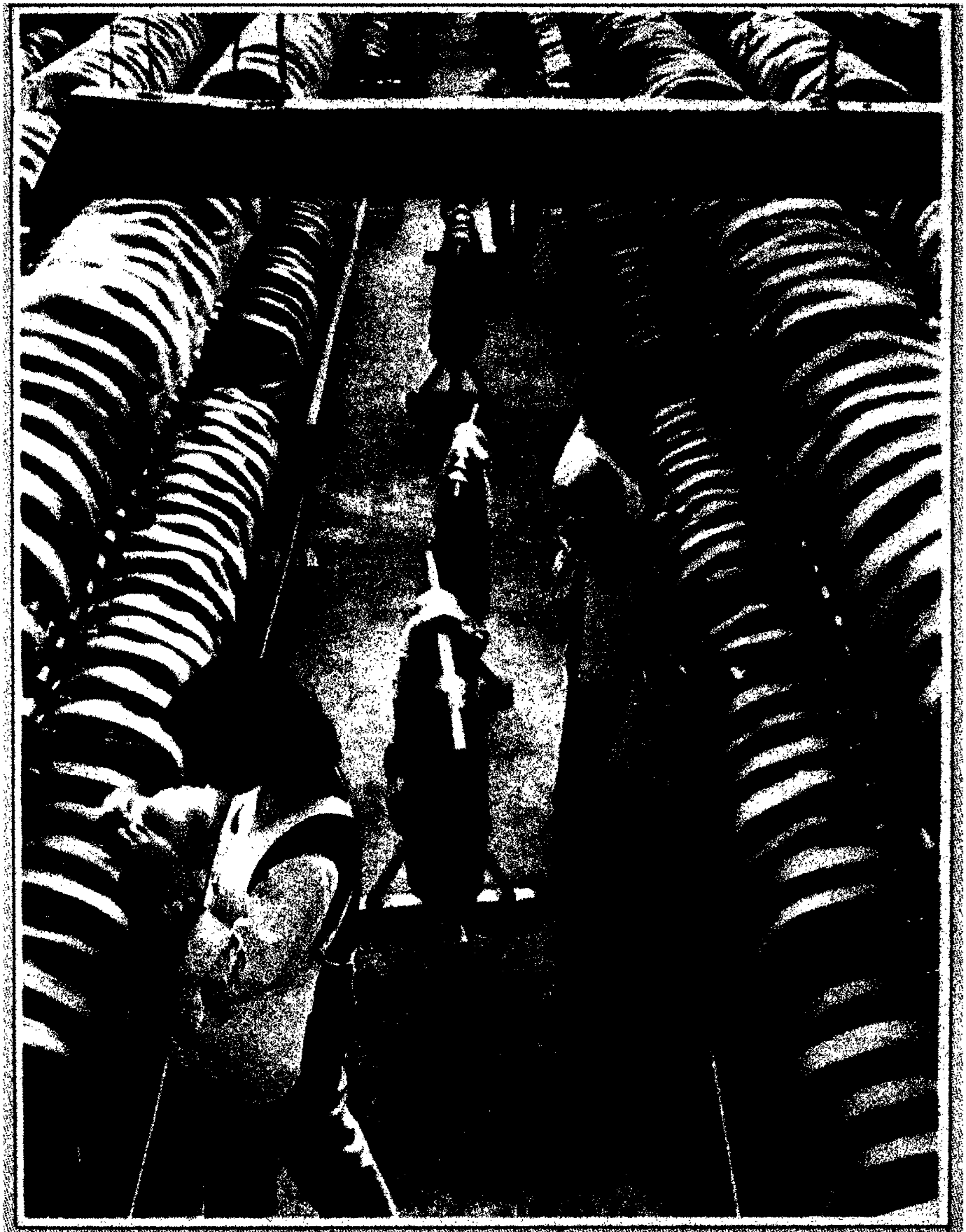
وفي عام ١٨٠٤ قدم « جوزيف ماري » آلة نسج وتخريم تسمح للحرفي بالتحكم في النول ، وتعمل على انتاج نماذج معقدة بسرعة ودقة أكبر ، وفي عام ١٨٣٠ احتلت آلة الندف مكانا مرموقا في مجال صناعة الحرير .

ولما تسلم نابليون الحكم ، كان من حبه للحرير أن أمر الأعيان والنبلاء بارتداء الحرير الذى تنتجه ليون ، كما ضم قصره مفروشات حريرية فاخرة .

وقد استغرقت لديه صناعة لحاف من الحرير سبعة عشر عاما ، وأنت حين تراه تذهلك مقدرة كل من « تاسينارى وشانيل » على عمل الخرائط وتحديد اتجاهات الرسومات بمثل هذه الدقة والروعة .

الحرير المدمر

وعبر الاطلنطي . . ظفرت تربية دودة الحرير بعناية أولية ، في المستعمرات الأمريكية ، حيث شجع جيمس الأول في عام ١٦٠٩ قيام صناعة الحرير ، وذلك باجتثاث نبات الدخان واحلال شجر التوت مكانه لتتربى على أوراقه صانعة الحرير . بعد ذلك بعشرة أعوام بدأت تجربة أكثر نجاحا في حقل تربية دودة القز ، ولكنها كانت شاقة مملة تحتاج لجهد كبير ، ولا تدر ربحا كالقطن ونبتة الدخان ، وبذلك فان الجهود التي تبذلها تلك المستعمرات كانت بالفعل عقيمة ، فأمريكا تفتقر للعامل الصبور المحتمل



[illegible]

لعملية انتاج الحرير

وان الهدوء الطبيعي لمياه نهر « الباسيك » كانت المكان الأفضل لازدهار صناعه الحرير في شمال شرق الولايات المتحدة في باترسون التي تعتبر اليوم مركزا حيويا في مجال صناعة الحرير

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية قوطع سوق الحرير الياباني ، وتحول الباقي منه للاستعمالات الحربية فقد كانت المظلات الهابطة المصنوعة من الحرير قوية مرنة ، أما مسحوق الحرير المستعمل في الحروب فيوضع في فوهة السلاح ليحرق كل شيء ، ولا يترك خلفه الا الدمار والخراب.أما في الصين . فالحرير الصناعي لم يكن متوافرا مع بداية عام ١٩٥٠

الا أن سحر الحرير الصناعي وبهجته بدآ يتضاءلان في الأونة الأخيره ، وبات للحرير الطبيعي مزاياه المتفوقه في جميع المجالات (الملابس والأثاث)

ويحاول الصينيون اليوم أن تظل الصين الأولى في انتاج وتصدير الحرير الطبيعي للعالم ، ولكنهم منيوا بفشل ذريع في تسويق منتجاتهم ، لأن أمريكا تنتج حريرا جيدا وبكميات كبيرة وألوان عديدة ، وذلك لأن فراش القز يتغذى في أمريكا الاستوائية على عصارة أشجار معينة ، وتظهر على أجسامها الجافة أصباغ ذات ألوان بهيجة ، ولافتقاد الصين للآلات الحديثة التي تملكها أمريكا ، فقد بادرت الولايات المتحدة في منتصف عام ١٩٧٣ بمنح الصين ٢٠٠,٠٠٠ دولار لتتمكن من شراء أنوال أوتوماتيكية

واليوم ، يدخل الكمبيوتر الى الأنوال ليضاعف كمية الحرير المنتجه ، كما يمكن للمصمم بوساطة الكمبيوتر ، عمل أكثر من ٢٠٠ تصميم كل منها مختلف عن الاخر في وقت واحد

وبانتشار سوق الحرير حيث تقل الحاجة للترود بالحرير ، فان انتاجه مواز لكمية استهلاكه

وللنساء نظرية في نسيج الترف والرخاء ، فيقول بعضهن يسحر الحرير جسد المرأة ، كما تسحر الحلي يدها وعنقها

هذا هو الحرير من الشرنقة الصغيرة كان ملك الانسجة وكانت الخيوط اللامعة □



عملية التحول من خيط الى لفة ، تنقع الشرنقة في الماء الساخن لتلين المادة الحريرية ولتسهل نهاية الخيوط متماسكة

ساعة كبيرة صنعت بخيوط حريرية للضحة في فرنسا



إصابات الرأس واللحظات الذهبية



بقلم : الدكتور سامي محمود علي

.. وليس عجيبا مثل المخ . هذه المادة الهلامية التي لايزيد وزنها عن ٢٪ من وزن الجسم .. الا أنها تحمل في طياتها أسرار الوجود الانساني كله .. ماذا تعرف عن هذا المخ وكيف يمكن مواجهة اصابات الرأس في الوقت المناسب حين تكون هناك لحظات فاصلة بين الحياة والموت .. هذا هو ما يعرضه هذا المقال .

المخ هو بعض اعجاز الخلق كما أراد له سبحانه أن يتجلى في أروع صور الاعجاز والابداع . ان ما يقرب من اثنتي عشرة خلية عصبية تؤدي من الاعمال ما يفوق كل خيال ويطيح بكل وصف ، ولو أتيح لنا أن نزيل حجاب الجلد والعظم ونطالع المخ من الداخل ، لوجدنا أن هناك شبكة معقدة من الأوعية الدموية تمد المخ بما يقرب من ٢٠٪ من أوكسجين الجسم كله ، كما أننا نلاحظ أن ما يقرب من ٨٠٪ من حجم المخ كله يمثل القشرة المخية ، وهي أرقى نقطة حيوية نصادفها في كل الكائنات الحية ، وتتولى هذه القشرة مسئولية الفكر وتسجيل الذكريات والاحلام وتبادل اللغة والكثير من الوظائف التي يعزى لها السبب فيما نراه حولنا من مدنية وتقدم ورقي .

ان المخ البشري قد أودعه الله علبة عظيمة متينة البنيان ، وحفظه سبحانه بسوائل يغوص فيها فضلا عن أغشية ثلاثة : الواحد يلي الآخر ، فكأنه بمأمن من الاخطار ، يعمل في هدوء لبقاء الكائن البشري

واستمراريته . . الا أنه وعلى الرغم من هذه الاحتياطات الأمنية فان المخ قد تصيبه حادثة أو يتعرض لأصابة ، ومن المؤسف أن خلايا المخ سريعة العطب فهي تموت في دقائق معدودة ، كما أن خلايا المخ ليست لها القدرة على التكاثر كبقية خلايا الجسم ، ومن هنا فان اصابة الرأس وما تتركه من آثار على المخ تكون وخيمة في عواقبها اذا لم تعالج بسرعة . ولا عجب اذن في ان اللحظات التي تلي اصابة الرأس هي بحق لحظات ذهبية في حياة المريض . فخلالها يكون المريض بين الحياة والموت .

الاسعافات الأولية

ان المصاب في الرأس يكون عادة في حالة غيبوبة ، يصحبها اختناق أو ضيق في التنفس ، لذلك فان الاسعافات التي يجب أن تجري في مكان الاصابة نفسه « بالغة الاهمية » في المحافظة على حياة المصاب ، ومن الممكن تحديد هذه الاسعافات في الخطوات الآتية :

١ ـ التأكد من كون مجرى التنفس نظيفا وأن الهواء لايعوقه شيء في دخوله الى الرئتين ، وهنا يجب ملاحظة الا يكون اللسان واقعا الى أسفل الحلق ، أو يكون هناك أسنان مكسورة أو دم متجلط في تجويف الفم أو الحلق ، وحتى يتمكن المصاب من التنفس بصورة سليمة فيجب أن يكون راقدا على جانبه ووجهه الى أسفل .

٢ ـ وعند تحريك المصاب فان هذه الحركة يجب أن يقوم بها عدة أشخاص لا شخص واحد ، وذلك حتى يكون جسم المصاب في وضع مستقيم فلا يحدث أي ضغط على النخاع الشوكي في منطقة الرقبة التي قد تكون مصابة مما قد يؤدي بالمصاب الى التعرض لخطر الاصابة بالشلل الرباعي أو شلل الاطراف الأربعة

٣ ـ ان أفضل دم للمصاب هو دمه نفسه ، لذلك يجب وقف أي مصدر للنزيف الخارجي وذلك بالضغط بشدة على مكان النزيف .

٤ ـ يجب الا تترك الأجزاء المصابة بكسور كما هي حتى وصول المصاب الى المستشفى ، بل يجب وضع جبيرة لكل الاطراف المكسورة .

اللحظات الذهبية

ان اللحظات التي تلي وصول المصاب الى المستشفى مباشرة هي ـ بحق ـ لحظات ذهبية وفاصلة في ذات الوقت ، انها ميلاد جديد للمصاب .

ولعل أول ما يعاني منه المصاب نقص أوكسجين المخ والصدمة ، ان اصابة الرأس قد تؤدي الى حدوث « أوديما » مخية واضطراب في الدورة الدموية بالمخ مما يجعل حجم الدم الواصل الى الدماغ قليلا ، وبالتالي فان امداد المخ بالاوكسجين يكون منخفضا . ان هذه الحالة ذات خطر عظيم على حياة المصاب ، لذلك فان الحكمة تقتضي تنظيف حلق المريض وفمه ، كما يصل الامر في بعض الأحيان الى عمل فتحة صناعية في مقدمة عنق المصاب تفتح على القصبة الهوائية للمحافظة على تنفس المصاب .

في الوقت نفسه فان المصاب قد يكون في حالة صدمة اثر اصابته ، وهنا لابد من الحفاظ على مستوى ضغط الدم وعدد كرات الدم في حالة طبيعية . كما يمكن اعطاء المصاب كميات مناسبة من المحاليل والجلوكوز عن طريق الحقن بالوريد ، أو عمل نقل دم له اذا اقتضى الأمر . وفي الغالب فان استمرار حالة الصدمة لدى المصاب بعد القيام بهذه الاجراءات قد يعزى الى عدم كفاية عضلة القلب مما يجعله بحاجة الى العلاج بمواد التنشيط العضلية .

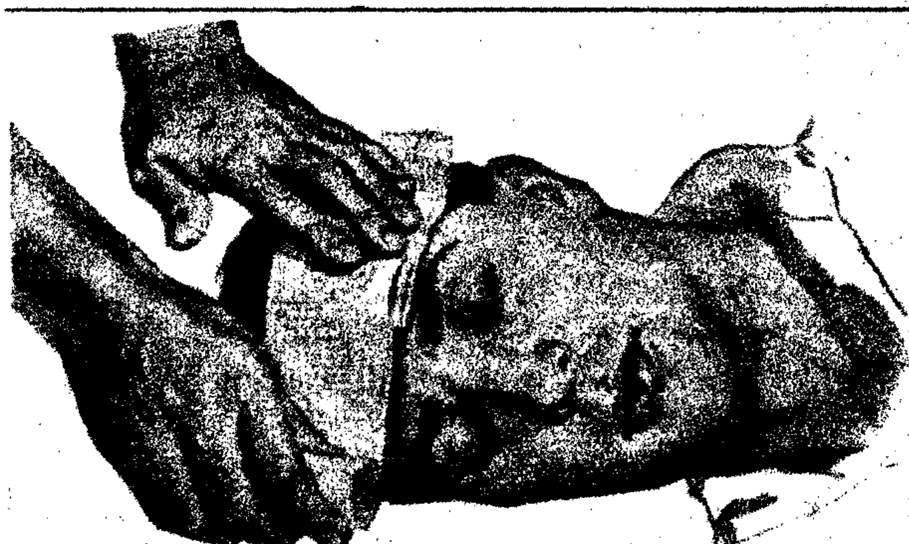
ومن المعروف أن حالة الصدمة لا تحدث الا اذا كان المفقود من دم المصاب يقل عن ٣٠٪ من مجموع حجم الدم الذي يزن حوالي ٧٪ من كل وزن الجسم . ويلجأ الطبيب الى حساب كمية السوائل التي يخرجها المصاب في البول . ومثل هذه المعالجة لابد وأن تحسن الى حد كبير من حالة الصدمة ، أما استمرارها لأكثر من ساعتين بعد ذلك ، فان الامر هنا لايعني اصابة الدماغ فحسب ، بل قد يكون هناك خلل ما في التجويف الصدري أو أعلى البطن .

بجانب معاناة المصاب من نقص أوكسجين المخ والصدمة فانه قد يعاني أيضا من اصابات أخرى تشمل مناطق شتى من الجسم ، فقد يكون مصابا بجرح في الصدر أو كسر في الضلوع أو ارتشاح سوائل داخل التجويف الصدري ، وكل هذه المضاعفات يجب أن تعالج على الفور ، فان كسر الضلوع يعالج

الاسعافات الأولية في علاج اصابات الرأس .



وضع المصاب
على جانبه بمساعدة
أكثر من شخص .



وقف أي مصدر
للنزيف في الرأس
او أي جرح آخر قد
يكون موجودا .



تنظيم ممر الهواء ورفع الفكين لأعلى وللامام .



المصاب وكتفاه مرفوعتان ثم يحقن بمخدر موضعي في مكان الفتح



عمل قطع في مقدم العنق ثم ابعاد العضلات لشق القصبة الهوائية

عمل فتحة صناعية في مقدمة الرقبة لدخول الهواء الى الرئتين

بتعديل وضع الضلع المكسور ولصقه جيدا بعد تثبيته ، كما يجب سحب السوائل المرتشحة داخل تجويف الصدر .

واذا كانت الاصابة في البطن فانها تتضمن تمزقا في الكبد أو الطحال الذي ينتج عنه نزيف داخلي مما يتطلب تدخلا جراحيا سريعا ، وقد يكون التمزق في المثانة وهنا يحقن الطبيب المصاب بصبغة ملونة بعد عمل قسطرة للمثانة ، ثم يأخذ صورة أشعة فتبدو الصبغة منتشرة في جدران البطن .

الجراحة ضرورية . . ؟

هناك عة مؤشرات تحتم ضرورة التدخل الجراحي لانقاذ حياة المصاب . . وهذه المؤشرات تضم في ثناياها ما يمكن تسميته بالدورات الحيوية داخل الجسم كالنبض والتنفس ودرجة الحرارة ، فمعدل نبض المصاب اذا كان عاديا أو سريعا عند دخول المصاب للمستشفى ثم أخذ في النقصان أو التباطؤ فان ذلك يعني أن هناك ضغطا ما يعاني منه الدماغ . كذلك اذا كان معدل التنفس بطيئا وعميقا في ذات الوقت وكان مصحوبا بمعدل نبض منخفض فان ذلك يكون مؤشرا لوجود نزيف داخل الدماغ ، ويكون ارتفاع درجة الحرارة دليلا على وجود اصابة في الجذع المخي الذي يحتوي على مركز التحكم في درجة حرارة الجسم .

لا تخلو هذه المؤشرات بالطبع من بعض الاستثناءات ، فالأشخاص كبار السن مثلا أو المدمنون على شرب الكحوليات والخمور فانهم يعانون بشكل أو بآخر من ضمور في حجم المخ وهذا الضمور يكون من شأنه ترك مسافات بين المخ وعظام الجمجمة فلا تظهر علامات وجود النزيف المخي التي ذكرناها أما الاطفال وصغار السن من الشباب فيكون اي تجمع دموي ولو كان صغيرا جدا داخل ادمغتهم واضحا في علاماته بأن هناك ضغطا قد ازداد داخل الدماغ .

وقد يحدث النزيف داخل الدماغ في أماكن مختلفة أو تحت غشاء الأم الجافية ، وقد يحدث النزيف داخل نسيج المخ . وفي كل الحالات فان هناك عدة اختبارات وفحوص يجب أن تجرى لبيان مدى اصابة

القيام بعمل ثقوب تربنة في عظام الجمجمة ، وقد يكون ضروريا بعد ذلك القيام بعملية تربنة في الجزء الخلفي أو الامامي من الجمجمة . كما تتضمن الفحوص عمل رسم للمخ بالموجات فوق الصوتية ، وهنا يكون أي انحراف في مسار الأشعة دليلا على وجود نزيف أو تجمع دموي أو يدل على وجود ورم .

وهناك علامات تؤدي الى الاسراع بالعملية الجراحية في وقت مبكر وأخرى تحتم اجراء مثل هذه العملية فورا ودون أي تأخير ، ومن العلامات التي تدل على القيام بالعملية في وقت مبكر كلما أمكن ذلك نجد :

١ـ وجود كسر في عظام الجمجمة يزيد عن نصف سمك عظم الجمجمة .

٢ـ ظهور نتوء أو ما يسمى « كرة بنج بونج » في رأس الطفل .

٣ـ نزول سوائل من الانف أو الاذن .

أما العلامات التي تحتاج الى جراحة فورية فهي :

١ـ انخفاض مستوى الشعور أو الوعي عند دخول المصاب المستشفى .

٢ـ عدم التناسق في اتساع بؤبؤ العين في كلتا العينين .

٣ـ الاصابة بالشلل النصفي أو فقدان الاحساس بالالم (التنميل) .

٤ـ الاضطراب الكبير في بعض العمليات الحيوية بالجسم مثل تباطؤ النبض مع ارتفاع الضغط .

الملاحظات الحرجة . . ؟

ان الرعاية المكثفة هي كل ما يحتاجه المصاب في الرأس ، فهذا المصاب بحاجة مستمرة لقياس نبضه وسرعة تنفسه ومعدل ضغط دمه كل ١٥ دقيقة خلال الأربع ساعات الأولى من دخوله المستشفى ، ثم تقاس هذه المعدلات بعد ذلك كل نصف ساعة ، كما أن درجة الحرارة تقاس كل ساعتين ، وعند اعطاء سوائل يجب أن تعطى في الاطراف العلوية (الذراعين) أفضل من الاطراف السفلية (الساقين) لأن مصاب الرأس يكون غير قادر على الحركة ومن ثم فان فرصة انسداد الأوردة في الاطراف

واذا كان المصاب يعاني من صدمة فيجب أن يعطى السوائل على الفور ، وعادة يتم حقنه بما يعادل لترا ونصفا من السوائل ، هذا بالاضافة الى كمية متساوية لكمية البول التي يخرجها ، يكون ذلك خلال الايام الاربعة الأولى ثم تزيد هذه الكمية الى لترين ونصف بعد ذلك . . وقد يحتاج المصاب الى التغذية عن طريق انبوب المعدة ويكون ذلك فور عودة أداء الأمعاء لوظيفتها الطبيعية ، وعادة ما يكون ذلك بعد ٤٨ ساعة وتكون التغذية من الانبوب عبارة عن خليط من الديكتروز ١٠٪ والماء (٥٠ سم كل ساعة) ثم يضاف اليهما اللبن والمواد البروتينية الخفيفة بعد ذلك .

ويمكن اعطاء المصاب بعض الادوية المناسبة في حالة معاناته .

ان زيادة الضغط داخل الدماغ ـ يعمل على زيادة الارتشاح داخل المخ أو ما يسمى « بالأوديما » وهذه الأوديما تزيد من حجم الضغط الواقع على المخ والمحصور بالفعل بين عظام صلبة هي الجمجمة .

وقد وجد أن حقن اليوريا يؤدي الى انكماش في انسجة المخ كما يعرض المصاب لفقدان كمية كبيرة من الماء تصل الى ٤ لترات لذا يجب تعويض المصاب عن هذا الفقدان للماء والا تعرض لحالة جفاف حادة .

ان هذه الرعاية المكثفة يجب أن تنبهنا في الوقت نفسه الى بعض المضاعفات التي يمكن أن تحدث في أثناء المعالجة ، ومن هذه المضاعفات حدوث السدة الدهنية في المخ التي يمكن أن تحدث خلال ثلاثة الأيام الأولى من الاصابة واذا ما حدثت هذه السدة فان المصاب يعاني من شعور بعدم الراحة والتهيج . وهناك أيضا الالتهاب الرئوي الذي يعتبر سببا رئيسيا للوفاة في مصاب الرأس ، وهذه الحالة تنتج اذا استمر المصاب مستلقيا على ظهره لفترة طويلة دون تغيير وضعه ، وهنا لا بد أن ينام المصاب على جنبيه بالتوالي ثم بالعودة مرة أخرى للنوم على ظهره ، ذلك بحيث لايتجاوز ما يمضيه نائما على ظهره ثلث الوقت فقط .

اننا عندما نتعامل مع اصابة في الدماغ فاننا نكون مدركين أننا نتعامل مع مايسترو الحياة في الانسان ، ان تعاملنا ـ ولاشك ـ يجب أن يتسم بالحرص والحذر معا . . □

أقوال

اذا رغب الناس قراءة كتاب أكثر من مرة فذلك يعني أن الكاتب جيد .

شولوخوف



« في طفولتي ، عندما كنت أنفتح على المعرفة ، بفضل لغتي الأم ، بدا لي أن اقحام اللغة الفرنسية شبيه بحضور دركي » .

جيرار شونيه / كاتب من هايتي

لايكفي أن تتوفر لديك عناصر نجاح اللعبة ، ولكن يتعين عليك أيضا أن تعرف كيف تلعبها .

هيرمان التيس / السفير الاميركي الأسبق في مصر



ان أمن الشام يبدأ من جبال طوروس ، وأمن جبال طوروس يبدأ من ممرات سيناء ، وأمن القاهرة يبدأ من هذه الممرات ، ان القاهرة مفتاح الشام ، والشام مفتاح المنطقة .

العقيد . شريف باشا الفرنساوي

« تستطيعون أن تدخلوا حديقتي في أي وقت ، وأن تأخذوا ماشئتم من ثمار المانجو ، ولكن لاتقذفوا الأشجار بالحجارة . »

هيمنجواي / كاتب أميركي

اذا أطلقت نيران مسدسك على الماضي ، أطلق المستقبل نيران مدافعه عليك .

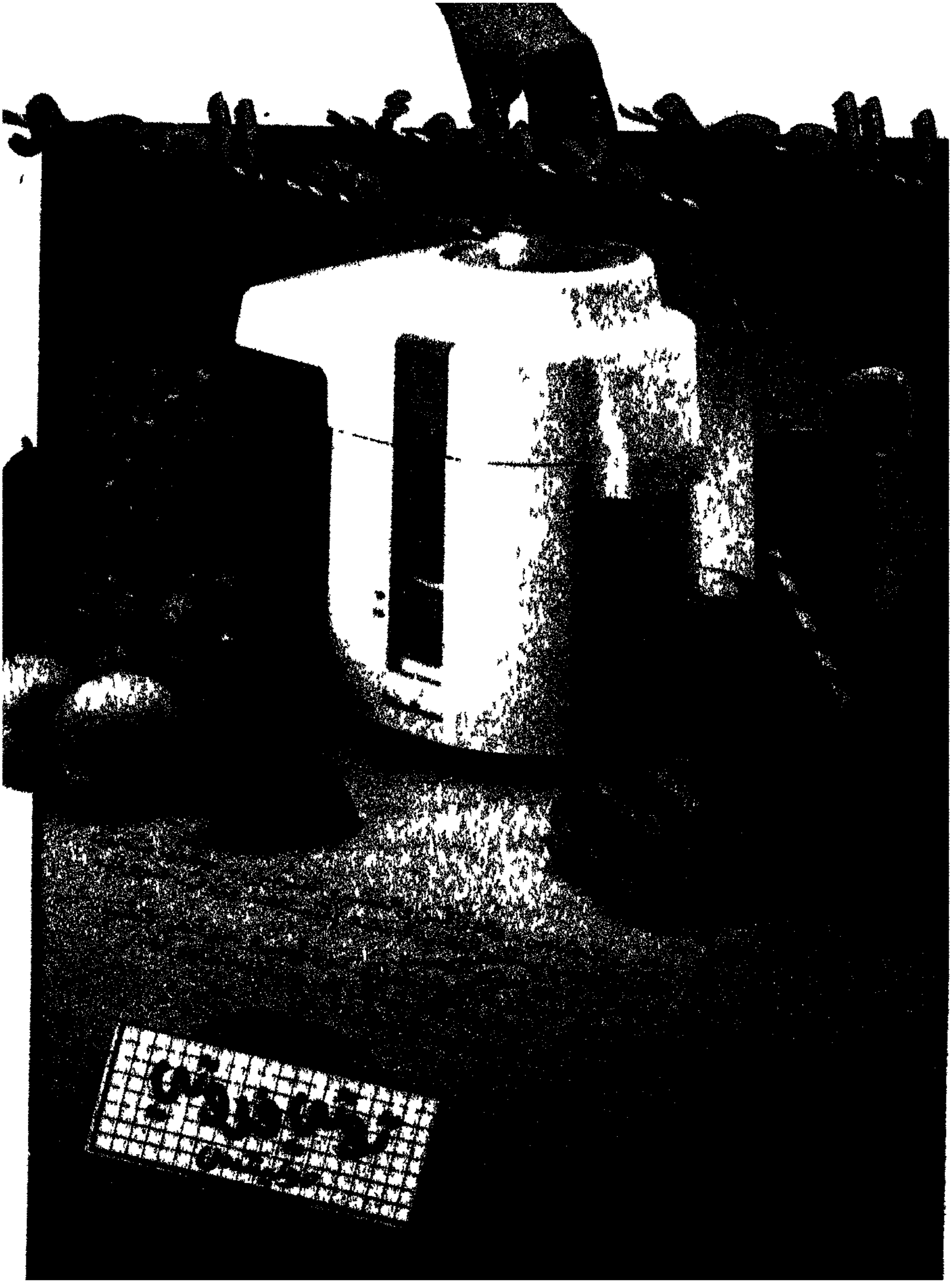
رسول حمزاتوف / شاعر داغستاني

البلاد كالاشخاص بعضها يروقك من الزيارة الاولى وتتقطع حبال المودة مع البعض الآخر ربما من النظرة الاولى .

حسين فهمي
نقيب الصحفيين المصريين الاسبق

الملك حسين يريد استعادة كل ما خسره في حرب الايام الستة مقابل السلام . فأذا كان هذا هو الموقف العربي فلن يكون هناك سلام .

حاييم بارليف



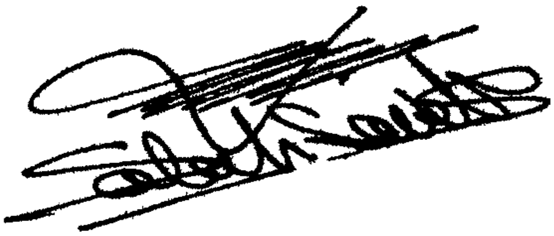
البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع



منذ سنوات عندما طرح علماء النفس تفسيرهم للرسوم والخطوط العشوائية التي يخططها المديرون والزعماء والرؤساء في اجتماعاتهم وأثناء اصغائهم لمتحدث أو تفكيرهم في شيء .. صار الجميع شديدي الحرص على تمزيق هذه الورقات ، والآن ماذا سيفعل الناس بعدما يطرحه علماء النفس هذه المرة عن تفسيرهم للامضاء والتوقيع ؟ !



توقيعك ماذا يقول؟

استرعى انتباهي قبل أيام مضت دقة وأناقة توقيعين ذيل بهما شيك تسلمته مؤخرا من احدى شركات الصرافة . رب سائل ، ولم هذا الاهتمام في تواقيع الشيكات ؟ والجواب ، وأظنه لا يخفى على القارىء الذكي ، ربما يكمن في سر تلك الخصوصية التي يتميز بها امضاء كل أمين صندوق « ومحاسب وكأنه يصرخ فينا » أنا ابن جلا ... وحذار حذار من التقليد !

والأمر لا يقتصر على تواقيع موظفي المصارف وأصحاب الأموال ، بل يتعداه أحيانا ليشملك في كتاب يبحث في علم الدلالة ، صدر حديثا عن جامعة اكستر ، حاول المؤلف الدكتور فريس ، الأستاذ في الجامعة المذكورة التمييز بين نوعين من المعنى ، دعا الاول بـ (المعنى القاموسي) والمقصود به المعنى المدرج ضمن المعاجم والموسوعات العلمية ، وأطلق على الثاني تسمية (نظير المعنى) Parameaning على غرار مصطلح (شبه عسكري) Paramilitary ويريد به الشيء الذي لا يمكن الاشارة اليه صراحة بعبارة (معنى) رغم كونه شديد الشبه به .

ويبدو أن ما أسماه بـ (Parameaning) أو بالأحرى « المضمون الدقيق » اذا جاز التعبير ، على الرغم من احجام علماء الدلالة الأوروبيين عن استخدام كلمة « مضمون » بهذا المفهوم ، هو عين الشيء الذي يبحث عنه الخبير العدلي في النسخة المنقولة عن المضمون الدقيق المنزوي خلف ذلك الرمز المدون ونقصد به التوقيع .

ومن الطريف جدا أن هناك سيدة انكليزية تدعى المسز هالفن تدير وزوجها في لندن مكتبا للتحليل الخطي ، يتلقى باضطراد طلبات من شركات انجليزية تنظر الى كتابة اليد كدليل يعول عليه في اختيار المرشحين الذين يمكن الوثوق بهم

لأن يعينوا في الوظائف المالية الشاغرة . تقول السيدة هالفن في معرض دفاعها عن هذه الطريقة « ثمة احتمال لتدخل العواطف في تغيير شكل ومسار الخطوط أثناء الكتابة » . بيد أنها تؤكد أن « الملامح الأساسية لشخصية كاتبها تبقى رغم ذلك ثابتة على الدوام » . ويبين جيمس جرين وديفد لويس مؤلفا كتاب « اللغة الكامنة في خط يدك » . ان توقيع المرء يكشف عن نظرته الى العالم من حوله ، وعن الصورة التي يرغب أن يراه فيها الناس الآخرون ، كما يحمل من ناحية أخرى في طياته العديد من الدلائل التي تشير الى مواطن ضعفه وقوته على السواء . رغم هذا نرى العديد من الناس وبخاصة أولئك الذين يشغلون المناصب المالية يسعون جاهدين أن يخرج توقيعهم بحلة مهيبة تتحدى التزوير ، معبرة عن أهمية المركز الاجتماعي لأصحابها . وعلى الرغم من أن التوقيع عملية مقصودة ، الا أن هذه العملية تكشف أحيانا وبصورة عفوية عن سمات تشير بشكل خفي الى هوية كاتبها . على سبيل المثال وجد الأستاذ (توم ديفز) وهو أستاذ محاضر في قسم اللغة الانكليزية في جامعة برمنجهام ، أن من السهولة التعرف على خط يد الأشخاص الايرلنديين الشماليين بسبب ميل هؤلاء الى كتابة حرف الـ (r) الصغير كحرف الـ (R) الكبير .

من هنا نرى أن الامضاء ليس مجرد عينة خطية ، بسبب حقيقة أن التواقيع هذه تمثل رموزا مادية لصنف متميز في علم النحو والصرف ! فلو سألنا على سبيل المثال الشخص العادي : من أنت ؟ لأجابنا دون تردد بذكر اسمه ويبدو لنا هذا الموقف المتواتر ، طبيعيا الى حد يكون التوقف عنده أمرا استثنائيا ، بيد أننا لو أمعنا النظر في المضامين المنزوية في ثنايا مثل هذه الاجابة الآلية ، لاكتشفنا أن أسماءنا ليست محض (ماركات) أو رقع مميزة،القصد منها فرد المتكلم . انها في الواقع ، نحن دما ولحما .

من ناحية ثانية ، هنالك من يرى أنها ليست سوى عون لنا في أية عملية لانتقاء شخص واحد من مجموعة ما . ولكن ان كان الأمر بهذا اليسر ينبغي اذن ألا يغيب عن بالنا أن من الممكن جدا ـ والحالة هذه ـ الاستعاضة عن أسمائنا بأرقام حسابية هي أكثر كفاءة وفعالية في أداء مهمة التمييز تلك ، أضف الى ذلك أن الاسماء تمتاز عن الارقام بكونها أكثر انسانية وتجسيما لفكرة « الانسان » وبخاصة لو أخذنا بعين الاعتبار مدى ما يحصل من لبس لو أن مجموعة من الاشخاص اشتركت بأحد الأرقام . ومن الجدير بالذكر ان اعطاء السجناء والجنود أحيانا أرقاما بدل أسمائهم بهدف فرض الطاعة العمياء عليهم ، ما هو في الواقع الا فعل متعمد ، القصد من ورائه الغاء شعور هؤلاء الناس بفرديتهم ، وطمس تلك الملامح الانسانية التي تسود عادة بين الأشخاص أنفسهم لو كانوا في مواقف مختلفة . وعلى الرغم من ميل العديد منا ـ نحن العرب ـ مقارنة بالأوروبيين ، الى طمس بعض معالم أسمائهم أثناء توقيعها ، الا أن ما يحدث غالبا هو أننا نبقى فقط على ما نحب فيها وعلى الجزء الذي نحب أن يراه فينا الآخرون . وقد نكون محقين في قولنا ان ما نكشف وما نحجب في امضائنا هو رد فعل لحافز مماثل لما يدفع بعض الممثلين والممثلات وآخرين الى التخلي عن أسمائهم « غير الملائمة » والتي حملوها منذ ولادتهم ، بعدما أدركوا في فترة لاحقة من حياتهم أهمية « الاسم المناسب » الذي يمكن أن يعكس للجمهور صورة طالما تمنوها لأنفسهم .

وفي ضوء المحاولات الجادة لباحثي علم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي لتفسير معظم الظواهر اللغوية المتعلقة بمغزى العديد من الرموز والتعابير المكتوبة ، تبرز أهمية تناول التوقيع كوسيلة من وسائل الانسان المتمدن ، لتأكيد حاجته الى ترجمة جزء من ذلك الجانب المنزوي بمناد خلف اسمه الشخصي وكموضوع يستحق التأمل والتحليل .

ضياء القاروني



كولا حولوس (٢,٥ سنة) يتعلم السباحة باشراف والده سيرحي حولوس ، مدرب السباحة تحت الماء

الإنسان حيوان مائي !!

اعداد : موفق الدليمي*

النسبة الأعظم من مكونات الجسم الانساني من الماء وبدايات تكوين الانسان في رحم امه تتم في وسط مائي .. وفي ضوء هاتين الحقيقتين حاول العلماء في الاتحاد السوفيتي أن يجروا تجربة ان يعيش الطفل تحت الماء فماذا كانت النتيجة ؟

---

* باحث ومترجم من القطر العراقي يعمل في وكالة انباء نوفوستي في الاتحاد السوفيتي



كولا (٢٫٥ سنة) وناديا جولوس (١٠ أشهر) مع والدهما أثناء التدريب

ثمة رأي يقول ان الانسان ـ في الأصل ـ حيوان مائي ، ومهما يكن من أمر هذا القول ، فان الثابت علميا ، الآن ، ان الوسط المائي شديد الشبه بالوسط الذي يحيط بالجنين قبل الولادة ، وربما كانت هذه الفكرة هي أساس التجارب الجارية ، حاليا ، في الاتحاد السوفيتي لتنشئة الصغار في أحواض مائية ، فمنذ الولادة التي تتم ـ بالمناسبة ـ تحت الماء ، شأنها شأن الرضاعة التي تجري هي الاخرى تحت الماء ، نشأ هؤلاء الصغار في الأحواض المائية ، ويؤكد العلماء أن النتائج رائعة ، بل مبهرة فيما يتعلق بسرعة نمو الطفل .

* الطفل كولا يجيد السباحة بعُدّة رجال الضفادع ، والغوص الى عمق يصل ٦ أمتار ، والقفز الى الماء من برج بارتفاع ٥ أمتار ، كل هذا وهو لم يتجاوز بعد الثلاثين شهرا من العمر .

ليس هذا ضربا من الخيال ، ففي الاتحاد السوفيتي تعكف العديد من الأسر على تعليم أبنائها السباحة قبل أن يتعلموا المشي ! ومن بين هذه الأسر الأبوان جولوس .

بدأ كولا يزاول السباحة منذ الأسبوع الثالث من العمر ، أما شقيقته ناديا باشرت بمزاولتها قبل هذه السن ، وفي الشهر الخامس كان الصغيران يقضيان بمفردهما عشرات الدقائق سباحة في البانيو . وعندما بلغت ناديا شهرها الثامن عشر قطعت في حوض السباحة مسافة ١,٥ كيلو متر دون توقف .

* رحبت عائلة جولوس على الفور باقتراح تصوير الفيلم التسجيلي في الطريق الى المحيط ، واقتضى ذلك نقل الصغير كولا (٦ سنوات) وشقيقته ناديا (٤ سنوات) من موسكو الى بحر اليابان ، حيث جرى تصوير الفيلم .. كان تحمل الصغيرين لأعباء ..

هذه الرحلة الطويلة المضنية وتأقلمهما السريع فائقا :

فبعد مرور يوم واحد فقط غاص هذان (الضفدعان البشريان) الى أعماق بحر اليابان ، فتفتحت أمامهما مملكة نبتون السحرية المدهشة ، التي كانا يسمعان بها في الحكايات : على الصخور المغطاة بالأعشاب المائية ، والملفوف البحري ، تستكين قنافذ البحر وتزحف نجومه بمختلف ألوانها الزاهية ، وأمامهما تمرق أسراب من الأسماك الفضية الصغيرة ، وفي الرمل ترقد متوارية أسماك موسى المفلطحة ، وهناك التقى الصغيران كولا وناديا ببطل فيلم الكارتون الذي يعرفانه : الاخطبوط ، الذي تحول لونه البني - الرمادي الى ارجواني ، حالما همّ كولا بلمسه .

هذا ما قصه الصغيران على ذويهما ، وعلى مخرج الفيلم عندما عادا الى السطح ، بعد أن بادرهم كولا بنبرة حزينة : للأسف فقد نفذ هواء البالون .

قضت عائلة جولوس على ساحل بحر اليابان شهرا كاملا ، وبعد انتهاء تصوير الفيلم (الذي استغرق عشرة أيام) رفض الصغيران العودة قبل أن يصادقا الدلافين . فما كان من الأب الا أن يصنع لصغيره « زعنفة قدم » شبيهة بذنب الدلفين ، ولم يجد كولا صعوبة في تعلم السباحة تحت الماء ، على غرار صديقه الجديد الدلفين غراي . وفي وقت لاحق أطلق على هذا الاسلوب في السباحة اسم « سباحة الدلفين » .

أما الدلافين فقد استقبلتهما بترحاب واضح أخذت هذه الحيوانات البحرية التي يكثر الحديث اليوم عن مؤهلاتها الذهنية ، تدور حول الصغيرين باغتباط ، وتدعوهما الى اللعب بأصوات تشبه النقر تارة والتغريد تارة أخرى .

وعندما سئل كولا : ماذا يعجبه في الدلفين ؟ قال : انه ناعم . لم يكن الصغير يقصد ملمس جلد الدلفين فحسب ، انما يقصد أيضا أنه مسالم ومؤدب ورقيق الطبع . يهوى الأبوان جولوس السباحة وركوب الخيل ، ويندر أن يمرضا ، لذا فهما يؤكدان أن السباحة تربي لدى الصغار الاعتماد على النفس ، مثلما تنمي لديهما ملكة التفكير ، بيد أن المهم باعتقاد الأبوين جولوس ، هو أن السباحة تطور طاقات الجسم ومرونته واتساق حركاته ، كما تعتبر خير وسيلة لتفادي الاصابات البدنية لدى الاطفال .

يبقى أن نقول ان الصغيرين كولا وناديا يهويان أيضا الحمام الفنلندي (الساونا) فبعد المكوث عشر دقائق في الحمام الجاف الذي تصل الحرارة فيه الى ١٥٠ درجة مئوية ينطلقان الى العراء الشتوي الزمهريري ليدلكا جسميهما بالثلج □

السؤدد

روى أنه لما احتضر ذو الاصبع العدواني دعا ابنه اسيدا فقال : يابنى ان اباك قد فنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وانا موصيك بما إنْ حفظته بلغت فى قومك ما بلغته : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعز جارك ، واعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك واسرع النهضة فى الصريخ ، فان لك اجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة احد شيئا فبذلك يتم سؤددك .



هل يدوم الحب بين الزوجين ؟

بقلم : راجي عنايت

« يموت الحب بعد الزواج ولا تبقى الا المودة والاولاد .. بمجرد الزواج ينتهي الحب وتستمر الحياة بقوة الدفع .. وبكلمات قصيرة مفادها ببساطة أن الناس لا تعرف كيف تحتفظ بحرارة مشاعرها قبل وبعد الزواج » .

ما الذي يجب علينا أن نفعله حتى يبقى الحب ويتواصل ؟ .. ما الذي يجعل علاقة الحب بين الزوجين قائمة ومستمرة ؟ .. هل هناك وصفة خاصة تحقق لنا هذا اذا ما التزمنا بها ؟ .. كيف يمكننا أن نقيم التوازن المطلوب بين الاحساس بالأمان والابقاء على احساس الاثارة والجدة ؟ ..

كيف نطرد السأم من العلاقة الزوجية ؟

يقول الكاتب النفسي الاجتماعي المعروف أريك فروم ، حول صعوبة استمرار علاقة الحب بين الزوجين « من الصعب أن تجد نشاطاً أو مشروعاً ، يبدأ بطوفان من الآمال الكبيرة والتوقعات المبشرة ، ثم ينتهي آخر الأمر بخيبة الأمل مثلما نجد دائماً في

الحب بين شخصين » .

المشكلة دائمة ، الحب يدعو الطرفين الى التقارب ، والتقارب إما أن يكشف التناقض أو يقود الى السأم .. ويورد الكاتب فاسيليكوس في ثلاثيته النبات والبشر والملوك » هذه الصورة الخيالية اللطيفة حول هذه المشكلة .

ذات يوم ، كانت هناك سمكة صغيرة .. لكنها كانت سمكة غريبة ، من أسفلها حتى وسطها سمكة ، ومن وسطها حتى رأسها طائر .. وقد وقعت في غرام طائر صغير ، كان هو أيضاً من وسطه حتى رأسه على صورة السمكة . كانت السمكة الطائر تقول للطائر السمكة « لماذا خلقنا هكذا ، بحيث يستحيل علينا العيش معاً ؟ ! .. أنت فوق الريح ، وأنا وسط الأمواج .. أي حظ تعس ؟ ! أجاب الطائر السمكة « بل هذا هو حظنا السعيد ... فبهذه الطريقة سيظل الحب بيننا قائماً لأننا سنبقى دائماً على انفصال ! » .

الزواج كالأرجوحة

لقد قام الباحث النفسي الاجتماعي مارتن روزغمان بتقديم نصائح سبع للمتزوجين تساعدهم على الاحتفاظ بالحب في علاقتهم الزوجية ، حياً متوقداً .. وقبل أن نقدم هذه النصائح الذهبية دعنا نستعرض بعض الحالات التي خضعت للدراسة والتي يمكن أن نتفهم من خلالها بعض أسرار الحياة الزوجية السعيدة .

مضى على زواجنا ستة أعوام ، وكان زواجاً سعيداً ، لا أنكر أننا صادفنا بعض المشاكل والحساسيات من وقت لآخر ، الا أنه عندما كنا نتعاون على حلها كانت تتناقص ويتباعد حدوثها . ونحن اليوم نحمل لبعضنا قدراً عظيماً من الحب والاحترام ، كما أننا توصلنا الى قدر من الفهم والادراك ، يسمح لنا بمناقشة الأمور وتبادل المساعدة . فالقدرة على التفاهم والاتصال هي بلا شك مفتاح السعادة .

« لقد كانت حياتنا الزوجية أشبه بركوب الارجوحة ، لها قمتها العليا وحضيضها الأسفل .. بل إن أحدنا كان يسقط في بعض الأحيان من فوق الارجوحة ويتألم من أثر السقطة .. لكننا كنا نجد متعة في الصعود مرة ثانية الى الارجوحة ... » .

فضيلة الاستماع الى الزوجة

وتقول زوجة أخرى :

« أشعر بأنني أعيش حياة زوجية سعيدة ، فقد حظيت برجل يشاركني النجاح والفشل .. رجل اكون معه على سجيتي ، حتى وأنا في أسوأ حالاتي . إني أعتبره في واقع الأمر أفضل أصدقائي . وخلافاتنا الزوجية ، وقد مررت بالكثير منها خلال سنوات زواجنا العشر أجدني بعد كل خلاف منها أكثر حباً له ... » .

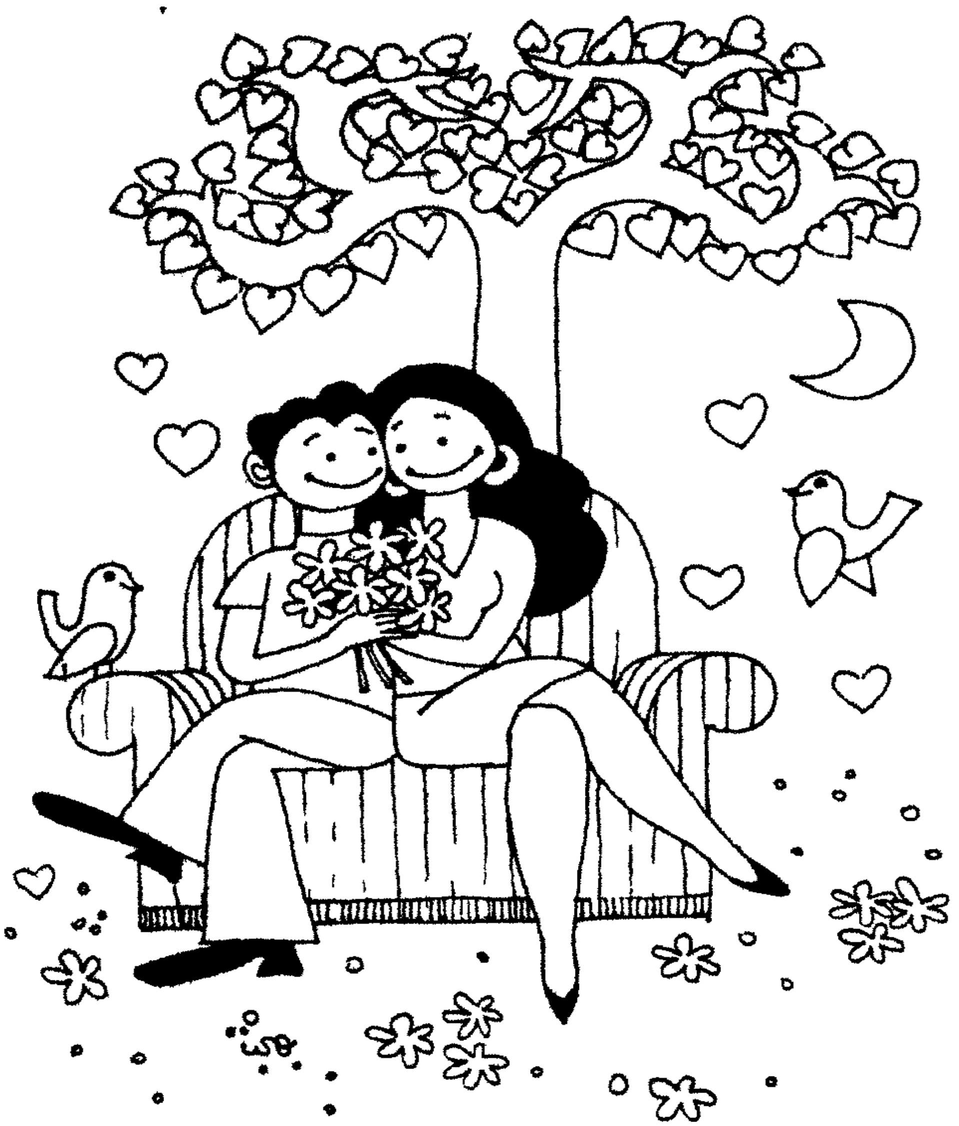
ومن ناحية أخرى يقول أحد الأزواج :

« أنا زوج سعيد ، مضت على زواجي عشر سنوات ، وكنت أحرص خلال هذه السنوات على القيام بشيء لا يقوم به الكثير من الرجال .. أعني بذلك الاستماع الى زوجتي . ولا أقصد بذلك الاستماع الى دردشتها ، بل الانتباه الى أقوالها التي تتيح لي أن أفهم مشاعرها ، وأعرف ما الذي يخلق لديها هذه المشاعر .. والا كيف لي أن أحبها حباً حقيقياً دون أن أعرفها ؟ .

الزواج .. شركة

وتسرد إحدى الزوجات فلسفة حياتها الزوجية كما يلي :

« لعل أهم ما نجحنا في تحقيقه أنا وزوجي ، هو إحساسنا بالالتزام والارتباط والمسئولية تجاه بعضنا البعض ، وتجاه اسرتنا الصغيرة . زواجنا ينجح ، لأننا نعمل على نجاحه . نحن نرى من حولنا زيجات فاشلة تتهاوى . أما السر في نجاحنا أنا وزوجي ، فيتلخص في أمرين : الأول هو فهمنا أن الزواج شركة



وزمالة ، وأي شركة تحتاج الى جهد لكي تستمر .
الزواج شركة لها رئيسان عليهما أن يكونا على استعداد للتضحية والتنازل الى الحد الذي يتيح للشركة أن تستمر وتنجح . لا يمكن لأحد الطرفين أو الشريكين أن يحصل على ما يريد كاملاً وطوال الوقت ، ولذا فعلى الطرفين أن يعرفا مسبقاً أنهما سيفقدان جانباً من حريتهما الشخصية أما الأمر الثاني فهو حرصنا على أن نتحدث الى بعضنا حول كل شيء . . شيئاً قرأته ، أو شيئاً رآه ، فكرة جديدة ، ذكرى قديمة . لا يهم موضوع الحديث ، الذي يهمنا هو أن يستمر التلامس الفكري والعقلي بيننا . . . » .

احتياجات الطرف الآخر

وأخيراً يتحدث زوج قديم عن تجربته فيقول :
« في العام القادم سنحتفل بعيد زواجنا الخامس

والعشرين . وعلى مدى هذه السنوات الطويلة ، لم تخطر على فكر أحدٍ منا مسألة الانفصال . والحب الذي بيننا جعل كلًا منا يفكر في احتياجات الآخر أولاً ، بعكس ما يفعله معظم الناس عندما يحصر تفكيرهم فيما يجعل كل واحدٍ منهم سعيداً

« فما هي مصادر سعادتنا وأسرار قوة ارتباطنا ؟ . . الأذن المنصتة عندما تسوء الأحوال في العمل مثلاً . . روح المشاغبة اللطيفة ، عندما تظهر الحاجة الى الدعابة . . المشاركة في تهيئة الظروف لتنشئة الأطفال . . مشاركتنا لمن يحيطون بنا في حياتهم وفلسفاتهم . والارتباط بين الزوجين لا يعني أبداً أن يلتصق الواحد بالآخر حتى يكتم أنفاسه ، بل هو نوع من الالتزام نحو الطرف الآخر . ونحن أدرى الناس بنواقصنا ، لكننا نعمل معاً على تغليب العناصر الايجابية في كل منا وبذل الجهد لانجاح هذه العلاقة التي تسمى « الزواج » . . .

الحب والـــزواج

في مقابل ما يلصقه البعض من نواقص بنظام الزواج عامة . يطرح الكاتب روزغان ظاهرة ، تشيع في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وهي ظاهرة المعاشرة والمعايشة الدائمة بدون زواج . وهو يقول إنه من واقع دراسته لهذه الظاهرة ، قد اكتشف صعوبة إقامة علاقة حب دائمة بدون زواج .

وهو يقول إن العدد المتزايد من الفتيات والفتيان الذين يرتبطون بحياة مشتركة كأزواج ودون زواج تكون علاقاتهم عارضة ولا تدوم .

وفي بحث للعالمة اليانور ماكلين حول « المعاشرة بدون زواج في الولايات المتحدة الأمريكية » تقول إن ظروف حياة الذين يتعاشرون ويعيشون في بيت واحد بدون زواج ، تشبه في كثير من الوجوه ظروف حياة نظرائهم الذين لا يعيشون في نفس المكان . وان نسبة صغيرة جداً من اولئك الذين يعيشون في بيت واحد ، يفضلون أن تستمر حياتهم بلا زواج . وهي تعلل ذلك بأن المزايا الاجتماعية والاقتصادية والشرعية للزواج ما زالت قوية ومقنعة ، ورغم شيوع موجة الهجوم على الزواج ، الا أن الباحثة اليانور ماكلين تؤكد أنه اذا لم تكن البشرية قد عرفت بعد فكرة الزواج ثم اقترحها الآن ولأول مرة أحد علماء الاجتماع مثلاً ، فان إقتراحه هذا سيحظى بالتقدير ويوصف بالذكاء . ذلك لأن فكرة الزواج تكون حافلة باحتمالات العطاء الهائلة ، باعتباره وسيلة خلاقة للمشاركة في الحياة رغم ما ينشأ من مشاكل على مدى الحياة الزوجية .

الأمـــان والاثـــارة

ومن بين المشاكل التي تقف في طريق استمرار الحب ، عدم القدرة على حفظ التوازن بين الأمان من ناحية والاثارة من ناحية اخرى . فالانسان يبحث عن شريك حياته الذي يفهمه ويعتمد عليه ويسهل توقع ردود فعله ، لكنه في نفس الوقت يريد الاثارة ويسعى الى الجدة . والشائع في الزواج حالياً هو حرص الشريك في العلاقة الزوجية على تحقيق الكثير من الأمان على حساب **الأثارة** وذلك السأم الذي يعاني منه عدد من المتزوجين ، ترمز اليه صورة ساخرة لزوجين من الطبقة المتوسطة ، يجلسان في أحد المطاعم ، يتناولان طعامهما في صمت مطبق ، لا يتبادلان كلمة واحدة .

لكن ذلك السأم لا يقتصر على المتزوجين ، فقد أجريت دراسة على ١٠٣ حالة انفصل فيها المتحابان قبل الزواج . وظهر من الدراسة أن أحد الأسباب الرئيسية لانهاء العلاقة هو الاحساس المشترك بالسأم من العلاقة ، سواءً من جانب الرجل أو المرأة . التنويع هو أمضى أسلحة القضاء على السأم . والمشكلة هي أن الحب غالباً ما يؤخذ كقضية مسلّم بها ، أو كحقيقة قامت وما تزال قائمة لا تحتاج الى جهد من الطرفين ، وواقع الأمر أن الحب قابل للنمو بصفة دائمة ، اذا ما أولاه الطرفان قدراً من الوقت والجهد والعناية ، على الأقل نفس الجهد الذي يبذله الطرفان في رعاية النباتات المنزلية الخاصة بهما . كما أن

الابتكار والتلقائية والخيال والمرونة يمكنهما أن توفر فرصاً جديدة يكتشف فيها كل طرف آفاقاً جديدة في الطرف الآخر .

والخطأ الذي يرتكبه كل من طرفي العلاقة الزوجية هو تصورهما أنهما قد اكتشفا كل ما هو موجود في الطرف الآخر . وأساس الخطأ هو تصور أن الطرف الآخر يبقى على حاله على مدى السنوات لا يتغير فيه شيء .

العناصـــر السبعـــة

ومن واقع الدراسات التي قام بها علماء النفس والاجتماع ، يمكننا القول بان هناك سبعة عناصر تساعد على بقاء الحب بين الزوجين . لكن من المهم أن نؤكد بداية أن علاقة الحب قد تبقى في غيبة عنصر أو عنصرين من هذه العناصر السبعة ، وبشكل عام كلما تحقق قدر أكبر من العناصر التالية ، كانت فرصة الوصول الى علاقة أفضل أكثر احتمالاً . . أما العناصر السبعة فهي :

١ ـ احترام وقبول الانسان لذاته

يقول أحد الأزواج « لم يكن الزواج بالنسبة لكلينا نتيجة إحساس أي منا بالسأم أو الخوف أو الوحدة في حياته السابقة على الزواج . لقد كان كل واحد منا يستمتع بحياته قبل الزواج ، لكننا قررنا أن نبني معاً حياة أكثر ثراء . فالكثير من العلاقات الزوجية تصاب بالفشل ، لأن أحد الطرفين لا يحب نفسه ولا يحترمها أو يرضى عنها ، ومن ثم يصبح غير قادر على حب الآخرين . .

كلما زاد قبولك لنفسك ، ورضاك عنها ، تضاعفت قدرتك على فهم وقبول الطرف الآخر . والرضا عن الذات لدى كل من الطرفين يساعد على تطور العلاقة بينهما .

(٢) التفاهم والاتصال الجيد

التفاهم الجيد والقدرة على تبادل الأفكار والاتصال الجيد ، هذه الأشياء مفتاح هام لانجاح العلاقة بين الزوجين ، ولاستمرارها طويلاً .

(٣) القدرة على مواجهة الخلافات بشكل فعال

الذين يسعون الى علاقات متآلفة دائمة ، عليهم أن يتصدوا لما يعترض علاقاتهم من أزمات ومشاكل وخلافات ، لا أن يهربوا منها أو يغمضوا عيونهم عنها ، عليهم أن يقتحموا المشاكل بصدق وإخلاص ، لا أن يدوروا حولها .

(٤) الآمـــال الواقعيـــة

المجتمع الذي يعيش فيه الانسان ووسائل الاعلام والأعمال الفنية ، تلح علينا بالآمال الرومانتيكية الحالمة ، وتبشر باسطورة الحب الكبير الذي يكتسح أمامه كافة العقبات ، ويحل جميع المشاكل . وحقيقة الأمر أن أفضل علاقات التآلف والحب يعجز فيها الطرفان عن تحقيق الكثير من آمالهما والوصول الى توقعاتهما بشكل كامل .

(٥) الالتـــــزام

المحبان المتآلفان اللذان يلتزمان بالعمل معاً للحفاظ على علاقاتهما بكل ما يطرأ عليها من تغير ، وكل ما تحققه من تطور ، تكون لديهما أفضل الفرص للاحتفاظ بحبهما طويلاً ، ولتحقيق النمو المطرد للذات بالنسبة لكل منهما . ففي كل علاقة حب وتآلف تمر الأوقات الصعبة . وعندما ينجح الطرفان في مواجهة الأزمات فانهما في نفس الوقت يدعمان إحساسهما بالالتزام والمشاركة والأمان .



(٦) الأماني والاهتمامات المشتركة

عندما تتوفر الاهتمامات المشتركة بين الطرفين تتزايد فرص إجراء الحوار والاستمتاع المتبادل . عندما يصل الطرفان الى مستوى الاشتراك في أحلام واحدة ويعملان معاً على تحقيقها ، فان المشاكل اليومية والأزمات الكبيرة لا يمكن أن تقف في وجه حبهما .

(٧) تقدير الطرف الآخر

تقول إحدى الزوجات « اذا ما اعارتك صديقة طبقاً من الصيني الثمين فانك تهتمين به خير اهتمام . تغسلينه بيديك وترفعين عنه التراب كل قليل بحيث يبدو لامعاً زاهي النقوش على الدوام . وعندما تستعملينه يتم ذلك بحرص شديد . . ولكن بمجرد أن تقول لك الصديقة : أرى اعجابك بهذا الطبق واهتمامك به . . ولهذا فقد قررت أن أهبه لك كهدية . بمجرد أن يصبح الطبق ضمن ممتلكاتك ، يظهر على الفور اهمالك له . عند غسله تضعينه في آلة غسل الأطباق واذا ما أصابه شرخ لا يظهر عليك الانزعاج . . نفس الشيء يحدث بالنسبة للمحبين ، بمجرد أن تدرك الواحدة أنها قد حصلت على رجلها بشكل كلي ، تعمد الى اهماله . . . » .

ورغم أن التقدير المتبادل بين الطرفين ، قد يبدو من الأمور البسيطة السهلة ، لكن واقع الأمر يقول : إن من مصادر الشكوى المتكررة بين الزوجين ، هو أخذ أحد الطرفين للطرف الآخر كقضية مسلم بها ، واعتبار وجوده واستمرار العلاقة أمراً مضموناً . في العلاقات الجيدة ، يبذل الطرفان المتآلفان جهداً لتقييم وتقدير بعضهما البعض ، وهما يتبادلان التعبير عن هذه المشاعر بشكل بسيط . □

كان برناردشو معجبا طوال حياته بشخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام فكان يرى في حياته ورسالته تجسيدا للبطولة كما يفهمها ، وقد اراد شو أن يكتب مسرحية تتناول حياة الرسول الا ان السلطات البريطانية منعته لان ذلك سيثير رعاياها المسلمين،لأن الدين الاسلامي يحرم تمثيل شخصية الرسول على المسرح ومع ذلك فقد نطق شو في مسرحياته بكثير من التعليقات التي تشير الى حياة النبي الكريم فالشيخ في مسرحية (العودة الى متوشالح) يقول عن النبي (إنه عميق الحكمة . . .) كما ان في مسرحية (القديسة جان دارك) الكثير من الاشارات الى النبي محمد . وفي قول مأثور له يقول عن النبي محمد : اما انا فأرى واجبا ان يدعى محمد « منقذ الانسانية » واعتقد أن رجلا مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته وأحل فيه السعادة والسلام





طبيب الأسرة

عزيزتي الام . . تذوقي دواء ابنك :

السكر وتسوس أسنان الأطفال

« لم نعد نحن المسئولين فقط ، فلم تعد قطع الحلوى التي نكافىء بها أطفالنا هي السبب في تسوس أسنانهم بل صار ـ وياللعجب ـ من بعض الدواء الداء ! »

الدكتور عدنان الظاهر ينبهك عزيزتي الأم الى سبب جديد من أسباب تسوس الاسنان . يدخل السكر تقريبا في تركيب ادوية الأطفال السائلة ، حيث يكون الفم السبيل الطبيعي لتناولها ، سواء أكانت مشروبا للقضاء على سعال الطفل ، أم مضادا حيويا قويا . والسبب مفهوم ومعروف يقوم على اغراء الطفل بتقبل الدواء ، وهو غالبا مايكون غير سائغ . ولقد وجد أنه رغم أن معاجين الاسنان الحاوية على الفلور ووسائل التحلية الصناعية قد اختزلت فعلا من وتائر الاصابة بمرض تسوس الاسنان لدى الاطفال،الا ان الادوية المحلاة لم تزل تسبب بعض حالات التسوس ولاسيما بين الاطفال دائمي الاعتلال ، اما أطباء الاسنان المختصون المعنيون بهذا الامر فان غالبيتهم الان ترى ضرورة منع انتاج مثل هذه الادوية بشكل قطعي ، والتوقف عن تعريض اسنان الاطفال للدمار ، وخصوصا أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والرابعة . يقول رئيس الاطباء في مستشفى مدينة تورنتو الكندية : إن الادوية التي تعطى للكبار عادة بشكل كبسولات هي نفسها التي تعطى للصغار مذابة في سوائل حلوة ـ غير أن هذا الطبيب يسارع للقول انه ليس أمام الطبيب من خيار آخر مادامت معظم الادوية المتوفرة اليوم لاتخلو من السكر ، وعليه فان اصلاح السن المعطوبة يتطلب في اغلب الاحوال عملا مرتفع الثمن حتى بالنسبة لاطفال هم في سن الثانية فقط .

يضع أطباء الاسنان اللوم على أدوية الاطفال التي



تدخل في تركيبها نسبة عالية من السكر ، ويعتقد خبراء طب الاسنان الوقائي أن محلولا من السكر ضعيف التركيز لايؤثر على الاسنان بشكل كامل . وعليه فان مثل هذا المحلول ليس بالضرورة قادرا على تكوين المناخ اللازم لعملية التسوس ، ثم ان استعمال مواد التحلية الصناعية البديلة للسكر يمكن أن يكون الحل الافضل ، رغم ان شركات الادوية مازالت تتجنب استخدام مثل هذه المواد بسبب غلاء ثمنها بالمقارنة مع السكر .

هناك مادتان معروفتان اليوم للتحلية الصناعية : اسبرتام وزايليتول

ويمكن استعمال أي منها لجعل الدواء مقبول الطعم مع المحافظة على الاسنان دونما أي تسوس . فلقد بينت تجارب اجريت في كل من فنلندا والولايات المتحدة الامريكية أن الزايليتول قد قضى على البكتريا المسببة للحموضة . ولكن رغم ذلك فان الزايليتول لم يستعمل الا في كندا كمادة محلية تدخل في تركيب اللبان بدل السكر .

فمادامت الادوية المتداولة اليوم هي سكرية الطعم فان أطباء الاسنان ينصحون أن يغسل الطفل أسنانه بالفرشاة ومعجون الاسنان قبل وبعد تناوله مثل هذه الادوية . □

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

الحاسة السادسة

● أسمع عن الحاسة السادسة ولا أتبين حقيقتها ، فأرجو افادتي عنها ، ولكم وافر الشكر .

ج . ع . ق

طرابلس الغرب

ـ يعزى تحديد الحواس عند الانسان بخمس حواس الى الفيلسوف اليوناني القديم أرسطو ، الذى وزع أحاسيس الانسان على الشم والذوق والبصر والسمع واللمس .

ومنذ عهد أرسطو سار الناس على نفس النهج ، دون جدال أو مناقشة ، واعتبروا الأمر مسلما به ، غير أن بعض المجتهدين الذين أرادوا أن يجدوا تفسيرا لشعور الانسان المبهم ، وتوقعه لحدوث أمر ما ربما يصدق معه الحدس والتخمين ، فاطلقوا اسم الحاسة السادسة على اعتبار أن الشعور بالغيبيات ، وتوقع أمر ربما يحدث هو شكل من أشكال الأحاسيس ، وما هو الا توقع مبهم ، يعتمد على أمور عدة ، منها الشك ، ومنها التجربة السابقة والتخمين ، ورصد الاحتمالات المتوقعة التى لا علاقة لها بموقع محدد من الجهاز العصبى ، كما هو شأن الحواس الخمس الأخرى .

غير أن أمر الحاسة السادسة ، الذى وجد هوى عند المؤمنين بالغيبيات ، لا يجد قبولا عند جمهور الأطباء ، الذين رفضوا أيضا مبدأ تحديد الحواس بخمس فقط ، فقد اكتشفوا أن حواس الانسان أكثر من أن تحصر .

ولو كان لنا أن نعد ما عرف من حواس لدى الانسان فاننا قد نتجاوز الثلاثين عدا ، اذ سنعتبر العطش احساسا ، والجوع أيضا احساسا كما أن الألم احساس .

هذا الى أن قصر احساسات الجلد على اللمس

يعتبر رأيا خاطئا ، بعدما وجد العلماء نهايات أعصاب متعددة مختلفة ، منها ما هو خاص باحساس الحرارة ، ومنها احساس البرودة ، أو احساس الضغط ، بالاضافة الى احساس الألم واحساس اللمس .

ومن هنا نجد أن الحاسة السادسة لا مكان لها في العرف الطبي الذى لا يرقم الأحاسيس .

الدهون المشبعة

● نصحنى الطبيب بتفادى الدهون الحيوانية واستعمال الزيوت النباتية ، خوفا من تصلب الشرايين ، لأن الدهن الحيوانى دهن مشبع بالكوليسترول فهل هذا صحيح ، و أى الدهون تكون خالية من الكوليسترول ؟ .

سالم . أ . و

الكويت

ـ من المعروف أن الدهون بصفة عامة هى تركيب معقد أساسه شقان :

الشق الأول : جزىء الجلسرين

الشق الثانى : الأحماض الدهنية

والأحماض الدهنية متعددة ، وكل منها له تركيب معقد متميز عن الأخر ، فاذا اجتمع بعض منها ـ وعادة ما يكون ثلاثة أحماض مع جزىء الجلسرين ـ نتج نوع من الدهون التى منها الزبد مثلا ، أو زيت الزيتون ، أو زيت الذرة . والأحماض الدهنية المعقدة التركيب يدخل فيها عنصر الهديروجين بدرجة أو بأخرى ، فاذا ما كانت ذرات الهيدروجين مرتبطة بمواضعها بنسبة كبيرة ، قد تصل الى مستوى التشبع ، أطلق عليها العلماء لقب المشبعة وصار الدهن الذى دخلت فى تركيبه هذه الأحماض مشبعا .

أما العكس فيحدث عندما تقل نسبة ذرات الهيدروجين في تركيب الأحماض الدهنية المكونة للدهن .

وقد لوحظ أن الدهون ذات المصدر الحيوانى تكون من النوع المشبع ، وعلى نقيضها تكون الدهون النباتية .

وقد اتخذت الدهون المشبعة ونقيضيها الدهون غير المشبعة صفات ملحوظة متفقا عليها ، منها : أن الدهون المشبعة ذات المصدر الحيوانى تكون جامدة القوام ، في درجة حرارة الغرفة العادية ، كما أنها غنية بمحتواها من مادة الكوليسترول المتهمة في قضية تصلب الشرايين ، حيث تترسب عندما تزيد بين طبقات جدران الشرايين ، وتؤدى بمرور الأيام الى تصلبها ، وتنتهى الى نوبات القلب وارتفاع ضغط الدم ، أو مضاعفات اصابات المخ وما اليه .

أما الدهن النباتى غير المشبع عادة فانه يكون سائلا في درجة حرارة الغرفة العادية ، و أقل احتواء لمادة الكوليسترول ، لهذا فهو مرغوب به صحيا ، للوقاية والعلاج من المشاكل المشار اليها . غير أن الدهن حيوانى المصدر أطيب نكهة لدى الناس وأشهى مذاقا فى الطعام ، ومن هنا لجأ العلماء الى حيلة توفق بين هذا وذاك ، عن طريق اضافة الهيدروجين الى الزيوت النباتية ، لتكتسب صفة الدهون الحيوانية ، مع ضمان نسبة من الكوليسترول أقل من نسبته فى الدهن الحيوانى الطبيعى .

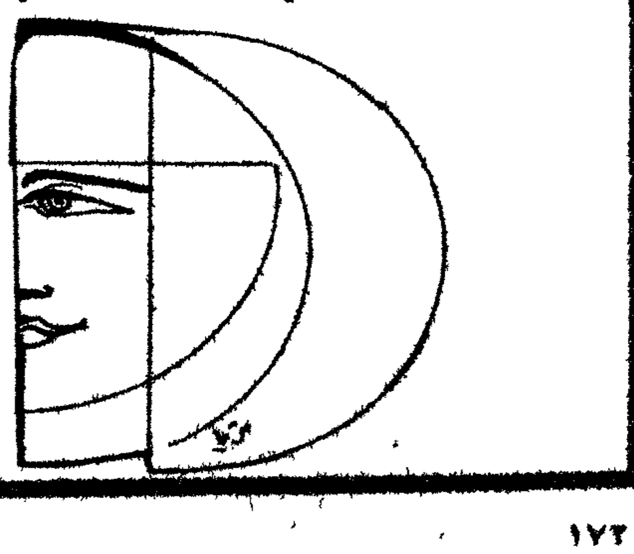
ومن هنا أصبح الدهن الصناعى دهنا مشبعا ، ولكن من مصدر نباتى



هـوَ ....
الفنـدُق

● بعد عام واحد فقط من الزواج ، بدأ يفر من البيت ، ولم يكن هـذا الفرارمفـاجئـا ولامباشرا ، ولكنه بدأ بالتدريج . . حتى اصبح البيت بالنسبة له اشبه بفندق ، يعود من العمل ، يتنـاول الغـداء . . ينـام ، يستيقظ ، يغـادر البيت ، يعـود ليـلا فينـام . . ليبدأ دورة يـوم جديد . .

حاولت كثيرا أن اوقف حالة الهروب في بدايتها لكن كنت كمن يحـاول أن يحتفظ بـالمـاء بـين أصـابعه ، بـدأت حالتـه بعـد ستـة شهـور من الزواج ، ذات يوم وجـدته قـد ارتدى مـلابسه واخبرني انه ذاهب لموعد مع بعض اصدقائه . . ظننت يومها انها نزوة لن تتكرر ، بعد اسبوع عاد وخرج . . بعد اربعة ايام ، بعد يومين . . ثم كل يوم . . خلال هذه الفترة حاولت كثيرا بالنقاش ان أصل الى تحديد المكان الذي يذهب اليه ، ومن يقابل . . ، و . . . و . . وتحول النقاش في كل مرة الى شجار ، قلت له انني اقلق عليـه لتأخره في



الخارج ، سمعت كلاما عن انه ليس طفـلا . . ووعد بأنـه قبل أن يغـادر البيت سيقول لي متى يعود . . اقترحت عليه أن يلتقي مع أصدقائه في البيت عندنا ، نظر الى بريبة وشك وصمت . . في نهاية الاسبوع فوجئت بستة رحال يحتلون مقاعد الصـالون ويحتسـون عددا لااذكـره من أكـواب الشـاي والقهوة . . ويلتهمـون كمية كبيـرة من طعام العشـاء . . واصواتهم تصل الى غرفة النوم فيمـلأونها بـالضجيـج والضحكـات والصخب والكـلام الجاد والنكـات،والالفـاظ التي تخدش الحياء تصل كالهمس . . مهما حاولوا ان يخفضوا من نبرات اصواتهم ، صباح اليوم التالي وانا واقفة اغسـل الاطبـاق والاكـواب لعنت الفـكـرة والمحـاولـة . . ونحن نتنـاول الافـطار قلت لـه بهـدوء . ارجـو الايتكـرر مـاحـدث في ليلة أمس . . وقابلهم في اي مكان تشاء . . وانتهت مناقشاتنا ومات اى تفكير لي بأن احـاول ايقاف هروبه . . واعترف أن مشاعره تجاهي كما هي . . ورعايته لي لاتنقص، ولم أطلب شيئا وتقاعس عن تحقيقه ، ولم أسأله يوما ان نخرج وحدنا لنزهة او زيارة وتردد ، وصارت الأوقات التي يقضيها في البيت ـ على قلتها ـ يحـاول ان يكون فيهـا رقيقا ودودا . . متسـاهلا . . ولكنـه يهرب ، يفـر من البيت . . اشكو الوحدة ساعات طويلة ، ابحث عن نقـاشـاتنـا ومشـاجـراتنا وصفـائنا . . افتقـد الانسـان ، التـواجـد ، الحوار . . المشـاركـة في الـدقـائق والسـاعات . . في الـزمـان والمكـان ، ولكنني لاأجده .

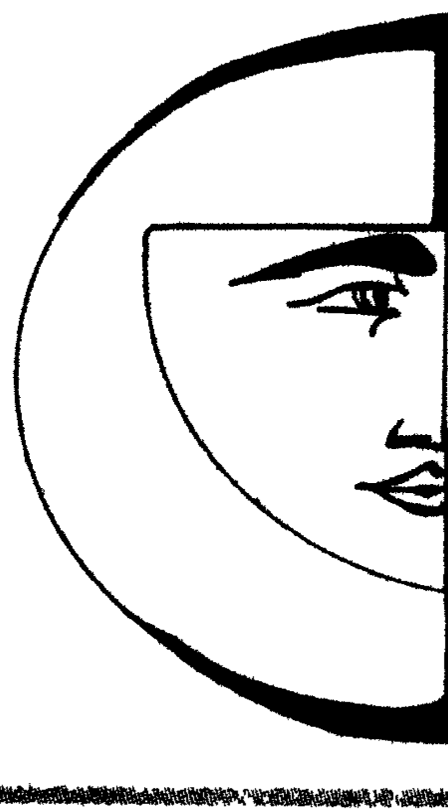
هيَ

هي....

خوفُ المَلل

● لا اذكر تماما من الذي قال إن كل الأشياء تحمل في داخلهابذور موتها وفنائها . . وكم هي صحيحة هذه المقولة . . على الاقل بالنسبة لي . . تتهمني دائما بانني لاافهم الحياة الزوجية ، وانني أحلت البيت الى فندق للطعام والنوم . . وانه مطلوب مني أن أتواجد في البيت . . اتكلم معها اتناقش . . حتى أتشاجر ، تصوروا تشتاق للمشاجرة .

لم أستطع أن أشرح لها وجهة نظري كاملة خشية أن اجرح مشاعرها . . ولكنني أتصور انني على صواب ، فماذا يفعل بنا الالتصاق الشديد



بمن نحب ؟ والى ماذا يؤدي ؟اننا لانرى العالم الا من خلال عيوننا ، واننا لانحتك بالحياة الا في اطار خبراتنا ، ببساطة شديدة ستظل احاديثنا ورؤ انا واحساسنا بالاشياء يدور في مستوى مغلق لايتجاوزه . . . تصبح ردود الفعل محفوظة . . والآراء متوقعة والاحاسيس متكررة . . وتنتقل عدوى رتابة الحياة وأزماتها لتلتصق باحساسنا الداخلي فتعطله ، ويعشش الملل والتكرار فوق الحياة وأنا الحريص على تجددها وتألقها . . فماذا فعلت ؟ انسحبت من دائرة الالتصاق . . الى دائرة الاصدقاء . . حيث الآراء متنوعة . .

والاختلافات قائمة والرؤ ية مختلفة . . ووقائع الحياة متباينة فتزداد الخبرة تنوعا . . والآراء نضجا ، واعود اليها محملا برؤ ية مستمرة ومتجددة للحياة والناس . . تمتلىء بتفاصيل ووقائع تثرى المعرفة الانسانية .

ولم اقصر في علاقة عائلية تربطنا او مناسبة تستدعي وجودنا معا . . وبرغم هروبي كما تسميه هي . . لم تخفت مشاعري تجاهها . . واعود الى البيت وفوق وجهي ابتسامة . . والقاها متهللا . . ولكنها تريدني ضمن اثاث البيت قطعة ثابتة لاتتحرك . . واذا لم تجدها فهذه سرقة . . حاولت كثيرا أن افهمها انني ادافع عن حياتنا ضد شبح الملل والرتابة ولكنها لاتؤمن ولاتصدق ولاترى أى خوف من الالتصاق .

هو ▪

قراءة في البدن

بقلم : الدكتور محمد حكمت عبد الدائم

هل تعلم أن بدنك أعضاء وأجهزة شتى قد تمايزت وتآلفت أشد التمايز والتآلف ؟ طبعا تعلم . لكن هل تساءلت يوما أي هذه الأعضاء هو الأجل والأهم ؟

أهو دماغك ، الحاكم غير المتحكم ، الذى يدبر معاشك في النوم واليقظة ، وبه تعلم وتتعلم ، وتسعد وتغضب ، وتحزم وتتردد ؟ أما خلاياه فملايين مؤلفة في صفوف مرتبة بانتظام لا تيه فيه ، وقد توزعت المهام فيما بينها ، فمنها المحرك ، ومنها صاحب الحس ، ومنها المدرك ، ومنها المُنطق ، ومنها السامع ، ومنها المنفعل ، ومنها الكثيرات لانعلم بعد ماذا تفعل ؟

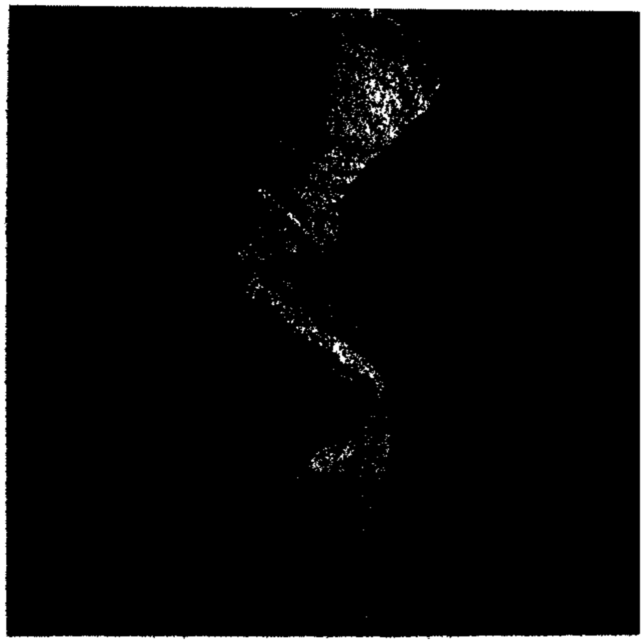
أم هي عينك التي تصغر قبضة يدك ، والتى بها تحلق فى الصغير والكبير الدانى والقاصى ، المتحرك والساكن ، الجميل وغير الجميل ، ترى ما تقرأ ، وتقرأ ما ترى بسرعة هى لمح البصر ؟ أدام الله لها جفنيها يقيانها من سهاد وغبار وطول نظر .

أم أذنك التى لا ترى منها سوى صيوانها جامع الأصوات ، وما خفى منها أعظم شأنا وأدق تركيبا ، ومهمتها التقاط الموجات الصوتية الاثيرية على اختلافها ، ثم تركيزها ، ثم تحويلها الى اشارات كهربائية عصبية يفهمها دماغك ؟ وفى جوف أذنك ثلاث عظيمات دقيقة التصميم ، هى أصغر العظام التى فيك . تهتز المطرقة أولا ، فتطرق السندان ، وهى الوسطى التى تهز بدورها الركابة وهى الصغرى . وباهتزازها تحوّل العظيمات الأصوات الواردة من تموجات هوائية في خارج أذنك الى تموجات خلطية فى باطنها ، فتهتز لذلك شعيرات الخلايا العصبية السابحة في باطن الخلط من باطن الأذن ؟

أما انفك فما خبره ؟ أيكفى انك عبره تستنشق الهواء وتزفره ألف مرة كل ساعة .. ساعة بعد ساعة ، فيدفئه ويرطبه وينظفه ؟ لا ، فهو ايضا الذى يستنشم لك ما حولك ، فتميز الطيب من الخبيث من نبات وطعام وريح ؟

أم الفم ؟ مدخل الشراب والغذاء وملفظ النطق وحسبه هاتان ذكرا ، واسأل عن أهميته رجال الطوارق الذين ستروه حرصا عليه .

أما العنق فهو الذى يصلك (وقد اعتبرناك موجودا



فى رأسك) بسائر أعضاء بدنك ، عبره تمر كل رسالة ذاهبة أو واردة من دماغك الممير الى جسمك المسيَّر ، وما اكثرها ، وعبره يمر الهواء من رئتيك واليهما ، وينزل المبلوع الى معدتك ، والدم فيه صاعد ونازل ؟

والرئتان ، الا تحس بهما تنتفحان عشرين مرة فى الدقيقة من أجل مص الهواء اليهما واستخلاص أوكسجين الحياة منه ، ثم زفر ثانى أوكسيد الكربون فيه ؟ زد على ذلك أن الرئتين مصفاتان للدم السارى عبرهما بغير استقرار ، تبرئانه مما فيه من جراثيم وشوائب شتى ثم زد على ذلك أيضا أن للرئتين دورا فى استقلاب بعض هرموناتك . وأضف فى النهاية أن فى رئتيك خلايا بيضاء مجندة لمواجهة كل جرثومة متسللة مع الهواء . وما أكثرها ؟

أما القلب فاسمه يكفى دلالة على أهميته . يخفق أربعين مليون خفقة كل سنة ، ومليارى خفقة ونصف المليار فى سبعين سنة ليلا ونهارا دون راحة ، هذا اذا لم يسرع ، وهو يسرع ان أنت أسرعت ، ويبطىء ان أنت أبطأت،ولو سكن خمس ثوان وقعت مغشيا عليك ، واذا سكن خمس دقائق فقدناك وما فقدك الله . يدفع بعشرة آلتار من الدم فى كل دقيقة ، نصفها الى الرئتين ونصفها الى سائر أنحائك .

أما أمعاؤك فتهضم كل ما ترمى فيها من طعام مقطع أو شراب مركزأو دواء مركب ، دافعة به الى الأسفل لا الى الأعلى ، ولو دفعت به الى الأعلى لتقيأت ، تمتص منه ما يلزم لحياة سائر أعضائك ، ثم بعد ذلك تقذف بما فضل خارجا

تلتحق بها الكبد الكبيرة القابعة فى كشحك الأيمن ،وزنها ألف وخمسمائة غرام ، وشأنها عظيم ، تختزن السكر والدسم وربما البروتين ، وكذلك الفيتامينات ، بل وتختزن الدم ذاته ، ثم هى المصنع الكيماوى الأول فى البدن ، تركب فيها تركيب بروتينات وعوامل التخثر التى تمنع استنزاف دمك . كما أن الكبد تفرز صفراء هاضمة ، طارحة فيها من السموم التى لم يتم تقويضها فى خلاياها ، وكبدك فى الختام هى مركز الاستقلاب الأول فى بدنك ، وكفاها هذا عملا جللا .

أم الكليتان ؟ وفي كل واحدة منها ألف مصفاة ربع الكليتين يكفى لاداء عمل الاثنتين . ولولا عملهما لفسد خلطك وافتقر دمك،وارتفع ضغطك ، ورقت عظامك ، واختلت اعضاؤك ، وتخبل دماغك ، ثم نفرت روحك من جسمك .

أم العظام ؟ وقد أنشئت صغيرة وكبيرة ، عريضة وطويلة ، تقويما لك تحسبها جامدة وهى فى تخلق لا يتوقف . اذا كسرتها التحمت ، واذا حركتها تفاصلت ظاهرها صلد ترتكز عليه ، وباطنها رخو يصنع الدم الذى تخشى إراقته .

هذا بعض عن البعض من جسدك ، وقد تمايزت أعضاؤه أبلغ التمايز ، ولكنها تآلفت وتراحمت أشد التآلف والتراحم ، حتى اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد « بالحمى والسهر » . ولذلك علة . فهذه الأعضاء كلها ما نشأت الا من خلية واحدة ، وان شئت من نصفين خلويين من أب ومن أم ، اجتمعا وتوحدا ليشكلا وحدة خلوية واحدة تحمل رسالة وراثية مسطورة على شريطين وراثيين صبغيين قابعين في النواة تكاثرت وتناسلت لتعطى كل ما فيك . فأنت من أولك الى آخرك من تلك الخلية ، وأنت من اولك الى آخرك تلك الرسالة المستنسخة الواحدة المقروءة فى كل خلية من خلاياك وكل عضو من أعضائك ، شئت أم أبيت . فاذا أدركت هذه الحقيقة ما ادركتها الا بها ، فأنت قارئها ومقروؤها ، وأنت العبرة والمعتبر ، وهى فيك أصلك وعلة وجودك . فأعلم . فان علمت علمت بما فيك وما زدت ، وان جهلت جهلت ما فيك وما نقصت . □



الخضراوات غذاء ودواء وعلاج

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الخضراوات اذا أحسن إنتاجها واعدادها لا تعد عظيمة القيمة لغذاء الانسان فحسب،بل يمكن الاستفادة منها في علاج الحالات المرضية . . . . وفي هذا المقال عرض للفوائد التي تعود على الانسان اذا أحسن اختيار نوع الخضراوات غذاء ودواء وعلاجا .

تحتوي الخضراوات على عدة قلويات وأملاح تبطل الضرر الناشىء عن الأحماض الضارة المترتبة عن الهضم ، وعن تحلل المركبات الغذائية ، لذا فهي تعطى للأطفال لتعويض النقص الناتج عن قصر التغذية على الحليب والألبان الجافة الصناعية التي تعطى لهم ، لأن الحليب لا يحتوي على ما يكفي من حديد .

واذا تحدثنا عن الأملاح المعدنية والفيتامينات وجدنا أن السلطة الخضراء غنية جداً بما يحويه الجرجير من يود وجير زالدين‌بوبما في البقدونس والخس من حديد وفير .

وثراء البقدونس والجزر بفيتامين « أ » الذي يحافظ على كيان الأغشية المخاطية ويزيد من مقاومة العدوى ، كما يساعد على النمو .

وقد عرف اليونان والرومان البارلاء قديما، ووصفوها غذاء للناقهين والمسنين والمصابين بضعف المعدة . وهذا ما أيدته تجارب الهضم ، فقد ثبت ان البازلاء الطازجة أسهل خضراوات الشتاء هضما واسرعها .

وهذا مما يجعلها من أنسب الخضراوات التي تعطى حتى للاطفال الذين مازالوا في طور الرضاعة ، فلا يوجد من بين الخضراوات من يجمع في آن واحد سهولة الهضم ووفرة البروتين والحديد ، فضلا عما بها من كميات غير قليلة من الفيتامينات .

الخضراوات « والكولسترول » :

« الكولسترول » مادة موجودة في دم كل انسان ،

منها تتكون الحصيات التي نجدها في حويصلة المرارة ، ويتخلص منها المريض بعملية جراحية . (كول = المرارة ، واستيرول = اسم الفصيلة الكيماوية . وهي ملحقة بالزيوت والدهون التي مصدرها الحيوان) . وهي المادة التي تكثر في الدم فتصيب الشرايين بالتصلب،وتلحق بالجهاز الدموي ومن ورائه القلب بأضرار كثيرة .

والطريقة التي ينصح بها الأطباء في المعالجة هي أن يكف المريض عن الاكثار من أكل الأطعمة التي تزيد نسبة « الكوليسترول » في الدم كالزبد ، ودهن اللحوم والكلى والمخ والبيض . وهنا يظهر دور الخضراوات في غذاء الانسان ، فهي تحتوي على مادة غذائية خالية من « الكوليسترول » .

الامساك والخضراوات :

وتحتوي الخضراوات على كثير من الألياف التي تقاوم العصارات الهاضمة ، فتبقى دون تغيير حتى تبلغ الامعاء الغليظة ، وفيها تبدأ أهمية الألياف وفائدتها ، اذ تدخل بقايا الأطعمة في الجزء الأول من الأمعاء الغليظة . وهي في حالة سائلة ، فيمتص هذا الجزء أغلب ما في بقايا الطعام من ماء ، فتصبح لا هي بالسائل الذي يخرج اسهالا ، ولا هي بالجامد الذي يخرج امساكا . وما بقي في بقايا الطعام من ماء فانه كاف لجعل الألياف منفوشة .

وبذلك تملأ الأمعاء الغليظة ، وتحك جدارها ، فتنشط تبعا لذلك حركتها الدودية ، فيتحرك ما بداخلها ويندفع الى الأمام ليطرد الى الخارج .

وتذكرنا علاقة الخضراوات بالامساك بقصة الفلاح الانجليزي الفقير توماس بار ، الذي ظل يزاول عمله الشاق حتى المائة والثلاثين ، ولم يمت الا في سن الثانية والخمسين بعد المائة . وقد اهتم الدكتور هارفي مكتشف قوانين الدورة الدموية بتشريح جثته بنفسه ، فأدهشه أن يجد اعضاءه الحيوية على أحسن حال ، فالقلب طبيعي من كل وجه ، والأوعية الدموية خالية من أي أثر للتليف أو التصلب ، وكان أهم ما ثبت من الاستقصاء الدقيق ، ان توماس بار لم يصب طول حياته بمتاعب هضمية تعوق التبرز ، فلم يعرف الامساك طول حياته ، وثبت أيضا أنه كان قليل الأكل ، وان غذاءه كان في الغالب الجبن القريش واللبن الرائب ، ، وكميات كبيرة من الخضر والخبز الأسمر .

الخضراوات والبول السكري :

يوجد السكر دائما في الدم بمقدار معلوم تقريبا ، ولا يظهر في البول عند الفرد السليم الجسم . أما في حالة المرض فان قدرة الجسم على الاستفادة من المركبات النشوية والسكرية والكربوهيدراتية عموما ، تتأثر بدرجة تزيد أو تنقص حسب مقدار النقص في عصارة غدة البنكرياس المسماة « انسولين » وهذه العصارة هي الافراز الداخلي لتلك الغدة ، وهو غير افرازها الخارجي الذي يصب في الامعاء .

والأنسولين مهم وضروري لحرق وأكسدة السكر الذي يأتي عن طريق الدم . فاذا قلت كمية الانسولين ، فان السكر لا يتأكسد ولا يستهلك كله أو بعضه حسب درجة المرض ، فتزيد كميته في الدم عن معدلها الطبيعي ، بحيث يرتفع منسوب ما تحجزه الكلى ، فيتصرف المقدار الزائد منه مع البول .

ومن سبل علاج هذه الحالة اتباع نظام غذائي خاص ، يراعى فيه تحديد كمية المركبات « الكربوهيدراتية » ، بالقدر الذي يجعل المريض قادرا على استهلاكها من غير ظهور سكر في البول ، وتكوين الدهون في الجسم ، كما يجعل مقدار المواد الدهنية في الحدود التي يمكن للجسم أن يحرقها .

وعلى العموم فان من الضروري الاكثار من الخضراوات الطازجة ، لتمد الجسم بكثير من حاجاته ، وذلك دون زيادة في معدل المركبات «الكربوهيدراتية» والدهنية ، فالخضراوات الطازجة لا تحتوي من المركبات النشوية والسكرية والدهنية الا على قدر قليل يتناسب مع ظروف هذا المرض ، ولا نستثني من ذلك غير البطاطا والبقوليات خصوصا الجاف منها . □

بائعو الوهم

لماذا نكتب ؟ يقيناً ليس لمجرد أن نرى أسماءنا مطبوعة ، ولا رغبة منا في أن نكتسب نفوذاً أو تقرباً من السلطة ، ورغم أن بعض الذين يكتبون لا هم لهم سوى هذه الأهداف القصيرة المدى . . الصغيرة الحجم . . الا أننا نتصور أن الكتابة عمل انساني يهدف بالدرجة الأولى الى تنوير القراء والى وضع كثير من النقاط فوق كثير من الأحرف . . كي تصبح قراءة الواقع ممكنة وفهم الحياة مستطاعاً . . والتعامل مع المتغيرات أيسر . الكتابة مالم تكن تعبيراً عن حق ملايين القراء في حياة أفضل بكل معانيها فهي لا تساوي وزنها ورقاً ، حق الانسان في الحرية والتعبير والاعتقاد ، وحق التعليم والعمل ، وحق حقه في الاختلاف . وهذه الحقوق لا تنفصل ابداً عن المجتمع الذي يحيا فيه البشر . . وعن طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تفرز من داخلها شكل السلطة السياسية .

وفي زمان الأزمة والتردي فإن البعض للأسف قد احترف كتابة ما يسمونه بالسطور المتفائلة الوردية ، واحترف تجميل وجه قبيح لا تجدي فيه جراحات التجميل ، وامتهن تقديم الحلول الجاهزة والأحلام الزائفة . . عن الفقراء الذين نبغوا فجأة . . وعن الأحياء الذين انتصروا على كل التقاليد والأزمات . . وعن البسطاء الذين أثروا لأن الحظ أراد أن يكافئهم على طول صبرهم ورضاهم ، وأدمن القراء معهم الأحلام البسيطة المريضة . . وأصبح حل مشكلات الحياة ـ على كثرتها ـ يترقب الحظ والقدر وعديداً من الأسباب ليس من ضمنها ارادة الانسان من حيث هو انسان فرد ، وارادة المجتمع من حيث هو تنظيم وقوة ضغط كبيرة لإحداث التغير ، لكن الحياة ليست بالجمال الذي يزيفونه ولا بالبساطة التي يروجونها ، ولأزمات الفقراء ليست دراما اسطورية تحل على طريقة الشاطر حسن أو الأميرة سندريلا . الحياة إرادة إنسانية واعية ، تدرك عمق الأزمة التي يحياها انسان العصر . . ورؤية عميقة لمشكلته ، وانها ليست حالة شخصية بقدر ما هي جزء من مشكلة المجتمع ككل،وان حل المشكلة الفردية لا يمكن أن يكون حلاً صحياً الا في إطار تطور المجتمع والتغلب على مشاكله . . أما ان يردد البعض القصص والحكايات عن نماذج انسانية انتصرت فجأة على كل هموم الحياة . . ويظل يرددها كأنها هي القانون والقاعدة ، فهؤلاء هم الذين يحترفون بيع الوهم . . . يقدمون للقراء جرعة من المخدرات كي تنسى همومها وعذاباتها وتنتظر هذا الأمل العبثي . . الذي يحيل كل البسطاء الفقراء الى أثرياء أصحاء سعداء .

وتظل كتابات البعض رغم كل هذه الأحلام الزائفة . . محاولات حقيقية لأن يرى بسطاء هذا الوطن حقيقة الحياة وعمق الواقع . . وان أي غد جميل لا يصنعه الا كل الناس المؤمنين بالخير والحق والجمال . . للمجموع . . كل المجموع . ■

محمود عبد الوهاب



الفصول

فليذكر الخريف
حين تسقط الأوراق
والألوان
بأنني ريح على الأغصان
تنمو
وتعلو
ثم تغدو غيمة
وشارعا يخضر بالطوفان

ـ ٢ ـ

فليذكر الشتاء
حين تسقط الأمطار
ويدخل الشتاء في المساء « ميجنا »
ويوقد الأسرار
بأنني زيتونة من نار
تمتد بين الموت والحياة
وتوقظ الينبوع من سباته
وتوقظ الأنهار

ـ ٣ ـ

فليذكر الربيع
بأنني تلك الشوارع التي تمضي بها أزهاره
وتورق الرمال
وليتذكر ماشاء من حدائق
وليتذكر ماشاء من ظلال

فإنني التلال والحقول
وانني الغابات في الجبال .

ـ ٤ ـ

فليذكر الصيف
بأن هذي الأرض لي
وهذه الآفاق لي سفينة
ووردتي السيف
فليذكر الصيف
اني اذا ماجاءني الرصاص
من شباكي المفتوح
في ليلة تمضي لكي تغفو
فليذكر الصيف
بأنني قتيل هذا الضوء في شرفته
وانني لنخله
ونجمه سقف
فليذكر الصيف .

طرفة :

جلس الرجل في قاعة انتظار المحلل النفسي فسأله المريض الوحيد الذي كان في القاعة .
ـ تبدو مضطربا . ما الأمر ؟
أعتقد أنني أعاني من ازدواج في الشخصية
ـ هاقد أصبحنا أربعة اذن

تعريفات :

الطبيب النفسي : هو الرجل الذي لايقلق طالما قلق الآخرون .
النجاح : هو الحصول على مال لدفع ضرائب ماكنت لتدفعها لو لم تنجح .
الانتحار : هو أقسى أنواع نقد الذات .

النسبة والتناسب :

الرجل الذي يعتقد أن الزواج خسارة بنسبة ٥٠٪ هو رجل لايعرف النساء . . ولا النسب المئوية .

قول على قول :

قال حكيم : لاتؤجل عمل اليوم الى الغد
واضاف حكيم آخر :
● . . . . . نعم فلو أنك استمتعت بما فعلته اليوم فإنك ستكرره غدا .

****

بعد الأوان

زحف الشعرات البيض يقتضي منا دائما أن نسكب الماء البارد على جذوة حبنا وحماسنا . . ونقيم حولنا على الرغم منا قضبانا حديدية ثقيلة من الحشمة والوقار والحرص على المظاهر . . مع برود رتيب كدقات الساعة . . يثير الأعصاب . . !

□□

حكمـة :

النساء هن سبب معظم أكاذيب الرجال ، وذلك لاصرارهن على توجيه الأسئلة لهم .

□□

هذه هي السعادة

يقول قاسم أمين :

اللذة الحقيقية التي تجعل للحياة قيمة ، ليست حيازة الذهب ولا شرف النسب ، ولا علو المنصب ، ولا شيئا من الأشياء التي يجري وراءها الناس عادة ، وإنما هي أن يكون الانسان قوة عاملة ذات أثر خالد في العالم

خواطر يهودي ساخط

« خواطر يهودي ساخط » عنوان كتاب ألفه كاتب يهودي فرنسي معاد للصهيونية يدعى شلومو رايخ . في كتابه المذكور الذي نشر في باريس منذ عامين لا نلمس روح الدعابة التي يقال ان اليهود يتميزون بها فحسب ، بل نشعر بالسخرية المريرة من هذا الخليط الرهيب من الأساطير القديمة والمقولات المرعبة والأحلام الشرسة . وعلى غرار هذا الخليط يبني رايخ عالما من المقولات الساخرة صاغها على شكل خواطر ومقولات اليك بعضا منها :

* اسرائيل تتحرق شوقا للسلام مع الفلسطينيين ، شرط أن يكون الحرق صناعيا .
* اذا قلت لاسرائيلي « كف عن الحماقة » فسيعتقد انك تطلب منه التوقيع على معاهدة سلام .
* من نصر الى نصر تركض اسرائيل نحو هزيمتها .
* امريكا تواجه مشكلة حيال اسرائيل هي تأمين خدمات مابعد البيع .
* الناس يتحدثون كثيرا عن اسرائيل واليهود لانهم يحبون الحديث عن كل شيء ولا شيء .
* الاسرائيلي يمر بأشياء كثيرة لايراها ، وخصوصا جيرانه .
* اذا كانت اسرائيل راعي البقر في الشرق الاوسط فان أبقارها موجودة في المهجر .
* الفرنسي : لا يموت الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة طويلة .
* الاسرائيلي : لا يبعث الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة قصيرة .
* اينشتاين كان يهوديا بشكل مطلق وملحدا بشكل نسبي .
* اليهودي الحقيقي يعرف كيف يجدل الشعرة الواحدة أربع مرات .
* الفرق بين العالم واسرائيل هو : أن العالم يكون أبكم عندما تكون اسرائيل صماء واسرائيل تسمع جيدا عندما يكون العالم أبكم .

جحا في رأي

محمد فريد

أبو حديد

ان من بين شخصيات الأساطير العربية شخصية فذة تكاد تكون وحيدة في مميزاتها وملامحها العقلية والنفسية ، وهي شخصية (جحا) الفيلسوف الضاحك الساخر ، الذي يقوم بتمثيل فلسفته في قوالب تشبه المسرحيات ، ذات المغزى الواضح ، وهو في مواقفه التمثيلية ظريف دائما ، عاطف دائما ، يبدو وكأنه مهرج ، ويتصرف أحيانا تصرفا شاذا عن المألوف ، حتى كأنه ذو لوثة من الجنون ، ولكنه يلمس نواحي الضعف الانساني في رحمة ، ويكشف عن نواحي الظلم أو النفاق ، وهو أقرب ما يكون الى الرثاء والمواساة منه الى الحقد ، واستطيع أن أقول أنني لم أطلع في آداب الشعوب الأخرى على شخصية مماثلة لهذه الشخصية ، ذات الفلسفة الانسانية التي تختفي تحت المظهر الفكه الساخر .

وقد حاول بعض الاجانب أن يرسموا صورة لجحا في لغتهم ، فلم يستطيعوا الا أن يرسموا صورة مهرج به لوثة ، ذلك لانهم لم يتمكنوا من ادراك فلسفته ولا مرامي فكاهاته .

مكتبة العربي

كتاب الشهر



وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه

مجنون ليلى

عرض وتقديم : جليل العطية

« مجنون ليلى » إحدى القصص التى عرفها العرب منذ قديم الزمان ، وتعاملوا معها على أنها حقيقة واقعة اكدها الكثير من المسلسلات التلفزيونية والافلام السينمائية وغيرها من وسائل الاعلام .

هذه القصة . كيف ينظر اليها ويفسرها الغرب الاوروبي ، او على الاصح بعض القطاعات في الغرب الاوروبي ؟

مجنون ليلى ز الحب المجنون . . عنوان كتاب جديد للمستعربين أندريه ميكيل وبيرس كامب صدر حديثا عن دار سندباد الفرنسية .

بهذا الكتاب يواصل ميكيل دراسته واهتمامه بظاهرة الحب العذري في الشعر العربي .

فلقد أصدر مجموعة مختارة من قصائد مجنون ليلى ، تولى ميكيل ترجمتها الى الفرنسية وقدم لها بلمحة عن أسطورة قيس وحبه لليلى وما رافق ذلك من ملابسات وأحداث اجتماعية وتاريخية . .

وقبل هذا أصدر رواية من تأليفه ـ طبعا ـ عنوانها : ليلى ، هي عقلي أو ليلى عقلي ! Layla, Ma Raison ـ مستوحاة من أسطورة مجنون ليلى العربية .

وهكذا ينصرف ميكيل بكل حد لدراسة الحب العذري في الشعر العربي ، محاولا تحليل ظاهرة مجنون ـ ليلى تحليلا فلسفيا ، سيسيولوجيا ، ويبحثها وفق نظرة تاريخية اجتماعية باستخدام أحدث المناهج المعاصرة في الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي . .

يغوص ميكيل في دراسته لشعر قيس بن الملوح وفق منهج النقد البنيوى الذي وضع أسسه الناقد الراحل رولان بارت .

يفضل ميكيل تسمية عاشقه بـ « مجنون » مسقطا منه أداة التعريف ، وكأن المجنون قد تحول الى اسم لقيس وليس صفة له !

الأسطورة . . لماذا ؟

ومنذ البداية يصارح القراء بأن حكاية مجنون ليلى ليست سوى أسطورة لامجال لها في الصحة ، وان شخصية مجنون ما هي الا شخصية مختلقة ، ومن افرازات المخيلة الجماعية (ص ١١) .

ان المخيلة العربية بحاجة ماسة لهذه الشخصية الاسطورية ، وتكاد تجمع المصادر العربية ، وخصوصا الموثوق بها ـ على أن هذه الشخصية لا وجود لها !

والواقع أن كبار المؤرخين العرب نفوا وجود هذه الشخصية : فكان الاصمعي ينكر وجود المجنون ، ويراه اسما بلا مسمى .

والجاحظ يقول : ما ترك الناس شعرا ، مجهول القائل ، فيه ذكر ليلى الا نسبوه الى المجنون .

ويقول ابن الكلبي : حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له . .

على أن نفي وجود المجنون لا يعني الاعراض عن دراسة هذه الاسطورة العاصفة التي خلقها في الادب العربي ، بل ينبغي دراستها لخصوصيتها الحضارية في التاريخ العربي . لذلك قام أندريه ميكيل بدراسة ظاهرة الحب العذري عند العرب ، وخصوصية شعره ، قبل الدخول الى حكاية قيس وليلى . . فيناقش طبيعة الحب العذري الذي ينسب الى قبيلة بني عذرة التي خرج منها شعراء كثيرون . . وكذلك المجنون الذي ينتمي الى قبيلة عامر بن صعصعة .

ولا بأس أن نقدم بايجاز حكاية المجنون !

قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، من المتيمين ، شاعر غزل ، من أهل نجد ، ولم يكن مجنونا وانما لقب بذلك لهيامه بحب « ليلى بنت سعد » .

قيل في قصته : نشأ معها الى أن كبرت وحجبها أبوها ، فهام على وجهه ينشد الاشعار ويأنس بالوحوش ، فيرى حينا في الشام ، وحينا في نجد ، وحينا في الحجاز ، الى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل الى أهله .

ويذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ٦٨ هـ ـ ٦٨٨ م وزعم راوية غير معروف ، يدعى نوفل بن ساحق قال :

أنا رأيت مجنون بني عامر ، كان جميل الوجه أبيض اللون ، وقد علاه شحوب . . وقد طبع بعض شعره في ديوان ، وصنف بعض المؤلفين كتبا في أخباره ، ووصل الينا منها : بسط سامع السامر في أخبار مجنون بني عامر ، ويذكر بعض المؤرخين أن أبا ليلى اشتكى قيسا للخليفة مروان بن الحكم .

بعد أن يذكر أندريه ميكيل موجزا للروايات المختلفة حول قصة المجنون يبدأ في السرد التفصيلي المقترن بتحليل تاريخي وسيسيو ـ فلسفي عميق لهذه الاسطورة التي شغلت الادب العربي منذ العصر الاموي وحتى الوقت الحاضر !

كتاب الشهر

لقد تناول قصة المجنون مؤرخون وادباء عمالقة بينهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب « الاغاني » وأبو علي القالي صاحب « الأمالي » وأخيرا فقد تناولها الشاعر المصري المعروف أحمد شوقي في مسرحيته الشعرية الشهيرة .

يقوم ميكيل بعد ذلك بتقديم تفاصيل كثيرة عن أبطال هذه الاسطورة وأحداثها فيبدأ بسرد حياة قيس ابن الملوح ويقدم تفاصيل عن عائلته وقبيلته كما وردت في المصادر العربية ويؤكد أن والده كان « سيدا » ويشرح معنى هذا اجتماعيا وطبقيا ، ويقارن بين هذا اللقب وبين كلمة 'Seigneur' باللغة الفرنسية . .

ويصف ميكيل المجنون بأنه « أجمل فتيان قبيلته . . طويل القامة ، ذو بشرة سمراء صافية وذو شعر مجعد يميل الى اللون الكستنائي الغامق !

يقر بأن المجنون في هذه المواصفات ـ يحظى بالمؤهلات الهامة ـ الاصل والنسب والثروة والوسامة التي تسمح له للتقدم بخطبة ابنة عمه ليلى ، مقابل مهر طائل مقداره : خمسون جملا جميلا ! غير أن عمه يرفض الزيجة ، لان قيسا فضح حبه لها ، وهذا أمر مرفوض لدى المجتمع العربي حينئذ !

يرصد ميكيل الروايات التي أرخت لحب قيس لليلى ويحاول الربط بينها وتحليلها تحليلا مقارنا ليخرج باستنتاج حديث حول الميزة المتفردة لهذا الحب في الناحية السيكولوجية والمحتوى الفلسفي لمثل هذا النمط من العاطفة .

فمع اقرار ميكيل بأن قصة مجنون ليلى هي أسطورة من نسج الخيال الا أنه يتعامل مع المحتوى الموجود لهذه الاسطورة كما ورد في الروايات ، ويتتبع التطور التاريخي لهذه الاسطورة التي اتخذت لها مكانة كبيرة في المدن الكبيرة الحديثة التأسيس كالكوفة والبصرة التي قامت فيها مجتمعات بدوية في مضمونها وذهنيتها . .

كانت المجتمعات البدوية الجديدة ـ هذه ـ تردد حكاية مجنون ليلى ـ كحكاية بدوية جاءت في ميدان اجتماعي غير حضري ، ولكنه يشكل الاصالة الذهنية والعاطفية لمجتمع المدن الحديثة البناء .

ظاهرة جديدة :

ان ظاهرة جنون قيس تسترعي اهتمامافكريا ونظريا كبيرا من قبل اندريه.ميكيل ، فان حب المجنون لليلى دفعه للانفصال عن طبيعة تقاليد مجتمعه المحافظ . . دفعه لينفي نفسه عن مجتمعه مفضلا العيش في الصحراء بعيدا عن الوحدة الاجتماعية الممثلة بالقبيلة ، وهنا يسلط المؤلف نظرة سيسولوجية تفسر هذاالنفي الذي اختاره المجنون لنفسه ،وتقبله المجتمع على الرغم من أن وجوده ـ وجود المجنون ـ كان يهدد النظام الرمزي العام للمجتمع وللقبيلة . ثم ان قيسا كان يستعيد على الدوام قصة حبه لليلى ويرددها بشكل علني ، ولم يكن هذا الامر مقبولا في العرف الاجتماعي آنذاك ، ولذلك فان قيسا كان خارج النظام الجماعي الذي هرب منه والذي كان يشكل بعض الخطورة على كيانه (ص ٣٧) .

ميسالين والمجنون :

يقارن ميكيل بين حب قيس وجنونه وتناقضه مع المجتمع وبين قصص حب شبيهة حصلت في حضارات أخرى وضمن قيم اجتماعية مغايرة لطبيعة الحضارة العربية ـ الاسلامية كالحضارة الرومانية. ويرى المؤلف أن المجنون قد لا يكون مجنونا غير أنه ببساطة يمثل نموذجا أصيلا وفريدا من نوعه ، ولذلك فانه دفع الثمن غاليا لقاء هذه الاصالة وهذا التفرد ، وذلك بأنه تحول الى منبوذ ومنفي من قبل المجتمع الذي ينتمي اليه (ص ٣٧) ، وهو بهذا يشبه ميسالين الايطالي الذي عشق موسسان لحد الموت ، الامر الذي لم تتقبله روما ولا المجتمع الايطالي في ذلك الوقت .



عقلانية قيس :

ويحاول أندريه ميكيل أن يكتشف المنطق الذي أقام قيس عليه حبه ثم جنونه بعد ذلك ، « والعقل » الذي اتبعه في مناقشة الآخرين ليدافع عن طبيعة حبه وتعلقه بليلى فيرى بأن منطق المجنون كان عقلانيا وصافيا ونقيا . .

ان منطقه هو البساطة والنقاء في التعامل مع ظواهر الاشياء ، ومن ذلك الحوار الذي دار بين أبي ليلى والمجنون ، والذي يورده ميكيل للدلالة على « عقلانية » قيس المتمثلة في الصفاء والنقاء الذهنيين (ص ٣٩) .

ان دراسة ميكيل تقوم على عدم تقبله لظاهرة حب قيس وجنونه بشكل عفوى بل يقوم بتحليلها بالاعتماد على دراسات أدبية فلسفية للحب ، كالدراسة التي قام بها رولان بارت في كتابه « مقاطع في خطاب غرامي » وأندريه بريتون في بعض دراساته ، هذه الميزة يتفرد بها ميكيل في دراسة قصة قيس وليلى ، انه يصدمنا بعمق الدراسة لموضوع يقر منذ البداية بأنه أسطوري خرافي ـ

والواقع أننا لم نفكر في يوم ما باخضاعها للتحليل والدراسة الجادة للوصول الى أقصى ما تحمله من مضامين وأبعاد حضارية ونفسية واجتماعية !

ان حقيقة هذه الاسطورة ورسوخها في أذهاننا جعل منها أسطورة بلا عمق فكري بينما نجدها ـ بعد تحليل ميكيل ـ وكأنها « حقيقة » راسخة ، بل أكثر واقعية من وجودها السابق .

تغدو قصة قيس وليلى الساذجة عبر تحولاتها التاريخية داخل المنظور الفلسفي ـ ذات كيان حي يعبر عن احتياج نفسي جماعي لمجتمع متعطش لصياغة عواطفه المحرمة داخل رموز يبينها غيره . . ويكون هو ، ضحية هذا الرمز !

ليلى والليل :

يجعل ميكيل من اسم ليلى حبيبة قيس موضوعا للتحليل أيضا ، فليلى بالنسبة له تحول موسيقي شعري لاسم الليل بالفرنسية «Nuit» ولكنها ليست ليلة كبقية الليالي ذات الزمن المنتهي ، بل هي ليل دائم يغرق فيه المجنون ، وتغدو عبارة : مجنون ليلى هي مجنون الليل ، وهكذا يمكن استلهام الليل والمرأة داخل وجود متحد يتشكل عبر امرأة يكون اسمها هو الليل (ص ٤٩) .

كتاب الشهر

يتوسع المؤلف في التحليل الجمالي لاسم ليلى ليناسب بشكل متكامل داخل هذه الاسطورة الرومانسية الجميلة .

يبين ميكيل في دراسته بأن حب قيس لليلى وهو حب وجودي ، عميق ، رائع ميتافيزيقي أكثر من العادة ، انه البحث عن شيء ما كالمطلق .

كان المجنون يعتبر بأن اللذة لا تدوم عنده ، وعندما يجد نفسه في الصحراء الخالية كان وجود ليلى يطارده ، وكان مرور أي شيء أمامه كالغزال - مثلا - يذكره بليلى ويملأ عليه هذه الصحراء الجرداء .

قيس وروميو :

ويقارن ميكيل المجنون بنماذج مشابهة من الحضارات الاوروبية الاخرى ، فيقارن بين طبيعة موته وموت روميو - مثلا - غير أنه يمنح المجنون خصوصية متفردة عن سواه هي بالضرورة خصوصية مجتمعة . .

فمن بين كل الشعراء والعاشقين المشهورين كان المجنون هو الوحيد الذي رفض من قبل مجتمعه ، رفضا تاما ، بل وضع خارج هذا المجتمع وعاش مرحلة من التوحش في الصحراء مع الحيوانات ، وبالشكل الذي تعيشه هذه الحيوانات (ص ٧٢) .

هذا التوحش والانصراف الى حب ليلى هو حالة (طوباوية) فريدة من نوعها ترتبط بحالات نادرة من الحب المثالي المتعالي واللاواقعي ، ويستند الى آراء فلسفية في الحب لرولان بارت ويستشهد بمختارات رائعة ، منتقاة بدقة من أشعار المجنون تجسد لا واقعية حبه ، ويقول بأن قلب العاشق يكون هكذا . . الموضع الموحد والكلي لكل الشموليات التي تميزه وتباركه (ص ٨٩) .

ومن هنا يقارن أشعار المجنون باشعار حب لويس أراغون الشاعر الفرنسي الشهير - ويرى بأنها مستوحاة من أشعار المجنون العربي !

ويورد بعد ذلك كل الروايات التي نقلت عن المجنون في كتب الادب العربي بدءا من أبي الفرج الاصفهاني ، صاحب الاغاني ، وحتى أحمد شوقي حيث يتناول مسرحية « مجنون ليلى » فيقدم ترجمة لمقاطع هامة منها (ص ١٣١) .

يرى ميكيل أيضا أن هذه الاسطورة ألهمت الكثير من الشعراء غير العرب ، كما أنها وظفت بشكل ثوري لانها خارجة عن التقاليد الاجتماعية المعروفة ، فشخصية قيس ذات طابع صوفي وثوري (ص ١٤٩) .

كان المجنون يستطيع العمل بنصيحة عائلته بالتزوج من امرأة غير ليلى ، ولكنه لم يفعل ذلك وفضل الجنون والتشرد ، هنا يصل ميكيل الى سؤال جوهري وعميق هو : ما الذي كان ينتظره المجنون من الحب الذي يعيشه في كل لحظة ؟ (ص ١٥٨) .

وهل كان المجنون يحب ليلى حبا حقيقيا ، وفي سبيلها عانى كل هذا الانهيار النفسي والفكري والصحي ؟ . . . ومن اجلها (ص ١٥٨) أم أن الحب يتخذ في مثل هذه الحالة شكل نزوع رمزي نحو المطلق ؟

الملاحظ في أسطورة قيس وليلى أن ليلى غائبة كوجود فيزيائي وسلوكي يتصرف ويتخذ المواقف داخل هذه الاسطورة ، ونرى بأن حضورها يتم من خلال المجنون وسلوكيته وذاكرته وتخيله .

دراسة مقارنة :

هذا يدفع أندريه ميكيل الى اضاءة هذا الجانب - اللغز من حب المجنون لليلى ، فيعتمد على بعض تحليلات رولان بارت ويستشهد بمقاطع هامة من كتابه الشهير مقاطع من خطاب غرامي ، الذي يفلسف بارت فيه الحب كعلاقة وجودية وفلسفية معقدة وعميقة ، ويرى ميكيل بأن المجنون لم يكن ينتظر شيئا من حبه لليلى ، وانما كان يعيشه من أجل الحصول على امتيازات خاصة في مجالات الحرية الخارجة عن

التقاليد الاجتماعية القبلية الضيقة ، فالقبيلة لا تسمح لاحد بأن يمارس السلوكية التي سلكها قيس الا اذا كان مجنونا ، وأن حب المجنون لليلى وتشبيبه وسلوكيته داخل اطار هذا الحب قد رفض من قبل القبيلة ، الا أن هذه القبيلة نفسها جعلت من قيس شخصية رمزية وأسطورية ثم شخصية جماهيرية ذات شعبية كبيرة .

ان الحب ، وشعر الحب بشكل خاص ، يمنع المجنون من الاقتران بليلى الا أنه يجعل قيسا ممسكا بوسيلة من وسائل الانتصار هي :

ـ الشعر !

أي معنى آخر . . الكلام . . فبواسطة الكلام ، وبالكلام بحد ذاته وعبر استخدامه استخداما رائعا وخلاقا واستراتيجيا يمنح المجنون سلطة قوية خاصة ، ومتميزة هي هذا الكلام نفسه ـ كغايةووسيلة في الوقت نفسه ـ ثم كهدف منتصر وفعال في النهاية . .

ألم ينتصر المجنون في النهاية على الرغم من جنونه ، بسبب الحب ؟

نعم . . . لقد انتصر ، وان لم ينتصر هو فان قبيلته انتصرت ، لانها تدين الى المجنون بشهرة اسمها « بني عامر » . . وبأن المجنون كان أفضل شعرائها . . واسطورة أدبية من أشهر أساطير العرب (ص ١٧٤) .

وفي ضوء كل ما سبق من منهج تحليلي قام به ميكيل لاسطورة هذا العشق ، يقود بشخصية قيس المجنون الى معالجة نفسانية ـ سسيولوجية داخل واقع التاريخ العربي مستعينا بالنتائج الفعالة التي توصل اليها كل من الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز والعالم النفسي فيلكس كوتاري في ميدان علم النفس الاجتماعي في كتابيهما الهام « ضد أوديب » ووضعهما لمقولة « ماكنة الحرب » والمعطيات المنبثقة عنها (ص١٨٨ ـ ١٨٩) .

ان مقولات فرويد وانجازاته في مجال التحليل النفسي تنفع كثيرا في اضاءة أسطورة قيس وليلى بالاتجاه الذي يرسخ مكانتها التاريخية الاجتماعية في الحدود الخاصة لطبيعة التاريخ العربي .

دراسة فلسفية :

دراسة ميكيل دراسة فلسفية بالدرجة الاولى تتخذ من موضوع المجنون وحبه مشروعا منجزا لبحث علمي جديد من نوعه ، يمهد لقراءة قصة حب مجنون ليلى وفق طريقة عقلانية ، تحليلية ، ومغايرة لبنية القراءات السابقة .

والرواية التي ثبتها ميكيل في نهاية كتابه حسب ورودها في كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني ، تجعل القاريء ـ بعد أن استوعب تحليله للاسطورة ـ يتعامل مع التفاصيل الواردة في نص الاصفهاني ، بشكل أكثر عمقا وتواصلا مع المضامين التي اختفت تحت وطأة السرد المباشر للقصة خلال مراحلها التاريخية والتي حولتها الى بديهة سطحية مجردةمن التحليل الضروري ، المساعد على اعادة كشف رموزها وترابطها مع الذهنية الخالقة لها ، ضمن مواصفاتها الحضارية . □

لذة الدنيا

سئل ابو عثمان بن خريم المرى عن لذة الدنيا فقال : الأمن ، فانه لاعيش لخائن،ثم العافيه ، فانه لاعيش لسقيم ، ثم الغنى ، فانه لاعيش لفقير .

وقيل له ما بلغت من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديدا فى صيفهولاخلقا فى شتاء .

من المكتبة العربية

ثلاثية الرفض والهزيمة

دراسة نقدية لثلاث روايات لصنع الله إبراهيم

بقلم : جمال وردة

يعد هذا الكتاب الذي صدر حديثا عن دار المستقبل العربي في مصر اسهاما جادا للاستاذ محمود امين العالم في نظرية للنقد الادبي يستند بها الى المنهج الجدلي ويسعى لابراز معالمه خلال التطبيق النقدي على ثلاث روايات لواحد من أبرز الروائيين العرب الشبان .

في اواخر ديسمبر ٧٩ شارك الاستاذ العالم في ندوة عقدت في فاس بالمغرب حول الرواية العربية الجديدة . واختار موضوع التاريخ والفن والدلالة في ثلاث روايات مصرية معاصرة هي : « نجمة أغسطس » لصنع الله ابراهيم ، « وقائع حارة الزعفراني » لجمال الغيطاني و « يحدث في مصر الآن » ليوسف القعيد . وقد حاول من خلال هذه الدراسة ابراز طبيعة العلاقة الجدلية بين الواقع والمتخيل . بين التاريخ والفن ، وخصوصا ان هذه الروايات الثلاث تعبر عن واقع واحد تقريبا أو مرحلة تاريخية واحدة رغم اختلاف المناهج الفنية وقيمها الدلالية .

وقد صدمته بعض التعقيبات في الندوة المذكورة التي اخذت تحاسبه بمعايير بعض المدارس النقدية الفرنسية المعاصرة وعندها وجد نفسه من جديد في قلب معركة النقد الادبي بعد ان كان قد شغل عنها بالدراسات التراثية والتدريس الاكاديمي فترة طويلة ، ولهذا كان هذا الكتاب استكمالا للحوار الذي لم يتم في ندوة فاس حول منهج دراسة الرواية العربية .

وكالفارس القديم الجديد يحمل الاستاذ امين العالم سيفه مدافعا عن مرحلة الخمسينيات النقدية في نفس الوقت الذي يدعو فيه بعض الدارسين الى اعادة النظر في تلك المرحلة وتقويمها في غير تعال أو تجن أو استخفاف مذكرا ان ذلك التيار في النقد الادبي في ذلك الوقت كان ثورة على التفسيرات والتحليلات الاكاديمية والوصفية والانطباعية والتذوقية والنفسية

التي كانت تسيطر بمستوى أو بآخر على النقد الادبي آنذاك . وفضلا عن هذا فقد كانت تلك المرحلة متوافقة ومتواكبة مع مرحلة النهوض الوطني والقومي والاجتماعي التي احتدم فيها الصدام بين القوى الوطنية والديمقراطية العربية من ناحية والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية من ناحية اخرى ، ومع ذلك ، فان هذا التيار النقدي لم يهمل الجانب الفني أو الجمالي لحساب المضمون الادبي ، بل كان يرى ان الشكل الفني هو عملية فنية يتشكل فيها الموضوع مضمونا وكان يحرص على التحليل « الفني » - الدلالي للعمل الادبي كما وضح ذلك في كتابيه « في الثقافة المصرية » بالاشتراك مع زميله الدكتور عبد العظيم انيس و « تأملات في عالم نجيب محفوظ » ، علاوة على مقالات اخرى في كتاب له بعنوان « الثقافة والثورة » .

رواية ثلاثية لا ثلاث روايات

يتناول الاستاذ محمود امين العالم تطبيقاً لمنهجه الجدلي ، الروايات الثلاث لصنع الله ابراهيم محللا البنيات الاساسية داخل هذه الروايات كشفاً لدلالتها في اطار سياقها الاجتماعي والتاريخي ذاكراً انها ليست ثلاث روايات مستقلة بل رواية ثلاثية واحدة سواء من الناحية الفنية أو الدلالية . فبطل القصص الثلاث هو نفس الرواي « الانا السارد » ، وهو بلا اسم وبلا ملامح . على اننا نستطيع ان نتبين بعض المعلومات عنه ، فهو كاتب وصحفي ذو اتجاه يساري يخرج من السجن في وسط الستينيات حين يُفرج عن بعض السجناء السياسيين . والرواية تعبر عن خيبة الامل التي اسفر عنها اللقاء بين هذا السجين المفرج عنه وبين هذا الواقع (القديم - الجديد) فرواية«تلك الرائحة»تعكس هذا التناقض الرهيب بين مجتمع يرفع شعارات وسياسات اشتراكية ولكنه يحجز ويراقب الاشتراكيين في الوقت الذي تستشري فيه روح الاستهلاك والفساد والتطلع الرأسمالي . وفي واقع الصدمة هذا يقف الانا السارد مغتربا داخل نفسه محاصرا من السلطة باحثا دون جدوى عن حب ، عن علاقة انسانية ، عن عمل . وفي ظرف آخر يقف المجتمع غارقا في تطلعاته الاستهلاكية ،

ففي اللحظة التي يخرج منها هذا السارد للرواية من السجن فإنه يعود اليه - لعله لا يعود الى نفس السجن الذي خرج منه ولكنه يعود الى سجن ما - الى حجز ما - الى تقييد ما لحريته وحركته . وحتى في حالة خروجه من هذا الحجز فسيظل مقيدا في مكان ، في مسكن ، حيث تذهب الشرطة اليه كل ليلة لكي«تتمتم عليه» كما يقول في لغة الشرطة .

تكاد بنية حركة الرواية كلها ان تكون هذه الحركة الدائرية : الخروج من السجن والعودة المتصلة اليه ، حركة داخل سجن - حرية داخل قيد .

ان الحرية التي خرج اليها لا تثير في نفسه انفعالا ، بل انه يعاني منذ البداية شعورا بأنه يسير في عالم غير مكترث به سواء كان سجينا او حرا . اخوه لا يترك له شقته وكذلك صديقه«والعسكري الذي يرافقه يسعى لاستغلاله . إنها صدمة البوابة التي تكاد تشكل طبيعة العلاقات بين الانا السارد والآخرين ، وبين الانا وعناصر واقع الرواية كلها بأبعادها الزمانية والمكانية واللغوية . فالسارد يتحرك طول الرواية من غرفته في مصر الجديدة الى القاهرة ، فإلى غرفته ثانية قبل الغروب ، اننا في حالة متصلة من الخروج والعودة - حركة متصلة ولكنها متكررة ومجدبة لا تفضي الى شيء جديد . حركة بلا جدوى وبلا طائل . على اننا نجد في مواجهة هذا المكان - القيد - ذلك المكان الحرية ، وهو مكان أو فضاء متخيل يتحرر فيه السارد من قيده ليتحرك بحرية في ذكرياته واحلامه مستخدما لغة اخرى غير اللغة المكانية التقريرية هي اللغة الغنائية الحلمية . وهكذا يزدوج المكان في الرواية بين مكان أفقي محتجز ومكان متعامد على المكان الافقي .

تلك الرائحة وهذه النجمة :

كما اننا نتبين تناقضا من نوع آخر . تناقضا مع الزمان الذي يشكل إطاراً للقصة ، وتناقضا مع الزمان الذي يعيشه السارد . وقد برز هذا التناقض في زمان اجتماعي سائد معاش عبر الرواية كلها ، ولنأخذ بعض النصوص .

وقال خطيب اختي : « هل يعرف احدكم شخصا مسافرا ليأتي اليّ ببريكوردر ؟

« وتوقف السائق في الطريق ليضع قطعة حشيش

في فمه ، وشرب الشاي » .

وقالت نهاد : « امريكا رائعة »

وقال الاب : « ان الرأسمالية افضل » .

« واعلن صوت الراديو عن احدى حلقات الشيح الأسود » .

بهذه الامثلة وبعشرات غيرها نشعر بزمان اجتماعي قوامه الفساد والاشتغال بثقافة التسطح والمغامرة . وهو زمن اجتماعي متناقض دلاليا مع الزمن ـ الاطار حيث الشعارات والاجراءات التقدمية . كما يتناقض مع الزمن المعاصر الذي يعيشه السارد دلاليا . ولكننا نلاحظ ان الازدواج والتناقض يعبران عن عالم ذي طبيعة ثنائية يغلب عليها التحاور لا التصارع . فالتناقضات بين المعلن والمحقق ـ بين الشعار والتطبيق ، بين الحرية والقمع ـ بين الرائحة النظيفة والرائحة التي لا تطاق ، هي ثنائيات متناقضة ولكنها غير متصارعة وكأن الرواية تريد ان تعبر في الحقيقة عن سيادة احدى طرفي هذه الثنائية وغلبته على الطرف الأخر . ولهذا تسود تلك الرائحة الكريهة من داخل واقع الرواية . على ان هذه الرواية ليست الا الجزء الاول . فجزؤها الثاني هي رواية « نجمة اغسطس » وهي الرواية التي استلهمها من رحلته الى السد العالي وتكاد هذه الرحلة الى السد العالي ان تكون امتداداً لرحلة ايامه الاولى في القاهرة عند خروجه من السجن .

ان نجمة اغسطس » هي رواية رحلة ، والرحلة دائما هي البحث والاكتشاف ـ هي رحلة نحو الآخرين ونحو الذات .

ثلاث رحلات وثلاثة قطارات

ونستطيع ان نتبين من خلال الرواية ان هناك ثلاث رحلات لا رحلة واحدة ـ الرحلة الاولى وهي رحلة مكانية من القاهرة الى ابي سمبل مرورا بمنطقة السد في اسوان .

ـ الرحلة الثانية وهي رحلة زمانية بين الحاضر والمستقبل الى الماضي .

ـ الرحلة الثالثة هي رحلة عميقة عبر الذكريات والمذكرات والتضمينات من مذكرات مايكل انجلو وذكريات السجن وقراءات في التاريخ القديم .

ولقد استخدمت الرحلتان الاولى والثانية عدة وسائل للاتصال،كان القطار الوسيلة الاولى فيها،على اننا سنجد في الرواية اكثر من قطار . هناك القطار الذي نقلنا من القاهرة الى اسوان وهو حديث ومكيف يمتلىء بالاجانب أساسا ، ويعبر هذا القطار عن اتجاه من الحاضر الى المستقبل المنشود ، على اننا داخل هذا القطار الحديث المتجه الى الحداثة المستقبلية نستشعر بغربة الانا عن من حوله ، وامتلائه بالتوجسات العميقة . اما القطار الثاني فهو قطار متواضع قديم بطيء تتكدس فوق ارضه اجساد العمال المرهقين العائدين من عملهم في السد .

ويكاد هذا القطار ان يكون نقيضا طبقياً وحضاريا للقطار الاول رغم انه يتحرك داخل منطقة المستقبل . ولعل هؤلاء العمال يذكروننا بالعمال الذين التقينا بهم في « تلك الرائحة » وهم يتزاحمون لركوب المترو وقد بدا على وجوه بعضهم الارهاق الشديد .

وهناك قطار ثالث وهو القطار ـ الذكرى . انه قطار عربات الحيوانات الذي حمل السجناء السياسيين ومن بينهم الانا السارد بسلسلة حديدية الى سجنهم في صحراء اقاصي جنوب مصر .

أما وسيلة الاتصال الاخرى فهي المركب ، وكانت في الحقيقة وسيلة للتواصل مع الماضي . ان اغلب العلاقات بين الانا والآخرين هي علاقات عابرة برجماتية ـ علاقات برانية خالصة باعتبار الآخرين مجرد ادوات من اجل خدمة او متعة أو معلومات ، ولهذا فهي تفتقد الاستمرارية والعمق ـ حتى علاقة « الانا » بسعيد ـ صديقه الصحفي أو بتانيا حبيبته أو بذهن المناضل الهارب المطارد ، فإنها رغم عمقها النسبي ـ سرعان ما تختفي سواء من المجال الشعوري أو مجال الذكريات .

ان السارد يرى الآخرين ينظرون اليه نظرة الشك والاتهام والحذر أو الاستخفاف والاحتقار ، وهم بالمقابل موضع شك وسخرية من جانب الانا نفسه ـ انه احساس غريب بالدونية والاستعلاء في وقت واحد مما يعمق المسافة المزاجية والفكرية بين الانا والآخرين طوال الرواية،ويعطي لواقعه وحدته الفنية والدلالية.

ويرفض الاستاذ العالم الرؤيا البنيوية للرواية باعتبار انها تعبير عن ازمة مجتمع ما بعد الآلة ، وان الجنس في الرواية هو المهرب والخلاص . ان الآلة في

بقية هذه الرواية ليست اداة قمع وانما هي اداة تعمير وتطوير وابداع سواء في فعل الفن . (ازميل ومطرقة مايكل انجلو والات الفنانين المصريين القدماء) أو في الآلات الحديثة المستخدمة في بناء السد .

موعد مع اللجنة

الانا السارد يعود بعد انحسار واختفاء نجمة اغسطس الى القاهرة ، ولكن اية قاهرة ؟ لقد اصبحت قاهرة اخرى ـ قاهرة هؤلاء الذين التقى ببعضهم في منطقة السد ، وتنبأ بأنهم سوف يكونون حكام المستقبل ـ لقد اصبحت قاهرة المقاولين ـ وفي هذه القاهرة وذات صباح كان الانا السارد على موعد مع اللجنة في بداية رحلته أو محنته الجديدة . لقد استبدل الآن بحقيبة السفر حقيبة رجال الاعمال . انه في زيارة بحث عن عمل ذي طبيعة خاصة . انه نفس الانا السارد الذي بدأ حياته باحلام عريضة ثم سقط في محنة ازمته الفكرية مما جعله يضيق ذرعا بكل شيء،ومن اجل ارضاء اللجنة وتملقها نراه يتقبل كل ما تطلبه منه من اعمال مشينة .

ورغم اشاعة جو الغموض والغرابة الكافكاوية حول اللجنة فمن الواضح انها لجنة اجنبية لها نفوذ غامض في مصر تطالبه اخيرا باعداد دراسة عن المع شخصية عربية معاصرة .

وفي رحلة البحث عن هذه الشخصية تبدأ عملية الفرز والتحليل النقدي للواقع الاجتماعي واذا بالجميع ينزلقون الى منحدر واحد . كتابا ومفكرين وشعراء وفنانين علماء واطباء فالحاضر هو حاضر الانفتاح ـ حاضر السماسرة والمقاولين وعملاء الشركات الاجنبية والفئات الطفيلية . فألمع شخصية هي الاكثر فاعلية وتأثيرا . وهكذا يصبح الدكتور بماله من علاقات وارتباطات دولية ولعمالته للشركات الاجنبية هو رمزها اللامع .

ان هذا البحث قد اتاح للكاتب ان يهد معنى للحياة وهو ليس مستعداً لأن يقعده كي لا يعود الى ذلك الخواء . انه اول بحث عن خلاص وعن نجاة ـ اذن لا بد من الرفض لطلب اللجنة بايقاف البحث حين اكتشفت انه سيكون فاضحا لها ولدورها ـ لا بد من الرفض ولو كان دمويا وبسكين المطبخ يتخلص من سجانه ـ من سلطان اللجنة عليه وبهذا الرفض المسلح ينتفي الازدواج والالتباس ولكن الرواية تعود بنا الى اطارها الكافكاوي الذي بدأت به حيث يحاكم « الانا » امام اللجنة نفسها ويقوم بتنفيذ الحكم على نفسه .

الا اننا نرى ان الانا السارد لم يأكل نفسه ـ كما حكم عليه ـ رغم المظهر الروائي ولكنه تخلى عن مواصلة المواجهة وارتضى العزلة والاعتزال وبدأ بذلك يجتر احاسيس العجز والخذلان ربما تعبيرا عن مشاعر الندم والتقصير أو مرحلة اعتكاف يجرى خلالها مراجعة حاسمة ونقداً ذاتياً مريراً .

ان هذا البحث الدؤوب الطويل عن الحقيقة وعن الخلاص بدءا بتلك الرائحة ومرورا بنجمة اغسطس وحتى أبواب اللجنة هو في الحقيقة رحلة الهروب من الرائحة الفاسدة في مطلع الستينيات الى النجمة المتألقة في سماء الجنوب ، نجمة الامل ـ هذه النجمة التي كانت تبرز متوهجة وكبيرة في القسم الاول من الرحلة ـ الرواية ولكنها لا تلبث ان تصبح واهنة وصغيرة . وان هذه النجمة تضعف وتتضاءل رمزاً لخيبة الامل والشعور بالاحباط والتناقض مرة اخرى ـ فالقمع والفروق الطبقية والانتهازية والفساد تمارس جميعها في ظلال هذا المشروع التعميري الانساني الضخم .

واذا كنا قد لاحظنا في تلك الرائحة كثرة التعابير الدالة على النظافة (الماء ـ الصابون ـ دعك الجسد الخ) اي فعل التطهير الجسدي فإننا في رواية نجمة اغسطس نتبين كثرة الافعال المتعلقة بالرؤية والتأمل رمزا للتطهير النفسي .

ان الشعور بالخوف والاحساس بالمطاردة تلازمان الكاتب في قصصه الثلاث وكذلك التداعيات والذكريات ـ واذا كان الانا السارد في تلك الرائحة يعبر عن احتجاجه على فساد مستشرٍ فإنه في نجمة اغسطس يعبر عن رفضه للنظام كله وللسلطة كلها وربما الأوضاع السائدة في مصر ابتداء من منتصف السبعينيات . □

مكتبة العربي

مختارات

اسم الكتاب : هكذا تكلم عرسان .. هكذا تكلم عن الغزالة .
اسم المؤلف : مازن شديد
الناشر : دار الكرمل للنشر والتوزيع - عمان - الاردن .
عدد الصفحات : ٨٢ من القطع المتوسط .

هذا هو الكتاب الشعرى الأول للشاعر مازن شديد جمع فيه عددا من قصائده التى كتبها فى السنوات الأخيرة .

وفى هذه القصائد التى تتحرك خلالها شخصية عرسان فى مختلف مناطق الشتات والعذاب الفلسطينى يبنى مازن شديد عالما يختلط فيه الرمز بالواقع والرؤ يا بالحقيقة على ارضية من الرموز الفلسطينية من حنين وحبر ورصاص وحلم .

والديوان فى مجموعه يشكل اضافة الى فن قصيدة النثر التى تحدثت فيها الآراء لكنها اصبحت احدى الحقائق فى حياتنا الادبية المعاصرة .

اسم الكتاب : فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط
اسم المؤلف : د . جعفر آل ياسين .
الناشر : مكتبة الفكر العربى للنشر والتوزيع - بغداد
عدد الصفحات : ١٦٥ من القطع الكبير .

هذه الطبعة « المزيدة والمنقحة » هى الثالثة لهذا الكتاب المهم والممتع فى آن واحد . ورغم ان الكاتب يتناول فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى قرنا ونصفا من تاريخ الفلسفة اليونانية الا انها فترة ثرية خصبة ظهرت خلالها سمات الفكر الفلسفى اليونانى الذى تطور بعد ذلك على أيدى افلاطون وارسطو وآخرين الى آفاق بعيدة ولا يزال أثر انجازاتهم بادياحتى الآن .

لا يكتفى المؤلف بعرض الفكر الفلسفى اليونانى عرضا وصفيا فحسب ، بل يدخل فى مقارنات وسجالات مع الفلسفات الحديثة والمعاصرة مما يعطيه سمات الكتاب الممتع والمفيد .

اسم الكتاب : الاستيطان اليهودى فى الأدب الصهيونى .
اسم المؤلف : عبد الوهاب وهب الله .
الناشر : دار الكلمة - بيروت .
عدد الصفحات : ١٦٨ صفحة من القطع الكبير .

يقسم المؤلف كتابه هذا الى ثلاثة ابواب يشمل كل منها عددا من الفصول . ومن خلال هذه الابواب الثلاثة يقدم الكاتب عرضا وافيا لبدايات التواجد الصهيونى فى فلسطين الذى اخذ شكلا منظما منذ عام ١٨٨٢ حتى اليوم عبر هجرات سبع معروفة .

وفى البابين الثانى والثالث ينتقل الكاتب بنا خطوة واسعة نحو ادب شموئيل عجنون الروائى الصهيونى الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٦٦ الذى كان احد ابرز شخصيات الهجرة الثانية مع تركيز على روايته « امس الاول » .

ورغم التشتت الظاهرى فى موضوع الكتاب الا ان

فصوله يرتبط بعضها ببعض من خلال موضوع الهجرة والاستيطان .

اسم الكتاب : التحليل النفسي للامثال العربية
اسم المؤلف : سمير عبده
الناشر : منشورات دار النصر ـ دمشق .
عدد الصفحات : ١٦٩ من القطع الكبير

يقول مؤلف الكتاب في تقديمه « ان الامثال غدت اكثر من مجرد كلمات مشكلة في معاني الالفاظ » ومن خلال هذا الفهم للامثال يمضي الى تحليل نحو خمسين منها تحليلا نفسيا مع محاولة البحث عن أمثال مشابهة لها عند الامم الاخرى ، والاستفادة من طرق التحليل النفسي الذي « لايمكن أن تقوم له قائمة اذا لم يكن متضمنا للتحليل الاجتماعي والثقافي للمثل » كما يرى المؤلف . والكتاب رغم عنوانه الذي يوحي ببعض الخصوصية دراسة مبسطة يتوجه الكاتب بها للقراء العاديين الذين تشكل الأمثال جزءا أساسياً من حياتهم .

اسم الكتاب : لعنة الارض
اسم المؤلف : نور الدين عامر
الناشر : مطبعة فجر السعادة ـ الدار البيضاء ـ المغرب
عدد الصفحات : ١٢١ من القطع الصغير

رواية مغربية جديدة تدور أحداثها في قرية مغربية نائية « لم تكن في حاجة الى شخص اجنبي عنها لايجاد حل لكل مشكلة او عارض يطرأ . . او تعرف سلطة ترتدي بزة تثير الرعب في النفوس وتخشاها الكلاب » وان كان المغرب قدم لنا في الأونة الاخيرة عددا من المفكرين اللامعين والشعراء والمسرحيين الذين أثروا الادب والفكر العربيين فان هذه الرواية تفتح نافذة جديدة نطل منها على الرواية المغربية والريف المغربي الذي لا يزال مجهولا لدى القارىء العربي .

اسم الكتاب : رواية المستقبل
اسم المؤلف : اناييس نن
ترجمة : محمود منقذ الهاشمي
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق
عدد الصفحات : ٢٧٦ من القطع الكبير

بترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية يتيسر للقارىء العربي الاطلاع على واحد من اهم النصوص الاوربية حول الرواية ومستقبلها باعتبارها اوسع الفنون الادبية انتشارا .

ومن خلال عرض ذكي يشي باطلاع واسع على هذا الفن تلاحظ الروائية الفرنسية انابييس نن اننا « الآن في عهد وسيط . وثمة هوة بين الشعر والنثر الذى فقدت فيه الكتابة قوتها السحرية ، هوة بين الفن والعلم . وهوة بين الشعور واللاشعور . وهذه الامور سوف تندمج ذات يوم » . ومن خلال هذه الملاحظة الثاقبة تحاول نن رسم صورة رواية المستقبل .

اسم الكتاب : الثورة والادب والتكنولوجيا
اسم المؤلف : فالتينا ايفاشيفا
ترجمة : فخرى لبيب
الناشر : دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة
عدد الصفحات : ٢٧٨ من القطع الكبير

يتضمن هذا الكتاب مناقشة لواحد من اهم الموضوعات التى تشغل العالم المتقدم بشقيه : الاشتراكى والرأسمالى ، هو موضوع الثورة التقنية واثرها على الابداع الادبي في عالم يقف على مشارف القرن الحادى والعشرين .

ولا تكتفي الكاتبة السوفيتية بدراسة أثر التقنية على المجتمع الاشتراكى الذى تعيش فيه بل تبرز بعض آثارها على المجتمع الرأسمالى ايضا من خلال اطلاع جيد على الآداب التى افرزهما كل من المجتمعين . □

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

النسبُ إلى فَعِيلة وفُعَيلة

باب النسب في لغتنا من أوسع أبواب الصرف وأكثرها تفصيلا ، وهكذا شأنه في بعض اللغات الراقية الأخرى ، ولكن بعض علماء الصرف عندنا زادوا فيه بعض التعقيدات لعدم توسعهم في استقراء الشواهد التي تستمد منها القواعد .

والقاعدة العامة في النسب أن نزيد على الكلمة التي يراد النسب إليها ياء مشددة في آخرها دون تغيير في بنية الكلمة ، فيقال مثلا : إسلام وإسلامي ، وقرآن وقرآني ، لكن العرب غيّروا أحيانا كثيرة في بنية الكلمة أيضا ، كقولهم : مَلْك ، ومَلَكي ، وهم يحذفون تاء التأنيث فيقولون مثلا : مكة ومكّي ، وفاطمة وفاطمي .

وهذه التغييرات صور مختلفة ، يعنينا منها هنا الصيغتان الآتيتان :

١ - فَعِيلة (بفتح فكسر) : إذ تعسف الصرفيون في تقسيم الكلمات التي تأتي على هذه الصيغة أقساما فقالوا :

أ - إذا كانت عين الكلمة صحيحة غير مضعفة ولامها صحيحة ، حذفت الياء وفتح الحرف الذي كان قبلها مكسورا ، ففي النسب إلى مَدِينة ، وحَنِيفة وبَجِيلة وصَحِيفة ، يقال كما قالت العرب : مَدَنيّ ، وحَنَفِيّ ، وبَجَليّ ، وصَحَفِيّ .

ب - وإذا كانت عين الكلمة معتلة لم تحذف الياء مثل : طَوِيلَة فالنسب إليها طَوِيلَه .

جـ - وإذا كانت عين الكلمة مضعّفة لم تحذف الياء أيضا مثل جَلِيلَة ، فالنسب إليها جَلِيلِيّ . ولو أنصف الصرفيون لأبقوا على الياء عند النسب إلى ما جاء على فَعِيلَة ، ولم يوجبوا حذفها مادامت لام الكلمة صحيحة ، كما في القسمين الثاني والثالث ، وكما أبقاها العرب في بعض أمثلة القسم الأول ، إذ نسبوا إلى عَمِيرة وسَلِيمة وسَلِيقَة فقالوا : عَمِيرِيّ وَسَلِيمِيّ ، وَسَلِيقِيّ ومنه قول الشاعر :

ولست بِنَحْوِيٍّ يلوكُ لسانَه
ولكن سَلِيقِي أقولُ فَأُعْرِبُ

ولكن الصرفيين اعتبروا إبقاء الياء في هذه الكلمات : عَمِيرِيّ وَسَلِيمِيّ وَسَلِيقِيّ شذوذا في قياسهم ، مع أن الشائع في الأقسام الثلاثة هو إبقاء الياء كما تقدم .

وإذا كانت العرب قد حذفت الياء في بعض الكلمات ، مثل : مَدِينَة وحَنِيفَة وبَجِيلَة وصَحِيفة ،

عند النسب إليها ، فقالت طلبا للخفة : مَدَنِيّ ، وحَنَفِيّ ، وبَجَلِيّ وَصَحَفِيّ ـ فإن ذلك لا يوجب حذف الياء في أشباه هذه الكلمات ، كما يريد الصرفيون ، بل علينا أن نقبل هذه الكلمات مادامت قد سُمعت عن العرب ، ولانلتزم حذف الياء فيها أو في أمثالها ، بل نبقيها كما أبقتها العرب في عَمِيرِيّ وَسَلِيمِيّ وَسَلِيقِيّ .

وأذكر أن بعض شيوخنا كانوا إذا رأوا في كراساتنا كلمة « بديهي » نسبة إلى بَدِيهَة ، « وطَبِيعِيّ » نسبة إلى طبيعَة ـ اعتبروا ذلك خطأ وأوجبوا أن يقال : « بَدَهِيّ » و « طَبَعِيّ » ، مع أن الوجهين جائزان ، وقد يكون من الأولى إبقاء الياء لإظهار المنسوب إليه ، كما في النسبة إلى : جزيرَة ، وطَلِيعَة ، وخَلِيفَة ، فقولنا : جَزِيرِيّ ، وَطلِيعِيّ وَخَلِيفِيّ أفضل من قولنا : جَزَرِيّ ، وطَلَعِيّ ، وَخَلَفِيّ .

وهكذا يقال فيما هو على صيغة « فعيل » مثل : ثَقِيف ، فقد نسب إليها العرب فقالوا : ثَقَفِيّ ، ومن الواجب قبول هذا النسب ، الذي حذفت فيه الياء ، دون التزام بحذفها في كل ما ورد على هذه الصيغة ، مثل : أمير ، ورَئِيس ، وعَزِيز ، وبَرِيد ، ورَبِيع ، بل نبقى الياء فنقول : أمِيرِيّ ، وَرَئِيسِيّ ، وَعَزِيزِيّ ، وَبرِيدِيّ ، وَرَبِيعِيّ .

وقد نسبت العرب إلى « رَبِيع » فقالوا : « رِبْعِيّ » وسَمّوا به بعض أولادهم أحيانا ، ومن ذلك أن سليمان ابن عبدالملك احد ملوك بني أمية اراد أن يبايع لأحد أولاده بعده ، ولما عرضهم في احسن هيئاتهم وجدهم جميعا صِغَارا ، فقال متوجعا : ـ

إنّ بَنِيّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّون
أفلح من كان له رِبْعِيُّون

واختار بعده ابن عمه عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .

٢ ـ فُعَيْلَة (مُصَغَّرَة) : سمع عن العرب حذف الياء في النسب إلى بعض ما جاء على وزنها صحيح اللام مثل : جُهَيْنَة وقُرَيْظَة ، فقالوا : طَلَبا للخفّة : جُهَنِيّ ، وقُرَظِيّ ، وعلينا قبول ذلك لوروده عن الفصحاء ، دون التزام حذف الياء فيها ولافي أمثالها ، فيجوز أن يقال : جُهَيْنِيّ ، وقريظي ، قياسا على ما ورد من أمثالها . فقد قالوا : ردينة ورديني ، ومنه قول مالك ابن الريب المازني في رثاء نفسه وقد شعر بدنو أجله :

تذكرت من يبكي عَلَيّ ، فلم أجد
سِوَى السيفِ والرمح الرُّدَيْنِيّ باكيا

وقالوا : سُكينة وسُكَيْنِيّة ، وهكذا فُعَيْل (مصغرا) فقد نسبت العرب إلى قُرَيْش ، وسُلَيْم (صحيح اللام) فقالوا : قُرَشِيّ وسُلَمِيّ ، بحذف الياء وعلينا أن نقبل ذلك لوروده عن الفصحاء ، ولكنه لا يمنعنا ان نقول : قُرَيْشِيّ وسُلَيْمِيّ قياسا على أمثاله كما قالوا في النسبة إلى فُقَيْم : فُقَيْمِيّ ، وطُفَيْل وطُفَيْلِيّ .

ولابن قتيبة رأى يعول عليه في النسبة إلى هاتين الصيغتين ، وهو قوله في كتاب « أدب الكاتب ص ٢٠٩ : إذا نسب الى اسم مصغر كانت فيه الهاء (هاء التأنيث) أو لم تكن وكان مشهورا أَلْقَيْتَ (حذفت) الياء منه ، نقول في جُهَيْنَة ومُزَيْنَة : جُهَنِيّ ومُزَنِيّ ، وفي قُرَيش قُرَشِيّ ، وفي سُلَيْم سُلَمِيّ . وهذا هو القياس إلا ما أشذوا (اعتبروه شاذا) . وكذلك إذا نسبت إلى فَعِيل أو فَعِيلة من أسماء القبائل والبلدان ، وكان مشهورا ـ القيتَ منه الياء : مثل : رَبِيعة وبَجِيلة ، تقول : رَبَعِي وَبَجَلِي ، وحنيفة وحَنَفِيّ ، وثَقِيف وثَقَفِي ، وعَتِيك وعَتَكِي ، وإن لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء الأول ولا الثاني » .

فشهرة الكلمة عنده لها أثرها في حذف يائها حين ينسب اليها وإلا بقيت الياء عند النسب ، وهذه الشهرة تختلف مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ، فشهرة الكلمة في زمان أو مكان لا تستلزم وجود شهرتها أو بقاءها في زمان أو مكان آخرين ، فالأحوط إبقاء الياء عند النسب .

ثم إن الأصل هو إبقاء الكلمة على أصلها ما أمكن عند النسب إليها ، وكان ذلك سائغا . ولكن لابد من قبول كل ماورد عن العرب مخالفا لهذه القاعدة ، طلبا للخفة دون التزام به أو التزام بقياس أمثاله عليه .

ومهما يكن فلا بد من مراعاة أمن اللبس في كل كلمة وكل جملة .

ومن هنا يبدو أن الصرفيين تسرعوا حين أوجبوا ما لا يجب وهو حذف الياء من صيغتي فَعِيلة وفُعَيْلَة ، واعتبروا اثبات الياء فيها شذوذا مثل سَلِيقِيّ وَرُدَيْنِيّ مع أن هذا هو الأصل ، فهم قد جعلوا المطرد أو الغالب شاذا ، وجعلوا الشاذ مطّرِداً . □

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

الدُّنيا دُوَلٌ

تنسب هذه القصيدة الى الامام علي كرَّم الله وجهه ، ونرى انها ليست له وان وجدت في بعض طبعات ديوانه ، اذ لم تُؤثَر عنه القصائد الطوال ، وكل ما أثر له من الشعر مقطوعاتٌ في الحماسة او الزهد او الحكمة أو الحث على الفضيلة ، وكانت بلاغتُه العليا تتجلى في خطبه ورسائله وجوامع كلِمِهِ ، فتكفيه في التعبير عن خواطره ، وتغنيه عن الشعر .

ونرجح أن هذه القصيدة - كما يظهر من اسلوبها واشاراتها التاريخية - قد نُظِمت في عصرِ العباسيين بعد أن فقدت خلافتهم هيبتَها وسلطانَها ، وصارت امورها إلى قوادهم يتلعَّبون بمن يُسَمّون الخلفاء ، فيُوَلّونهم ويعزلونهم كما شاءوا ، وقد يتبعون العزل بالقتل أو الحبس مع الإذلال ، وقد ظهر ذلك في أواخر عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) الذي اشترك ابنه في قتله ليخلفه في الحكم .

باتُوا على قُلَلِ الأجبالِ تحرسُهمْ ... غُلْبُ الرجالِ ، فلم تنفعْهمُ القُلَلُ (١)

واستُنْزِلُوا بعد عزٍّ عن معاقِلِهمْ ... فأُودِعوا حُفَراً ، يا بِئْسَ ما نَزَلُوا (٢)

ناداهُمُ صارخٌ من بعدِ ما دُفِنوا ... أين الأسِرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ ؟

أين الوجوهُ التي كانت منعّمةً ... من دونِها تُضرَبُ الأستارُ والكِلَلُ ؟ (٣)

فأفصحَ القبرُ عنهمْ حين ساءلَهمْ : ... تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقتتِلُ

قد طالما أكلُوا دهراً وما شربُوا ... فأصبحوا ، بعد طولِ الأكلِ ، قد أُكِلُوا

وطالما كنَّزوا الأموال وادَّخروا — فخلَّفوها على الأعداءِ ، وارتحلُوا
وطالما شيَّدوا دُوراً لتحصينِهِمْ — ففارقوا الدُّورَ والأهلينَ وانتقلُوا
أضحت مساكنُهُمْ وحشاً مُعطَّلةً — وساكِنُوها الى الأجداثِ قد رَحَلُوا (٤)
سَلِ الخليفةَ اذ وافت منيتُهُ — أين الجنود وأين الخيل والخَوَلُ ؟(٥)

أين الكنوزُ التي كانت مفاتِحُها — تنوءُ بالعصبة المُقوين لو حَمَلُوا ؟(٦)
أين العبيدُ الأُلَى أرصَدْتَهم عددا ؟ — أين الحديدُ وأين البيضُ والأَسَلُ ؟(٧)
أين الفوارسُ والغِلْمان ، ماصنعوا ؟ — أين الصوارمُ والخَطِّيَّة الذُّبَلُ ؟
أين الكفاةُ ألم يكفوا خليفتَهم — لما رأوه صريعا وهو يبتهل ؟(٨)
أين الكماةُ ؟ أما حامَوْا ، أما غضبوا ؟ — أين الحُماةُ التي تُحْمَى بها الدُّولُ ؟(٩)
أين الرُّماةُ ؟ ألم تُمْنَعْ باسهُمِهِمْ — لَمَّا أتتْكَ سِهامُ الموت تَشْتَعِلُ

هيهات ، مامَنَعوا ضَيْما ، ولادَفَعُوا — عنك المنيةَ اذْ وافى بها الأجل !
ولا الرُّشى دفعتْها ، صاح ، لو بَذَلُوا — ولا الرُّقى نفعت شيئا ولا الحِيَلُ
ماساعدوك ، ولا واساك اقربُهم — بل اسلمُوك لَها ، يا بِئْس ما فَعَلوا
ما بالُ قبرِك لايَنْشَى به أحَدٌ — ولا يَطُورُ به من بينهم رجل(١٠)
مابالُ قصرِك وحشاً لا انيسَ به — يغشاك من كنَفَيْهِ الرَّوعُ والوَهَلُ

ما بالُ ذِكرك منسيا ومطَّرَحا — وكلُّهُم باقتسام المالِ قد شُغلوا
لاتنكرَنْ ، فما دامت على ملِكٍ — الا أناخَ عليه الموتُ والوَجَلُ
وكيف يَرجو دوامَ العيش متصلاً — وروحُه بحبالِ الموت متصلُ
وجسمه لِنُبَاتاتِ الرَّدَى غرضٌ — ومُلْكُه زائلٌ عنه ومُنْتَقِلُ(١١)

١ ـ قلل الأجبال : قمم الجبال ، غلب الرجال : اقوياؤهم .
٢ ـ معاقلهم : حصونهم ، حفرا : قبورا
٣ ـ الكلل : الستائر
٤ ـ وحشا معطلة : خالية من السكان عارية عن الزينة .
٥ ـ المنية : الموت ، الخول : الخدم
٦ ـ لا تستطيع حمل مفاتيحها الا جماعة قوية
٧ ـ البيض والأسل : السيوف والرماح
٨ ـ الكفاة : الصالحون لحمل المسئوليات ، يبتهل : يتضرع
٩ ـ الكماة : الابطال ، الضيم : الذل
١٠ ـ لاينشي : لايعلم ، لا يطور : لا يطوف ،
١١ ـ لبانات الردى : مطالب الموت .

مسابقة العربي

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ من هي مهاجرة الهجرتين ومصلية القبلتين . . ؟

٢ ـ جزر ملفنيا . . كم تبعد عن جزر فوكلاند ؟

٣ ـ هانيبال قائد قرطاجة العظيم . . اشتهر بغزو روما برا عن طريق اسبانيا ، فجبال الألب سنة ٢١٩ ق . م ، واشتهر كذلك بالفيلة التي اعتمد عليها في حملته تلك . . ترى هل احتل هانيبال روما . . ؟

* نعم احتل روما وحكمها حكم المستعمر .
* لم يحتل روما بالذات ولكنه احتل اجزاء واسعة من ايطاليا ، وبسط نفوذه عليها طوال عشر سنوات أو تزيد . .
* لم يحتل هانيبال شيئا اذ لم يكد يصل الى أسوار روما حتى استدعته قرطاجة . . فعاد اليها مسرعا . .

٤ ـ النهى معناه العقل . . وسمي به لأن العقل ينهي عن القبيح . . ترى ما هو مفرده إن كان جمعا ، وما هو جمعه إن كان مفردا . ؟

٥ ـ الفتاة الأمريكية (سوزان انتوني) هي زعيمة حركة المرأة في الولايات المتحدة ، تلك الحركة التي تكللت بحصول النساء في أمريكا على حقوقهن . . حق التصويت بالتحديد . . فمن هي زعيمة حركة المرأة في بريطانيا . . الحركة التي تكللت بحصول المرأة الانكليزية على حقوقها . . ؟

٦ ـ يعتبر صوف المارينو في طليعة أصواف العالم جودة وانتشارا . . وتعتبر استراليا الدولة الأولى في تربية خراف المارينو وتصدير أصوافها في الوقت الحاضر ، ترى ما هو الموطن الأصلي لهذه الخراف ؟

* افريقيا .
* أسبانيا .
* مارينو .

٧ ـ ساهمت اليونسكو في انقاذ معابد أبي سنبل من خطر الغرق في مياه النيل عند إنشاء السد العالي . . ترى ما اسم الجزيرة التي كانت تلك المعابد قائمة عليها قبل نقلها ؟

* جزيرة الفيلة .
* جزيرة فيلية
* جزيرة الفيل

٨ ـ الاسمنت ، عماد البناء والعمران منذ اكتشافه عام ١٨٢٤ ، يقترن اسمه باسم بورتلاند . . لماذا ؟

* نسبة الى مدينة بورتلاند الأمريكية التي اكتشف فيها .
* نسبة الى حجارة بورتلاند الشهيرة في انكلترا . . فالشبه كبير بين هذه الحجارة وبين الاسمنت بعد جفافه من حيث اللون .

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٣ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ديسمبر ١٩٨٥ .

٩ ـ قامت الحروف الابجدية مقام الأرقام قبل ظهور الأرقام الهندية / العربية وانتشارها . . فحرف (أ) رمز الى رقم (١) وحرف (ي) رمز الى رقم (١٠) فما هي الأرقام التي رمزت إليها الحروف التالية :
(هـ) (ق) (غ)

١٠ ـ صناعة السكر وصناعة السماد . . سماد النترات الآزوتي بالذات تحتاج احداهما الى ٦٠٠ طن ماء ولا تحتاج الأخرى الا الى ٩ أطنان ماء . فأي الصناعتين هي هذه ؟ وأيهما هي تلك . . ؟

١١ ـ قطط وأرانب الانجورا ، وماعز الانجورا . . لم سميت انجورا . . ؟

* نسبة الى انجولا . . وقد اصبحت انجورا نتيجة التحريف .
* نسبة الى انجلترا وقد اصبحت انجورا نتيجة التحريف .
* نسبة الى انقرة عاصمة تركيا . .

١٢ ـ الصلصال والفخار . . أيهما أقوى . . ؟

* متساويا القوة .
* الفخار هو الأقوى . . فهو طين مشوي بالنار والصلصال طين غير مشوي بالنار .
* الصلصال هو الأقوى .

العدد ٣٢٣

اكتوبر ١٩٨٥

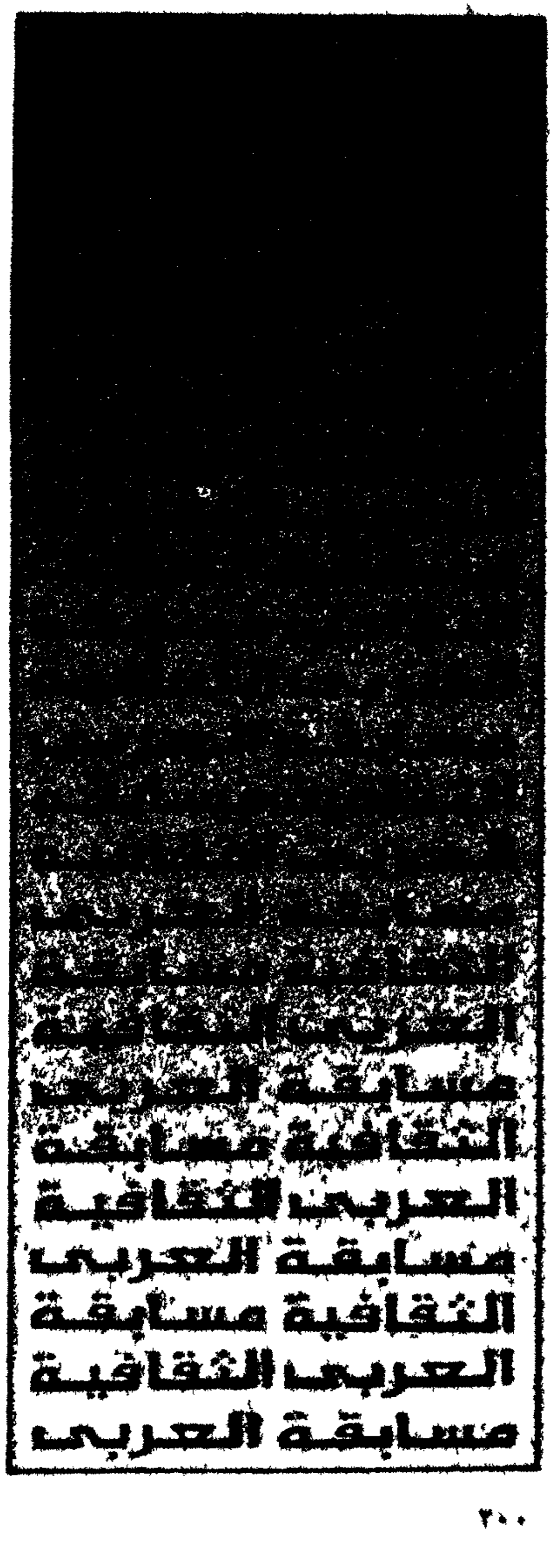
اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .
. . . .
٢ ـ . . . .
. . . .
٣ ـ . . . .
. . . .
٤ ـ . . . .
. . . .
٥ ـ . . . .
. . . .
٦ ـ . . . .
. . . .
٧ ـ . . . .
. . . .
٨ ـ . . . .
. . . .
٩ ـ . . . .
. . . .
١٠ ـ . . . .
. . . .
١١ ـ . . . .
. . . .
١٢ ـ . . . .
. . . .

الاسم : . . . .
. . . .

العنوان : . . . .
. . . .
. . . .



حل

١ ـ شريط النايلون هو الأقوى ذلك أن قوة الشد Tensil في النايلون تفوق نظيرتها في الألمنيوم

٢ ـ يوجد حجر رشيد حاليا في لندن وفي المتحف البريطاني بالذات وتجدر الاشارة الى أن احد ضباط نابليون هو الذي عثر على ذلك الحجر ، في بلدة رشيد سنة ١٧٩٩ واستولى عليه الانجليز سنة ١٨٠١ ، ثم وضع في المتحف البريطاني سنه ١٨٠٢

٣ ـ المسأله الحسابية البسيطة
في الارقام الهنديه / العربيه ٥٠ + ٤٠ + ١٠ = ١٠٠
في الارقام اللاتنيه الرومانيه C −X + XI + L

٤ ـ امارة موناكو في أوروبا وفي جنوب فرنسا بالتحديد وجمهوريه اندونيسيا في جنوب شرق آسيا

٥ ـ نهر الخابور الأصغر هو أحد روافد دجله ، ينبع من أرمينيا ، ويتصل بدجلة بين معاره وجزيره
نهر الخابور الأعظم من أعظم روافد الفرات يصب في الفرات عند الميادين

٦ ـ الثلاثة الاولى متجانسة ، فهي كلها مستحضرات طبية ومن المضادات الحيوية بالتحديد ، والرابع هو الناشز فهو هرمون تفرزه غدة البنكرياس ، ومن شأنه أن يحرق فائض السكر في الدم

٧ ـ عدد الفقرات في كلتا الرقبتين هو سبع

٨ ـ كتاب الجاحظ هو كتاب الحيوان ، ويقع في (٧) أجزاء ، وكتاب الدميري هو حياة الحيوان الكبرى وتجدر الاشارة الى أن الجاحظ (أبو عثمان) عاش في

البصرة فيما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . . وأن محمد كمال الدين الدميري عاش في القاهرة ١٣٤٩ - ١٤٠٥ .

٩ - يذكر فهرس الاعلام الملحق بالمنجد أن طائفة الموارنة ظهرت أول ماظهرت ، في وادي العاص سنة ٤٠٠ م . وقد نزحوا الى لبنان سنة ٧٤٥ / ٧٤٦ . وذلك في عهد مروان بن الحكم .

١٠ - اسحق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) هو العالم الذي اعتقد بوجود حجر الفلاسفة ، وانفق من الجهد والوقت ماانفق في البحث عنه .

١١ - نيكراجوا هي الدولة الامريكية اللاتينية التي تطلق اسم قرطبة على وحدة عملتها .

١٢ - يلتقي الميزانان ويتعادلان عند درجة (٤٠) تحت الصفر .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٠ يوليو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : علي عبدالله آل ثويمر / الظهران / السعودية .
الجائزة الثانية : زكريا عادل محمود موسى الحاج / عمان / الاردن .
الجائزة الثالثة : حمادات حسن / مريرت / المغرب .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - محمود داود الهياب / الشعبية / الكويت .
٢ - حاتم محمد السيد حسين / الزقازيق / مصر .
٣ - فاضل عباس يعقوب يوسف / سنابس / البحرين .
٤ - حيسي الزبير / بريكه / الجزائر .
٥ - محمد أحمد محمد / كفر الزيات / مصر .
٦ - بلال جبايل / بيروت / لبنان .
٧ - عبدالله محمد سليمان / الظهران السعودية .
٨ - حامد المصمودي / صفاقس / تونس .

معركة بلا سلاح

الطفلة المعجزة

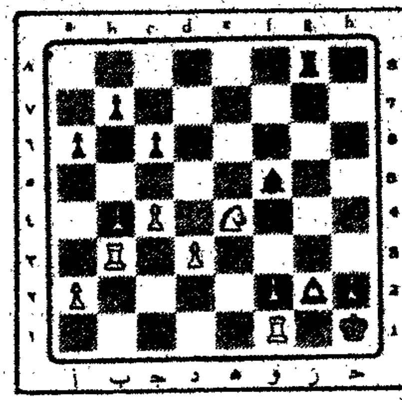
الطفلة المنغارية سوزان سوبجار التي تبلغ من العمر حاليا خمسة عشر عاماً هي إحدى معجزات الشطرنج ، فقد فازت في بلدها بلقب أستاذة وهي لا تزال في العاشرة ، ومنحها الاتحاد الدولي للشطرنج لقب أستاذة دولية كبيرة في الثالثة عشرة ، وما ان احتفل بعيد ميلادها الرابع عشر حتى منحها الاتحاد الدولي لقب استاذ دولي (رجال) في المؤتمر العام للاتحاد المنعقد في سالونيكا بتقدير يبلغ (٢٤٠٥) نقطة . وفي التصنيف الأخير للاتحاد الدولي فان هذه الطفلة المعجزة تتصدر قائمة البطولة للسيدات بتقدير يبلغ (٢٤٣٠) نقطة في حين لم يتجاوز تقدير بطلة العالم الحالية للسيدات « مايا » « شيبوردادنز » (٢٤٠٠) نقطة (انظر عدد ابريل ٨٥) .

وفي مقابلة حديثة مع والدها « لازلو بوجار » ذكر ان اهتمام ابنته بالشطرنج بدأ في سن الرابعة وانها تتقن الحديث بخمس لغات غير انه شكا من قلة ما تلقاه ابنته من الرعاية والدعم في المحافل الشطرنجية بالمقارنة بما يلقاه أمثالها من الأبطال الذكور . . . ويذكر على سبيل المثال الامتيازات التي كانت تمنح لكاربوف وفيشر عندما كانا في مثل سنها .

وقد اخترنا لهذا العدد المباراة الحديثة التالية (٨٤) بينها وبين البطل اليوغسلافي « ب . نيكولك » (٢٥٧٥) نقطة والحائز على لقب أستاذ كبير . ويعتبر « ب . نيكولك » واحداً من الأبطال العشرين الأوائل في الشطرنج في العالم .

ب . نيكولك (أبيض)	ز . بوبجار (أسود)
١ ـ ز٣	هـ ٥
٢ ـ حـ ٤	ح - حـ ٦
٣ ـ ح - جـ ٣	ر٦
٤ ـ ف - ز٢	ف - ز٧
٥ ـ د ٣	د٦
٦ ـ ح - و٣	و٥
٧ ـ ح - د٥ ؟!	ح جـ ـ هـ ٧
٨ ـ ف - ر٥ ؟!	حـ ٦
٩ ـ ف×هـ ٧	ح×هـ ٧
١٠ ـ ح×هـ ٧	و×هـ ٧
١١ ـ ح - حـ ٤	و - و٦
١٢ ـ هـ ٤	ت
١٣ ـ هـ×و٥	(ت كان أفضل)
١٣ ـ	ز×و٥
١٤ ـ ت	و٤
١٥ ـ ر - ب١ ؟!	(و - حـ ٥ أفضل)
١٥ ـ	جـ ٦
١٦ ـ ب ٤	أ٦ !
١٧ ـ و - حـ ٥	و - ز٥
١٨ ـ و - ز٦	(و - هـ ٢ أفضل)
١٨ ـ	و×ز٦
١٩ ـ ح×ز٦	ر - و٧
٢٠ ـ ز×و٤ ؟!	(ف - هـ ٤ أفضل)
٢٠ ـ	هـ×و٤
٢١ ـ ح - حـ ٤	ف - و٦ !

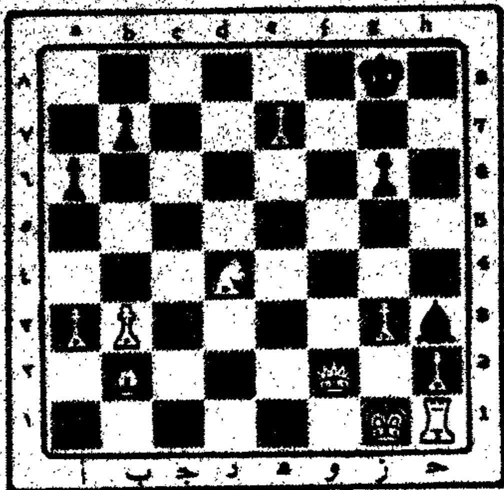
٢٢ ـ ح ـ و٣	ف ـ و٥
٢٣ ـ ر ـ ب٣ ؟	(رب ـ د١ أفضل)
٢٣ ـ	ر ـ ز٧
٢٤ ـ م ـ حـ١	م ـ حـ٨
٢٥ ـ ح ـ د٢	رأ ـ ز٨
٢٦ ـ ح ـ هـ٤	(انظر الشكل)



٢٦ ـ	ف ـ د٤
٢٧ ـ ح×د٦	و٣ !
٢٨ ـ ف × و٣	ف ـ حـ٣
٢٩ ـ ر ـ د١	ف × و٢
٣٠ ـ رب ـ ب١	ر ـ و٨
٣١ ـ ف ـ هـ٤	ر ـ و٤

٣٢ ـ يستسلم (لأن الاسود يهدد بالأخذ في هـ ٤ فلو لعب :)

٣٢ ـ ر ـ د٢	ف ـ د٤
٣٣ ـ ح × ب٧	رو ـ ز٤ !
٣٤ ـ رد ـ د١	ر×هـ٤ !



مسابقة العدد

مسألة رقم (٣٤)

الأسود يلعب ويميت
الشاه في ثلاث نقلات

حل المسألة (٣٢)

١ ـ ف ـ د٥ — و٢ أو حـ٢
٢ ـ ب ٨=ح — كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣١)

العدد ٣٢٠
يوليو ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ خالد ابو دعابس / الأردن
٢ ـ شريف عبد الماجد محمد ماضي / المنيا / مصر
٣ ـ محمد عبد الوهاب محمد / ليبيا
٤ ـ د . محمد عادل جيجه / سوريا
٥ ـ خالد مبارك سليم المزيودي / طرابلس / ليبيا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ غسان بني المرجة / الكويت
٢ ـ بابا عمر جلمام اسماعيل / غارداية / الجزائر
٣ ـ منير بن يعقوب / قليبس / تونس
٤ ـ عبد اللطيف منير / الجزائر
٥ ـ عبد المجيد العليلي / زنقة الأطلس / خريبكة / المغرب

على هذه الصفحات .. ترحب «العربي»

حوار القراء..

عزيزي القارىء

[illegible]

« الجراكسة » .. من هم وكيف قدموا الى الوطن العربي ؟

قرأت في العدد رقم ٣١٩ من العربي مقالا بعنوان : « الجبرتي يصوم رمضان » وورد فيه اسم « الشراكسة » ص ١٣١ كما سبق ان قرأت في العدد رقم (٣٠٧) مقالا بعنوان « المماليك يصومون رمضان » وورد فيه اسم « الجراكسة » ص ١٩٤ ، والمقالان المذكوران بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل ، وأرغب في معرفة أصل هؤلاء الشراكسة أو الجراكسة وكيفية قدومهم الى الوطن العربي ، لذلك فأرجو ان تنشروا في مجلتكم الغراء تحقيقا موسعا حول هذا الموضوع أو بالاحرى حول موضوع الاقليات الاجنبية المقيمة في الوطن العربي من شركس وكرد وارمن وغيرهم ...

هيثم حاج حسن
سوريا - دمشق

العربي

نشكر للقارىء كريم متابعته ...

والى أن تتحقق للقارىء السيد هيثم حاج حسن رغبته في نشر دراسة أو دراسات موسعة عن الجركس أو عن الاقليات في الوطن العربي يسر العربي ان تقدم له لمحة موجزة عن الجركس .

« ففي دائرة المعارف الاسلامية » تحت عنوان

(جدك) « جركس » كلمة فارسية الاصل بمعنى « الرجال الأربعة » ، سميت بها قبائل الجركس الاربعة المتحدة النسب » .

ثم تشير دائرة المعارف الاسلامية الى ان الجركس : « جيل من الناس يسكنون حوالي جبال القوقاز ، وهي سلسلة جبال بين البحر الابيض وبحر الخزر ، وينقسمون الى قبائل عديدة ثم تتحدث عن بعض صفاتهم فتقول : « انهم من أكمل البشر خلقة وأحسنهم وجوها واشجعهم قلبا ، واشدهم مقاومة للشدائد ، وان صالحهم صالح لا نظير له ، وطالحهم طالح لا مثيل له » .

وعن قدومهم الى الوطن العربي تذكر ان الملك الصالح ايوب هو اول من استقدمهم ليكونوا عساكر في جيشه .

والامير عز الدين ايبك الذي تزوج من شجرة الدر وهو اول ملوك الدولة الجركسية بالديار المصرية ، ومن اشهر ملوك الدولة الجركسية الملك الظاهر بيبرس ، وقد احيا الظاهر بيبرس الازهر ، قدام الى اليوم معقلا للسنة.وعلى اثر ضعف الدولة الايوبية قويت مملكة الجراكسة المشهورة بدولة المماليك ، وللمزيد من المعلومات يمكن الرجوع بالاضافة لهذين المرجعين الى كتاب « الشركس اصلهم ، تاريخهم ، عاداتهم ، تقاليدهم » بقلم الاستاذ محمدخير حغندوقة .

« استطلاع العربي بين المشهور والمغمور »

انني ألاحظ ان مجلة العربي عندما تقدم استطلاعا عن قطر ما سواء أكان عربيا أم أجنبيا فانها تسلط الضوء على ما هو معروف ومشهور في هذا القطر ، وقد لا تتوقف طويلا امام ما هو غير معروف رغم اهميته أحيانا،وحتى تكون الصورة واضحة لكم ، فإني أشير الى المثال التالي : حين انتقلت العربي الى سوريا اتجهت الى العاصمة دمشق وما فيها من آثار وأماكن هامة كالجامع الأموي مثلا ولم تتجول في باقي المدن السورية ومن هذه المدن مدينة دير الزور ـ التي يمر بها الفرات ـ بما تضم من آثار قديمة مثل « مملكة ماري » و « والصالحية » و « قلعة الرحبة » وكذلك « الجسر المعلق » الذي بناه الفرنسيون على نهر الفرات . . . الخ .

لذلك فاني اقترح على مجلة العربي عندما تذهب الى قطر ما أن تعنى الى جوار العاصمة بزيارة البلاد التي لها اهمية خاصة تاريخية أو جغرافية أو حضارية أو اقتصادية ، وبما ان صفحات الاستطلاع لا تستوعب كل ذلك في عدد واحد فلا مانع من أن تقدم العربي مثل هذا الاستطلاع في أكثر من عدد ، وعلى حلقات ليتاح للقارىء أن يتعرف على أشياء جديدة غير مشهورة لكنها مهمة الى جوار ما هو معروف ومشهور .

هشام محيسن الحق
سوريا ـ دير الزور

لعل القارىء الكريم يلاحظ بمراجعة أعداد العربي في المرحلة الاخيرة ، ان استطلاعاتها عن أي قطر من الأقطار تشمل أكثر من زيارة لأكثر من بلد في القطر الواحد بهدف تغطية الجوانب المهمة في هذا البلد أو ذاك ، وأن مثل هذه الاستطلاعات تنشر بالفعل كما يقترح في أكثر من عدد ، ولعل القارىء الكريم يأخذ في اعتباره ان العربي وهي تخاطب مختلف الأجيال العربية في مساحة واسعة من الوطن العربي والاسلامي تلاحظ ان ماهو معروف ومشهور لجيل أو في مكان قد لا يكون كذلك لجيل أو مكان آخرين .

حوار القراء..

« بلاد واق الواق »

بين الواقع والاسطورة

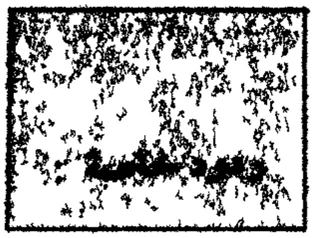
يعتقد الكثيرون ان بلاد « واق الواق » بلاد اسطورية ، وانه لا يمكن الوصول اليها الا على « بساط الريح » أو بواسطة « خاتم سليمان » أو « الرخ » كما ورد في قصص الف ليلة وليلة،ولا شك أن لمثل هذه القصص أكبر الاثر في انتشار ذلك الاعتقاد ، وطمس حقيقة واق الواق ، الحقيقة هي ان « واق الواق » اسم اطلقه العرب على بلدٍ من البلاد التي طالما زارها التجار والبحارة العرب على الساحل الشرقي من آسيا في شمال الصين ، وهذا هو رأي المستشرق الفرنسي « فران » والمستشرق السوفيتي « كراتشكوفسكي » وهناك بعض المستشرقين يؤكدون ان البلد الاسيوي الذي سماه العرب « واق الواق » هو جزر اليابان ويقول بذلك الرأي المستشرق البريطاني كرامرز .

كما يشير أيضا الى ان العرب قد اطلقوا اسم « واق الواق » على جزيرة مدغشقر « في القارة الافريقية ، ولعل في خريطة الادريسي ما يدعم هذا الرأي ولعل الطابع الخرافي الذي ارتبط باسم « واق الواق » هو الذي دفع بعض الجغرافيين العرب الذين سلموا بوجود تلك البلاد الى وصفها وصفا خرافيا ومن هؤلاء محمد بن ابي بكر الزهدي الذي تحدث عنه « كراتشكوفسكي » فقال : « ويبدو من كتاباته في الجغرافية الفلكية ميل واضح الى جميع انواع العجائب وهو في هذا الصدد يحدثنا عن اسطورة الشجرة المسحورة الموجودة بجزائر « واق الواق » التي تثمر كل عام نساء بدلا من الفاكهة .

نجيب عبدالعزيز الاصبحي

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

محافظة عدن - ثانوية عبود



الاخ الكريم معتز نديم الاسعد - سوريا - ادلب - قرية النيرب .

نعتز بصداقتك للمجلة ، وباهتمامك بما ينشر فيها ، انت واصدقائك ، وفي انتظار ملاحظاتك وحوارك معنا . .

***

الاخ العزيز احمد حمزة خضر - كفر الدوار - محافظة البحيرة ملاحظاتك عن النقد جيدة ، ونتمنى ان تجد فيما تقدمه العربي من فصول النقد الادبي ما يحقق ما تتطلع اليه من نقد موضوعي هادف وبناء .

***

الى الاخ جهاد وشاح - حمص - سوريا

مشاكلك الثلاث هي اعراض متعددة لمشكلة واحدة هي عدم الثقة بالنفس ورحلتك للوصول الى هذه الثقة يجب ان تبدأهابنفسك . . ان تبدأ بمحاولة صادقة لاجادة شيء ما من هذه الاشياء التي تحبها ، قد يكون الشعر الذي تحب كتابته ، قد يكون الدروس التي تدرسها ، قد يكون هواية او مجرد عمل يدوي ، ان مثل هذا النجاح المبدئي هو افضل ما يقدمك للاخرين متغلبا على خجلك وأوهامك ، حائزا لثقتهم وتقديرهم ، فلغة العمل الناجح يفهمها ويقدرها جميع الناس ، وتقدير الآخرين سوف يدعم ثقتك بنفسك ، فتزداد قدرة على الانجاز الجيد ، وهكذا تستمر دورة النجاح،المهم ان تثابر والا تضخم ما تسميه عقبات ، وان تتجنب العزلة التي هي اخطر ما يتهددك في هذه المرحلة من عمرك .

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت

أول أكتوبر ١٩٨٥

١٩٣

أوبو فوق التل
أوبو زوجاً مخدوعاً

تأليف : ألفريد جاري - ٢

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أكتوبر ١٩٨٥م

النظام الإعلامي الجديد

تأليف : د . مصطفى المصمودي

٥٠٠ فلس

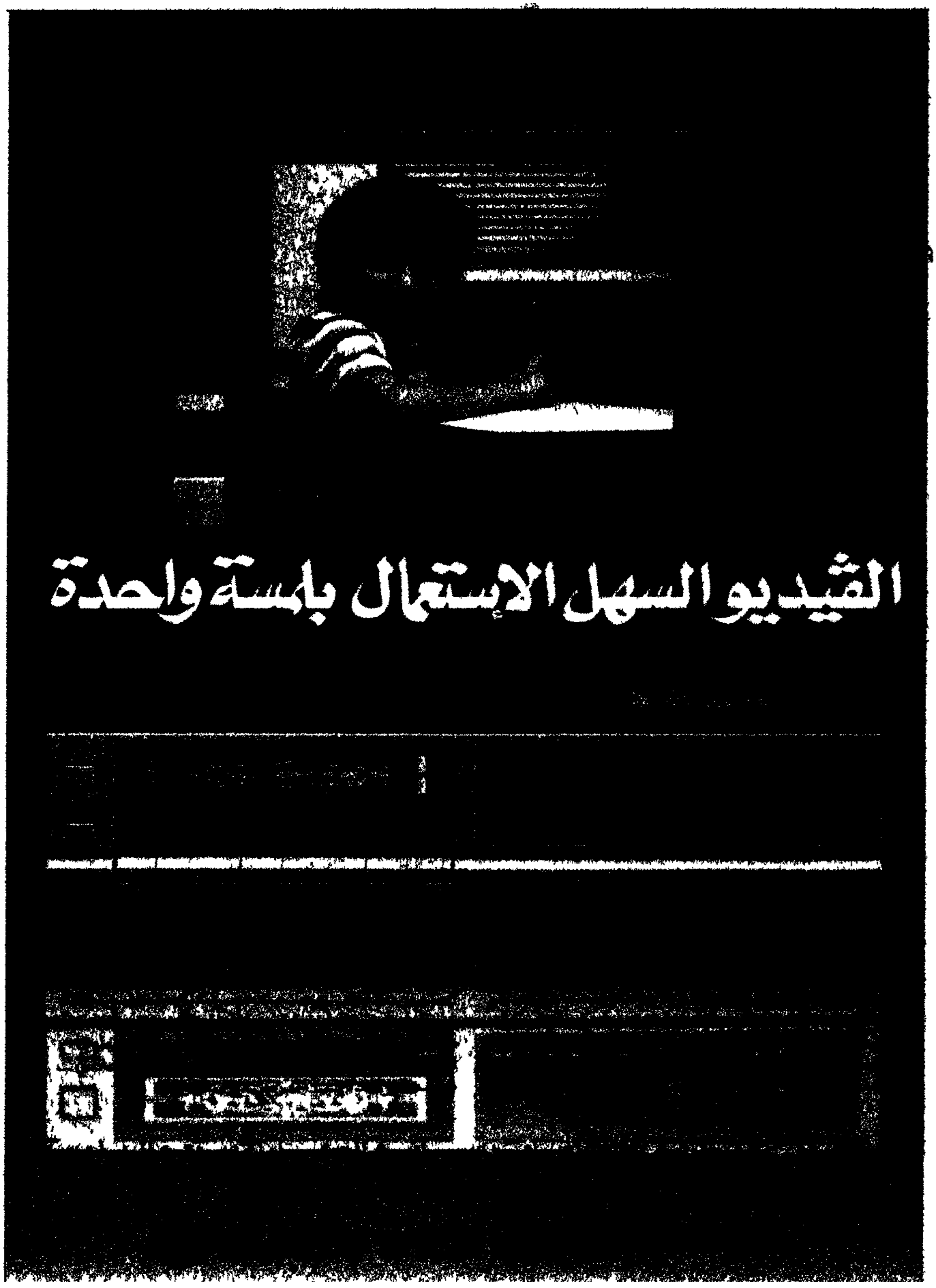
الكتاب الرابع والتسعون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب



تجميد سريع.
مع نظام Toshiba للتبريد المباشر.
DIRECT COOL
GR 1205
GR 1005
GR 1205
سعة كبيرة ، براد/ فريزر ببابين مع نظام
تبريد مباشر للعائلات الكبيرة
• موفر للطاقة • فريزر كبير • مصباح لإغلاق البراد والفريزر
• إزالة أوتوماتيكية للجليد (للفريزر فقط)
GR 1006
سعة كبيرة ، براد/ فريزر بابين مع نظام
تبريد مباشر
• موفر للطاقة • فريزر كبير
نظافة مستمرة.
مع غسالة Toshiba الكبيرة جدًا.
Swing
NEW
VH 1300
غسالة بحوضين
• عصارة كبيرة لقوة عصر أكبر • نظام فلتر دائري
فعال للغسالة • مؤقت دوار موفر للماء والوقت
VH 3300
غسالة بحوضين
• سعة كبيرة لكمية غسيل أكبر • عصارة كبيرة لقوة أكبر
• مؤقت دوار موفر للماء والوقت
VH S450
غسالة أوتوماتيكية بحوضين
• سعة كبيرة جدًا • عصارة SWING لمنع تشابك وإتلاف
الثياب ولتأمين تنظيف أفضل • مؤقت دوار
موفر للماء والوقت
TOSHIBA


INSTANT
IDO
Nestlé


الڤيديو السهل الإستعمال بلمسة واحدة